2024/5/14

داخلہ نمبر	۱۵۸۲۲
فن نمبر	،۱ و
کتاب نمبر	ع ۲۰۴



كلمة الناظم

أول الشعر اجتماع أسبابه . وانما يرجع في ذلك الى طبع صقلته الحكمة وفكر جلا صفحته البيان . فما الشعر الا لسان القلب اذا خاطب القلب . وسفير النفس اذا ناجت النفس . ولا خير في لسان غير مبين . ولا في سفير غير حكيم .

ولو كان طيراً يتغرد لكان الطبع لسانه . والرأس عشه . والقلب روضته وكان تناوله ما يسمعه من أفواه المجيدين من الشعراء . وحسبك بكلام تنصرف اليه كل جارحه . وتضم عليه كل جانحه . ويجني من كل شيء حتى لتحسب الشعراء من النحل تأكل من كل الثمرات فيخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .

وكأنما هو بقية من معنى الانسان اختبأت في زاوية من النفس فما زالت بها الحواس حتى وزنتها على ضربات القلب وأخرجتها بعد ذلك ألحانا

بغير ايقاع الا تراها ساعة النظم كيف تتفرغ كلها ثم تتعاون كانما تبحث بنور العقل عن شيء غاب عنها في سويداء الفؤاد وظلماته . لذلك كان أحسن الشعر ماتتغنى به قبل عمله وهي طريقة تفنن فيها الشعراء حتى لكان الحطيئة يعوي في أثر القوافي عواء الفصيل في أثر أمه .

وترى المجيد من أهل الغناء اذا رفع عقيرته يتغنى ذهب في التحرك مذاهب حتى كأنما ينتزع كل نغمة من موضع في نفسه فيتألف من ذلك صوت اذا أجال حلقه فيه وقعت كل قطعة منه في مثل موضعها من كل من يسمع فلا يلبث أن يستفزه طربه . كأنما انجذب قلبه وتصبو نفسه . كأنما أخذ حسه . لافرق في ذلك بين أعجمي وعربي ومن أجل هذا ترى أحسن الاصوات يغلب على كل طبع وانما الشاعر والمغني في جذب القلوب سواء . وفي سحر النفوس أكفاء . الا أن هذا يوحي الى القلب وذاك ينطق عنه . وأحدهما يفيض عليه والثاني يأخذ منه . والويل لكليهما اذا لم يطرب هذا ولم يعجب ذاك .

والشعر موجود في كل نفس من ذكر وأنثى . فانك لتسمع الفتاة في خدرها . والمرأة في كسر بيتها . والرجل وقد جاس في قومه . والصبي بين اخوته يقصون عليك أضغاث أحلام فتجد في أثناء كلامهم من عبق الشعر مالو نسمته لفغمك . وحسبك ان تكسر وسادك تحدث اليهم فتراه طائراً بين أمثالهم وفي فلتات ألسنتهم وهو كأنما قد ضل اعشاشه . ولقد نبغ فيه من نساء هذه الامة شموس سطعن في سماء البيان . وطلعن في أفق البلاغة ولا يزال الناس الى اليوم يروون للخنساء وجنوب وعلية وعنان ونزهون وولادة وغيرهن وبحسبك قول النواسي ماقلت الشعر

حتى رويت لستين امرأة منهن الخنساء وليلى .

ولو كان الشعر هذه الالفاظ الموزونة المقفاة لعددناه ضرباً من قواعد الاعراب لايعرفها الا من تعلمها ولكنه يتنزل من النفس منزلة الكلام فكل انسان ينطق به ولا يقيمه كل انسان . وأما مايعرض له بعد ذلك من الوزن والتقفية فكما يعرض للكلام من استقامة التركيب والاعراب . وانك انما تمدح الكلام باعرابه ولا تمدح الاعراب بالكلام

ولم أقرأ اجمع فيه من قول حكيم العصر . وامام الافتاء في مصر . « لو سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر » ولا فيما قالوه في الشعراء أجمع من قول كعب الاحبار « الشعراء أناجيلهم في صدورهم تنطق ألسنتهم بالحكمة » .

ولم يكن لاوائل العرب من الشعراء الا الأبيات يقولها الرجل في الحاجة تعرض له كقول دويد بن زيد حين حضره الموت وهو من قديم الشعر العربي

اليوم يبني لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرني واحدا كفيته

وانما قصدت القصائد على عهد عبد المطلب أو هاشم بن عبد مناف . وهناك رفع امرؤ القيس ذلك اللواء وأضاء تلك السماء التي ماطاولتها سماء . وهو لم يتقدم غيره الا بما سبق اليه مما اتبعه فيه من جاء بعده . فهو أول من استوقف على الطلول ووصف النساء بالظباء والمهى والبيض وشبه الخيل بالعقبان والعصي وفرق بين النسيب وما سواه من القصيدة وقرب مآخذ الكلام وقيد أو أبداه وأجاد الاستعارة والتشبيه . ولقد بلغ منه انه كان يتعنت على كل شاعر بشعره .

ثم تتابع القارضون من بعده فمنهم من أسهب فأجاد . ومنهم من أكب كما يكبو الجواد . وبعضهم كان كلامه وحي الملاحظ . وفريق كان مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجرى معها . ولقد جدوا في ذلك حتى أن منهم من كان يظن ان لسانه لو وضع على الشعر لحلقه .أو الصخر لفلقه .

ذلك أيام كان للقول غرر في أوجه ومواسم بل أيام كان من قدر الشعراء ان تغلب عليهم ألقابهم بشعرهم حتى لا يعرفون الا بها كالمرقش والمهلهل والشريد والممزق والمتلمس والنابغة وغيرهم ومن قدر الشعر ان كانت القبيلة اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس . وأيام كانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ او فرس تنتج . وكانت البنات ينفقن بعد الكساد اذا شبب بهن الشعراء .

ولم يترك العرب شيئاً مما وقعت عليه اعينهم أو وقع الى آذانهم او اعتقدوه في أنفسهم الا نظموه في سمط من الشعر وادخروه في سفط من البيان حتى انك لترى مجموع اشعارهم ديواناً فيه من عوائدهم وأخلاقهم وآدابهم وايامهم وما يستحسنون ويستهجنون حتى من دوابهم . وكان القائل منهم يستمد عفو هاجسه وربما لفظ الكلمة تحسبها من الوحي وما هي من الوحي ولم يكن يفاضل بينهم الا اخلاقهم الغالبة على أنفسهم . فزهير أشعرهم اذا رغب ؛ والنابغة اذا رهب ؛ والاعشى اذا طرب ؛ وعنترة اذا كلب ؛ وجرير اذا غضب وهلم جرا .

ولكل زمن شعر وشعراء ولكل شاعر مرآة من أيامه فقد انفرد امرؤ القيس بما علمت واختص زهير بالحوليات واشتهر النابغة بالاعتذارات

وارتفع الكميت بالهاشميات وشمخ الحطيئة باهاجيه وساق جرير قلائصه وبرز عدي في صفات المطيه وطفيل في الخيل والشماخ في الحمير ولقد أنشد الوليد بن عبد المليك شيئاً من شعره فيها فقال ما أوصفه لها اني لاحسب ان أحد أبويه كان حمارا .... وحسبك من ذي الرمة رئيس المشبهين الاسلاميين انه كان يقول « اذا قلت كأن ولم أجد مخلصاً منها فقطع الله لساني» ولقد فتن الناس ابن المعتز بتشبيهاته ؟ وأسكرهم ابو نواس بخمرياته ؛ ورقت قلوبهم على زهريات أبي العتاهية وجرت دموعهم لمرثى أبي تمام وابتهجت انفسهم بدائع البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم .

فمن رجع بصره في ذلك وسلك في الشعر ببصيرة المعري وكانت له اداة ابن الرومي وفيه غزل ابن أبي ربيعة وصبابة ابن الاحنف وطبع ابن برد وله اقتدار مسلم وأجنحة ديك الجن ورقة الجهم ونخر أبي فراس وحنين ابن زيدون وانفة الرضي وخطرات ابن هاني وفي نفسه من فكاهة ابي دلامه ولعينيه بصر ابن خفاجه بمحاسن الطبيعة وبين جنبيه قلب ابي الطيب فقد استحق ان يكون شاعر دهره ؟ وصناجة عصره .

ولا يهولنك ذلك اذا لم تستطع عد الشعراء الذين انتحلوا هذا الاسم ظلماً وألحقوه بانفسهم الحاق الواو بعمرو فكلهم اموات غير احياء وما يشعرون .

وأبرع الشعراء من كان خاطره هدفا لكل نادرة فربما عرضت للشاعر احوال مما لايعنى غيره فاذا علق بها فكره تمخضت عن بدائع من الشعر فجاءت بها كالمعجزات وهي ليست من الاعجاز في شئ ولا فضل للشاعر فيها الا انه تنبه لها . ومن شديده على هذا جاء بالنادر

من حيث لا يتيسر لغيره ولا يقدر هو عليه في كل حين .

وليس بشاعر من اذا انشدك لم تحسب ان سمعه مخبوء في فؤادك وأن عينك تنظر في شغافه ؟ فاذا تغزل اضحكك ان شاء وابكاك ان شاء . واذا تحمس فزعت لمساقط راسك . واذا وصف لك شيئاً هممت بلمسه حتى اذا جئته لم تجده شيئاً . واذا عتب عليك جعل الذنب لك الزم من ظلك . واذا نثل كنانته رأيت من يرميه صريعاً لا اثر فيه لقذيفة ولا مدية ولكنها كلمة فتحت عليها عينه او ولجت الى قلبه من اذنه فاستقرت في نفسه وكأنما استقر على جمر .

واذا مدح حسبت الدنيا تجاوبه واذا رثى خفت على شعره ان يجري دموعاً واذا وعظ استوقفت الناس كلمته وزادتهم خشوعاً ؛ واذا فخر اشتم من لحيته رائحة الملك فحسبت انما حفت به الاملاك والمواكب .

وجماع القول في براعة الشاعر ان يكون كلامه من قلبه فان الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

ولقد رأينا في الناس من تكلف الشعر على غير طبع فيه فكان كالاعمى يتناول الاشياء ليقرها في مواضعها وربما وضع الشيء الواحد في موضعين او مواضع وهو لا يدري .

وابصرنا فيهم كذلك من يجيء باللفظ المونق والوشي النضر فاذا نثرت اوراقه لم تجد فيها الا ثمرات فجه .

ورأينا في المطبوعين من اثقل شعره بانواع من المعاني فكان كالحسناء تزيدت من الزينة حتى سمجت فصرفت عنها العيون بما ارادت ان تلفتها

به على ان احسن الشعر ما كانت زينته منه وكل ثوب لبسته الغانية فهو معرضها .

وهو عندي اربعة أبيات بيت يستحسن وبيت يسير وبيت يندر وبيت يجن به جنوناً وما عدا ذلك فكالشجرة التي نفض ثمرها . وجني زهرها لا يرغب فيها الا محتطب .

اما مذاهبه التي ابانوها من الغزل والنسيب والمدح والهجاء . والوصف والرثاء وغيرها فهي شعوب منه وما انتهى المرء من مذهب فيه الا الى مذهب ولا خرج من طريق الا الى طريق ألم تر انهم في كل واد يهيمون؟ وما دامت الاعمار تتقلب بالناس فالشعر اطوار . آونة تخطر فيه نسمات الصبا ما بين افنان الوصف الى ازهار الغزل . ويتسبسب فيه ماء الشباب من نهر الحياة الى مشرعة الامل . وطوراً تراه جم النشاط تكاد تصقل بمائه السيوف . وتفرق بحده الصفوف . وحينا تجده وقد البسه المشيب ثوب الاعتبار . وجلله بمسحة من الوقار وهو في كل ذلك يروي عن الايام وتروى عنه وما اكثر فنون الشعر اذا رويتها عن افانين الايام

واما ميزانه فاعمد الى ما تريد نقده فرده الى النثر فان استطعت حذف شيء منه لا ينقص من معناه او كان في نثره اكمل منه منظوما فذلك الهذر بعينه او نوع منه . ولن يكون الشعر شعراً حتى تجد الكلمة من مطلعها لمقطعها مفرغة في قالب واحد من الاجادة وتلك مقلدات الشعراء

اليك مثلا قول ابن الرومي يصف منهزما

لا يعرف القرن وجهه ويرى   قفاه من فرسخ فيعرفه

فقلب نظرك بين الفاظه واجله في نفسك ثم ارجع الى قول ذلك

الخارجي وقد قال له المنصور اخبرني أي أصحابي كان أشد اقداماً في مبارزتك فقال ما اعرف وجوههم ولكن اعرف اقفاءهم فقل لهم يدبروا اعرفك . الست ترى في ذلك النظم من كمال المعنى وحلاوة الالفاظ مالا تراه في هذا النثر .

ولقد بقي ان قوماً لم يهتدوا الى الفرق بين منثور القول ومنظومه والذي أراه ان النظم لو مد جناحيه وحلق في جو هذه اللغة ثم ضمهما لما وقع الا في عش النثر وعلى اعواده . ولن تجد لمنثور القول بهجة الا اذا صدح فيه هذا الطائر الغرد . بل لو كان النثر ملكاً لكان الشعر تاجه . ولو استضاء لما كان غيره سراجه .

وما زال الشعراء يأتون بجمل منه كانها قطع الروض اذا توردها خد الربيع . وهذا ابن العباس وكتبه . وابن المعتز وفصوله والمعرى ورسائله . وانظر الى قول بشار وقد مدح المهدي فلم يعطه شيئاً فقيل له لم تجد في مدحه فقال « والله لقد مدحته بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرفه على حر ولكني اكذب في العمل فاكذب في الامل »

وبشار هو ذلك الغواص على المعاني الذي يزعم ابن الرومي انه اشعر من تقدم وتأخر وهو القائل في شعره مفتخراً

اذا ما غضبنا غضبة مضرية　　هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما اعرنا سيداً من قبيلة　　ذرى منبر صلى علينا وسلما

والامثلة على ذلك اكثر من ان تعد . واوسع من ان تحد .

ولا تجد الناظم وقد اصبح لا يحسن هذا الطراز الا اذا كان جافي الطبع كدر الحس غير ذكي الفؤاد لم تجتمع له آلة الشعر وهو اذا كان هناك

وجاء من صنعته بشيء فانما هو نظام وليس بشاعر .

اما الفرق بين المترسلين والشعراء فان كان كما يقول الصابي «ان الشعراء انما اغراضهم التي يرتمون اليها وصف الديار والآثار . والحنين الى الاهواء والاوطار . والتشبيب بالنساء . والطلب والاجتداء . والمديح والهجاء واما المترسلون فانما يترسلون في أمر سداد ثغر واصلاح فساد . أو تحريض على جهاد . أو احتجاج على فئة أو مجادلة لمسألة أو دعاء الى ألفة او نهي عن فرقة او تهنئة بعطية اوتعزية برزيه او ماشا كل ذلك» فذلك زمن قد درج فيه أهله وبساط طوي بما عليه ولم يعد أحد يحذر مؤاخاة الشاعر لانه يمدحه بثمن ويهجوه مجاناً . وانما الفرق بين الفريقين ان مسلك الشاعر أوعر ومركبه أصعب وأسلوبه أدق وكلامه مع ذلك أوقع في النفس وعلى قدر اجادته يكون تأثيره فالمجيد من الشعراء أفضل من غيره في صناعة الكلام وانك انما تزين النثر بالشعر ولا تزين الشعر بالنثر .

وفي الحديث الشريف « انا قد سمعنا كلام الخطباء والبلغاء وكلام ابن أبي سلمى فما سمعنا مثل كلامه من أحد » . وقال الشافعي في كتاب الام الشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام انه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه .

هذا وان من الشعر حكمة ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولوا الالباب .



مقدمة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان فله الحمد سبحانه وتعالى حمداً يوافي نعمه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها والصلاة والسلام على أفصح من نطق بالضاد وعلى آله وأصحابه (أما بعد) فقد دعاني حضرة أخي ناظم هذا الديوان الى شرحه فكنت الى اجابته أسرع من السيل اذا انحدر عالماً انى انما أنسق ازهاراً وأجمع رياحين . لاحاجة بي الى ذكر شيء من أمر الشعر والشعراء فلم يبق في ذلك مجال لقائل وانما أذكر هنا كلاماً قاله الجاحظ يكون عنواناً لما ستراه في هذه الاوراق قال

« افضل الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه ظاهراً في لفظه وكأن الله قد البسه من ثياب الجلاله وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً من الاستكراه منزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على

هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة كساها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهله »

وقد قصدت فيما كتبته من هذا الشرح الى مطلق الفائدة حريصاً على الايجاز وربما ذكرت النادرة لبعض الشبه بينها وبين ما يجيء في النظم ضناً بفائدة المناسبة ان تضيع . وبهذا يكون الكتاب من نظمه ونثره حاجة الاديب وملهاة السائر وأنيس المسافر

وكنت أود لو أمكنني ان أتوسع في القول فأذكر شيئاً مما يمتاز به هذا الديوان ولكن حسبنا ان يحكم القراء بذلك . غير اني لا أجد بداً من أن أذكر لهم ان هذا الشعر الذي يقرأونه في هذا الجزء من نظم صاحبه في سنتي (١٣١٩ و١٣٢٠) على غير تفرغ له وهو الباكورة الشهية ان شاء الله .

والآن أحبس عنان القلم لئلا يحسب الكلام تزكية والبيان اطراء وخير الكلام ما قل ودل

«محمد كامل الرافعي»



الباب الأول

(في التهذيب)

هذه قطع نظمها للنشء العصرى من تلامذة المدارس تهذيباً لانفسهم وتحلية لعقولهم[١]

قال يصف عمر بن الخطاب[٢]

لا زينة المرء تمليه ولا المال ... ولا يشرفه عم ولا خال
وانما يتسامى للملا رجل ... ماضي العزيمة لا تثنيه اهوال[٣]
يريك من نفسه فيما يهم به ... أن النفوس ظبي والناس أبطال[٤]
لا ينثني ان عداه سوء حالته ... وكل حال توافي بعدها حال

---

(٢) تفرض نظارة المعارف على أساتذة اللغة العربية في مدارسها أن ينتحبوا للتلامذة قطعاً من الشعر المفيد يستظهرونها فيحار أصحابنا اذ لا يجدون فيما بين ايديهم من كتب الادب والشعر ما فيه غنى ولكنهم يرضون من الغنيمة بقراضات من الحكم وشذرات من الامثال لا تصيب الغرض الذي ترمي اليه النظارة . اما وقد ظهر هذا الديوان فقد بطل التيمم عند الماء

(٢) هو رجل الاسلام ولي الخلافة يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة من التاريخ وقتل في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنه

(٣) من المجاز ثنيت الرجل على وجهه اذا رجعته الى حيث جاء . وما تثنى أهول الحياة من جعل عزيمته فوقها جسراً وعبر

(٣) الظبى جمع ظبة وهي حد السيف والسنان ونحوهما والمراد هنا بها السيوف مجازاً

الم يكن عمر يرعى المخاض فهل ... ترى العلا بطن واد فيه آبال (١)
وهل سوى نفسه قدسودته وهل ... تنال الا بشق النفس آمال (٢)
رأى الهدى لجلاه للورى قمراً ... مل‌ءالعيون وكل الناس ضلال
وجد في نصرة الهادي ودعوته ... ولايخيب امرءفي الحق فعال
واطلق النفس مما تبتغيه هوى ... وانما شهوات النفس اغلال
ولم يكن احد يلهيه عن احد ... كأنه والد والناس اطفال
بذا تفزعت الدنيا لهيبته ... حتى تداعت عروش الصيد تنهال (٣)
وارهبت اسد الآفاق زأرته ... وملء آفاقها أسد وأشبال (٤)
فثبت الارض يلقي في جوانبها ... كتائباً هن فوق الارض أجبال (٥)
ومد آماله في كل ناحية ... ولا سرير ولا تاج ولا مال
والمرء ان كان انساناً بزينته ... فانما هو بين الناس تمثال (٦)

(١) المخاض الحوامل من النوق وآبال جمع ابل . قيل ان عمراً حج فلما كان بضجنان قال لا اله الا الله العلي العظيم المعطي من شاء ما شاء كنت بهذا الوادي في مدرعة صوف أرعى أبل الخطاب وكان فظاً يتعبني اذا علمت ويضربني اذا قصرت وقد امسيت الليلة ليس بيني وبين الله احد (٢) سودته نفسه جعلته سيداً قال عامر بن الطفيل

فما سودتني عامر عن وراثة ... أبي الله ان اسمو بام ولا اب

(٣) الصيد جمع أصيد وهو مائل العنق كبراً والمراد بهم الملوك وتداعت تهال اقبلت تسقط
(٤) زأرة الاسد صيحته والضمير في آفاقها راجع الى الارض ولم تذكر لان الاضافة في الجملة تدل عليها فكانها مذكورة ومثله قوله تعالى فامشوا في مناكبها والاشبال اولاد الاسد . (٥) الكتائب جمع كتيبه وهي القطعة من الجيش والاجبال جمع جبل شبه الجيوش بالجبال وذكر انه القاها في الارض تثبيتاً لها ان تميد بعد ما تفزعت وانما خلقت الجبال لذلك (٦) عاتب يحيي بن خالد يوماً العتابي على لباسه وكان لا يبالي اي ثوبيه ابتذل فقال ابعدالله رجلا يرى ان يكون جماله في لباسه وعطره انما ذلك حظ النساء واهل لاهواء حتى يرفعه اكبراه همته ولبه ويعلو به معظماه لسانه وقلبه .

وفي الانام رجال كالنجوم إذا | أتى الفتى ما أتوه نال ما نالوا

مجدالمأمون (١)

المجد مابين موروث ومكتسب | والقطر في الارض لا كالقطر في السحب (٢)
وما الفتى من رأى آباءه نجباً | ولم يكن هو إن عدوه في النجب
وان أولى الورى بالمجد كل فتى | من نفسه ومن الامجاد في نسب (٣)
فالشهب كثر اذا أبصرتهن ولا | يعدد الناس غير السبعة الشهب (٤)
وما رقى الملك المأمون يوم سما | للمجد في درجات العز والحسب
ولا استجابت له الاملاك يوم دعا | بفضل أم غذته الفضل أو بأب (٥)
لكن رأى المجد مطلوباً فهب له | ومن يكن عارفاً بالقصد لم يخب (٦)
وعزز العلم فاعتز الانام به | وما الى العز غير العلم من سبب

(١) هو ابو العباس عبد الله المأمون بن هرون ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢١٨ وكانت مبايعته لخمس خلون من صفر سنة ١٩٨ وكان نجم بني العباس في العلم والحكمة وقد اختار شاعرنا من اشهر رجال الاسلام رجلين اتفقا غاية واختلفا مبدأ فعمر رضي الله عنه نشأ في القفر والفقر ونشأ المأمون في الحضارة والعز وكلاهما بلغ بنفسه الغاية التي لا وراءها .

(٢) ليس في المجد الا موروث عن الآباء والاجداد أو مكتسب بالنفس وقد شبه الاول بالمطر ينزل على الارض عفواً فتري اكثره قد انقلب وحلا والثاني بالمياه تبخرها حرارة الشمس فترتفع ذرات في الجو ثم تتكاثف سحباً وهي اتقى ما تكون .

(٣) فلان في نسب من نفسه اي انه يقول ها انا ذا لا يقول كان أبي

(٤) هي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر .

(٥) الاملاك جمع ملك وقد كان المأمون كاتب الملوك في ان يتحفوه بما عندهم من نفائس كتب الاولين وقيل انه جعل من شروط صالحه مع بعضهم ان يبعث اليه بما عنده منها وهو الذي استخرج كتاب اقليدس وأمر بترجمته وتفصيله (٦) القصد استقامة الطريق ومن عرف كيف [illegible] حاجته بلغها .

ودولة السيف لا تقوى دعامتها ... مالم تكن حالفتها دولة الكتب[١]
ومن يجدّ يجد والنفس ان تعبت ... فربما راحة جاءت من التعب[٢]
ويل لمن عاش في لهو وفي لعب ... فميتة المجد بين اللهو واللعب
(ألم تر الشمس في الميزان هابطة ... لما غدا برج نجم اللهو والطرب)[٣]

الكمال في التربية

لكل فتى من الدنيا كمال ... فما نقص الورى الا الفعال
ومن لم يرشدوه في صباه ... تحكم في شبيبته الضلال
فما قلب الصغير سوى كتاب ... تسطر في صحائفه الخلال[٤]
ونفس المرء في جنبيه نصل ... ولسن بغير حاملها النصال
فكم رجل ترى فيه صبياً ... وكم من صبية وهم رجال
وان هي لم تكن صقلت طواها ... على صدإ فما يجدي الصقال[٥]
ومن لم يغذه أبواه طفلا ... هوى العلياء أسقمه الهزال

(١) الدعامة بالكسر عماد البيت والخلاف في تفضيل دولة القلم على دولة السيف مشهور وممن فضل الاول ابن الرومي وممن فضل الثاني المتنبي

(٢) ما اذا دخلت على رب كفتها عن العمل وقد تعمل قليلا وفي رب ثماني عشرة لغة ليس هذا موضع بسطها ٠

(٣) هذا البيت لابي الفتح البستي وهو هنا تضمين

(٤) الخلال جمع خلة بالفتح وهي الخصلة من خصال الانسان

(٥) ان السيف لا يكون عضباً حتى يصقل والنفس لا تنفع صاحبها حتى تجلو صفحتها العلوم والتجارب فان لم تكن صقلت بذلك طواها صاحبها بين جنبيه على صدأ الجهل وشب بعد ذلك فلا ينفعه التعلم وقد شاب

الاعتماد على النفس

المرء يمنى بالرجا واليأس ... ويضيع بينهما ضعيف البأس[1]

فاذا عزمت فلا تكن مترددا ... فسد الهوا بتردد الانفاس

واذا استعنت فبالتجارب انها ... للنفس كالاضراس للاضراس

وعلام ترجو الناس في الامر الذي ... يعنيك أنت وأنت بعض الناس[2]

النفس قوس والعزيمة سهمها ... فارم الرجا من هذه الاقواس

وأضئ حياتك بالمعارف انما ... هي في ظلام العمر كالنبراس

واجعل أساس النفس حب الله اذ ... لاخير في بيت بغير أساس[3]

زمن الدراسة

زمن كالربيع حل وزالا ... ليت أيامه خلقن طوالا

يحسب الطفل انه زمن الهم ... وما الهم يعرف الا طفالا

يابني الدرس من تمنى الليالي ... كلياليكم تمنى المحالا

---

(١) منى بكذا مبني للمفعول ابتلي به والمرء في هذه الحياة مبتلي برجاء تنزع اليه نفسه ويأس ثار رجوه وبينهما موقف للاماني يقفه كل ضعيف البأس واهي العزيمة والاماني كما قيل رأس مال المفلس (٢) لكل انسان منافع لا تعني غيره ومنافع لا ينالها الابغيره والناس كلهم مشتركون في هذه فمن سعى لحاجة فقد نالها بنفسه في الحقيقة اذ لولا سعيه لما جاءته ومن امثال الانكليز ان الارانب لا تسعى الى افواه الكلاب النائمة . أما منافعه التي لاتعني سواه فهو حين يرجو الناس في امرها كالميت لايكفن ولا يحمل حتى يكفنه ويحمله سواه (٣) قال حكيم لابنه وهو يعظه يابني قد خلقك الله فسواك فعدلك وان نعمه عليك وعلى الناس لفوق الحصر فان احببتني فلانه اوجدني واوجدك مني وان احببت نفسك فلانعمه التي أسبغها عليك فاحبب الله تقم بحقه وحق وحق نفسك .

(٤) ان كلام الشاعر في هذه القطعة من السحر فقد نفذ ببيانه . الى نفس الطفل وجنانه . فجعل يرجم كل شيطان من الوهم بشهاب من العلم حتى اذا اخلى عقله من خياله وخباله ملأه بحكمة لاينساها الا اذا نسي صباه وان لم يكن هذا هو البيان فما هو اذن؟

ليلة بعد ليلة بعد أخرى   وليالي الهنا تمر عجالا
قد خبرنا الانام في كل حال   فاذا الطفل أحسن الناس حالا
وهو ان جد لم يزل في صعود   وكذا البدر كان قبل هلالا
غير ان الكسول في كل يوم   يجد اليوم كله أهوالا
ويرى الكتب والدفاتر والاقلا   م وأوراق درسه أحمالا [1]
واذا ما مشى الى قاعة الدر   س ذراعاً يظنه أميالا [2]
من يقم في الامور بالجد يهنا   والشقا للذين قاموا كسالى [3]
وزمان الدروس أضيق من ان   يجد الخاملون فيه مجالا
أيها الطفل لاتضيع زماناً   لست تلقى كمثـ ـله أمثالا
ربما نلت مايفوت وهيها   ت اذافاتك الصبا ان تنالا

بعد المدرسة

ما لأيام ذا الصبا تتفانى   وقديماً عهدتها تتوانى [4]
ذهبت بالصبا سلام عليها   من فؤاد بحبها ملآنا

---

(١) ينعكس في عين الكسول كل شيء من أمر العلم وعلامته أن لا يظهر عليه سروره . قال بعض الحكماء لتاميذه وقد ضرب الموسيقي أفهمت قال نعم قال بل لم تفهم لاني لاارى عايك سرور الفهم

(٢) مُشي ذراعا اي قدر ذراع وهو من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى وهذا شيءٌ رأيناه باعيننا فهل يحس الكسول بعد ذلك ام يكون كميت الوغى لايؤلمه وخز الاسنه .

(٣) اقتباس من قوله تعالى « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى »

(٤) سمى ايام الدراسة ايام الصبا لان مابعدها كله من هم المشيب . ويعجبني ان أديباً سأل بعض ظرفاء الفرنسويين عن الشهر الذي يقضيه العروسان معا في الخلاء بعد زواجهما لماذا يسمونه شهر العسل فقال لان مابعده مركله

كل ذي حالة سيمنى باخرى ويلاقي بعد الزمان زمانا
والفتى من اذا تغير حال لم يقف في وجوهه حيرانا (١)
هذه ساعة الحصاد فمن كا ن تعنى أراحه ماعانى (٢)
والذي يزرع التهاون في الاشياء لا يجتنيه الا هوانا
ليس يجدي الانسان ان يأمل النا س فلاناً من قومه وفلانا
فاسع في الارض ان عقبان هذا الجو لا يرتضين منه مكانا (٣)
واحذر الناس انما يأمن النا س صبي يظنهم صبيانا
واركب الجد في الامور ولا تجبن اذا فات بعضها أحيانا (٤)
ان هذا الوجود كالحرب لا يكرم في الحرب من يكون جبانا

الشرف بالمعارف

ان المعارف للمعالي سلم وأولو المعارف يجهدون لينعموا
والعلم زينة أهله بين الورى سيان فيه أخو الغنى والمعدم (٥)

(١) يريد بهذا ان الفتى من كان عارفاً بطرق منافعه في كل امر فان تغيرت حال غير طريقه وكما قيل

البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها

(٢) تعنى وعاني بمعنى كد وتعب

(٣) العقبان جمع عقاب ومن عجيب امرها وفيه موعظة انها اذا صادت الارانب تبدأ بصيد الصغار ثم بصيد الكبار بعد ذلك وقيل لبشار بن برد لو خيرك الله ان تكون حيواناً ماذا كنت تختار قال العقاب لانها تابث حيث لا يبلغها سبع ولا ذو اربع وتحيد عنها سباع الطير (ولا تعانى الصيد الا قليلا بل تسلب كل ذي صيد صيده) ولعل هذا من سخط بشار على الناس .

(٤) ذكر بعض الزهاد انه مازال يرقب احدى حاجاته اربعين سنه يسأل الله ان ييسرها له ولم ييأس حتى نالها

(٥) أعدم الرجل افتقر فهو معدم

فالشمس تطلع في نهار مشرق ... والبدر لايخفيه ليل مظلم [١]
لافخر في نسب لمن لم يفتخر ... بالعلم لولا الناب ذل الضيغم [٢]
وأخو العلا يسعى فيدرك ماابتغى ... وسواه من أيامه يتظلم
والخاملون اذا غدوت تلومهم ... حسبوك في أسماعهم تترنم [٣]
في الناس أحياء كأموات الوغى ... وخز الاسنة فيهم لايؤلم
فاصدم جهالتهم بعلمك انما ... صدم الجهالة بالمعارف أحزم
واخدم بلاداً أنت من أبنائها ... ان البلاد بأهلها تتقدم
واملأ فؤادك رحمة لذوي الاسى ... لايرحم الرحمن من لايرحم [٤]

الاجتهاد

لقد كذب الآمال من كان كسلانا ... وأجدر بالاحلام من بات وسنانا [٥]
ومن لم يعان الجد في كل أمره ... رأى كل أمر في العواقب خذلانا

«١» الغني والفقير سيان في الانسانية الا ان هذا من فقره في وجود مظلم وذلك من يساره في وجود مشرق والعلم على اي الحالين نور لصاحبه فهو فيهما كالنور في الشمس والقمر لا ينقص من قدر هذا ليله المظلم ولا يزيد في قدر تلك نهارها المشرق وانما التفاوت بينهما على حسب مقدار الضوء في كليهما

«٢» الضيغم من اسماء الاسد وقد جمع له جلال الدين السيوطي رحمه الله سمائة وسبعين اسماً في رسالة سماها فطام اللسد في اسامي الاسد .

«٣» اذا كان الاحول يرى الشيء شيئين فلا عجب اذا سمع الخامل صيحة الزجر غناء ...

«٤» قال ميمون بن هارون كان محمد بن عبد الملك يقول الرحمة خور في الطبيعة وضعف في المنة مارحمت شيئاً قط فلما وضع في الثقل والحديد قال ارحموني فقالوا له وهل رحمت شيئاً قط هذه شهادتك على نفسك وحكمك عليها

«٥» الامل كالحلم يلذ المرء لحظة وينقضي فاذا جد حققه واذا كسل خيبه ومن نام فهو اجدر باضغاث الاحلام.

وما المرء الا جده واجتهاده وليس سوى هذين للمرء أعوانا
كأن الورى يجرون طرا لغاية وقد دحيت هذي البسيطة ميدانا (١)
فمن كان مقداماً فقد فاز جده وباء بكل الويل من ظل حيرانا (٢)
فلا تتقاعد إن تلح لك فرصة ولا تزدر الشيء الحقير وان هانا (٣)
ولا تعد أخلاق الكرام فانما بأخلاقه الانسان قد صار إنسانا

العلم والعمل

آفة العالم ان لا يعملا وشقا الجاهل ان لا يسألا
إنما العلم كمثل المال لا تنفع الاموال حتى تبذلا (٤)
ولكل الناس فقر شامل والغني فقره ان يبخلا (٥)
وأخو العلم كرب المال لا يستزيد المال حتى يعملا (٦)
والكسول يتغنى آخراً بالذي قد علموه أولا (٧)
واذا كان من العلم شقاً فنعيم المرء في أن يجهلا

«١» دحا الله الارض بسطها

«٢» الجد بالفتح الحظ

«٣» لابن عباس ان الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما . وقال علي رضي الله عنه الهيبة مقرونة بالخيبة والحياء مقرون بالحرمان والفرص تمر مر السحاب .

«٤» يقال من كتم علماً فكانه جاهله

«٥» لكل امرئ فقر حاصل أو متوقع فالغني ان جاد كان فقره متوقعاً لانه لا يأمنه وان بخل فالذي فعل هو الفقر ومما يجمل ذكره ان الاحنف بن قيس المشهور باصالة الرأي كان بخيلا فقال مرة لبني تميم أتزعمون اني بخيل والله لأشير بالرأي قيمته عشرة آلاف درهم فقالوا تقويمك لرأيك بخل

(٦) في الحديث الشريف من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم . (٧) قال بعض الحكماء لمريديه اذا بقي البليد في العلم بليداً في العمل بما علم كان في نفيه الجهل بما تعلمه كمن ينفض التراب من نعله على رأسه

حامل العلم ولم يعمل به　　كالحمار حامل ما حملا
وإذا لم يك الا علمه　　كانت الاوراق منه أفضلا
خاب من قال ولم يفعل فما　　يفلح القائل حتى يفعلا (١)

الوطن

بلادي هواها في لساني وفي دمي　　يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده　　ولا في حليف الحب ان لم يتيم (٢)
ومن تؤوه دار فيجحد فضلها　　يكن حيواناً فوقه كل أعجم (٣)
ألم تر ان الطير ان جاء عشه　　فآواه في اكنافه يترنم
وليس من الاوطان من لم يكن لها　　فداء وان أمسى اليهن ينتمي
على انها للناس كالشمس لم تزل　　تضيء لهم طراً وكم فيهم عمي
ومن يظلم الاوطان أو ينس حقها　　تجئه فنون الحادثات بأظلم
ولا خير فيمن ان أحب دياره　　اقام ليبكي فوق ربع مهدم
وقد طويت تلك الليالي باهلها　　فمن جهل الايام فليتعلم (٤)
وما يرفع الاوطان الا رجالها　　وهل يترقى الناس الا بسلم
(ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله　　على قومه يستغن عنه ويذمم) (٥)

---

(١) قال بعض النساك أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهي من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه.

(٢) تيمه الحب عبده (٣) الانسان حيوان ناطق وغيره من الحيوانات أعجم

(٤) تلك هي الليالي التي كانت آية حب الوطن فيها ان يبكي عليه أهله بعد خرابه ....

(٥) هذا البيت من معلقة زهير بن أبي سلمى المشهورة ومكانه هنا أحق به من مكانه هناك

ومن يتقلب في النعيم شقي به اذا كان من آخاه غير منعم [1]

وقال

ليتلوها طفل صغير في الاحتفال بامتحان تلامذة احدى مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

لكم سادتي اجل احترامي وعليكم تحيتي وسلامي
واليكم اسوق عني حديثاً حكماً جل قدرها في الكلام
كنت في حجر والديّ رضيعاً همتي في البكاء أو في المنام
ثم أصبحت بعد ذلك طفلا لا اقاسي سوى عذاب الفطام
ثم لما شببت انطقني اللـ ـه مفيض الجميل والانعام
واهب السمع والبصائر والابصار معطي العقول الافهام
ثم ميزت كل شيء أراه وعرفت الضيا ولون الظلام
ورأى الله أن يقدر لي الخيـ ـر وأحظى باوفر الاقسام
فأتى بي الى المدارس أهلي وجعلت العلوم فيها مرامي

---

(١) من أسوأ الاخلاق شح النفس يرى المرء جيرانه واخوانه في الوطنية يتضورون جوعاً وهو ممتلئ البطن ويفترشون الحصى وهو يتماسى في الخز وقد كان العرب يأنفون ذلك أما اليوم فهذا الشح من حسنات التمدن الذي ألف أهله سماع لفظة الموت من الجوع فاذا قلت لاحدهم ان مائة نفس ماتوا جوعاً فكأنما قلت له عم صباحاً (بنجور) .... وفي هذا الجو نشأ الفوضويون .

(تنبيه) هذه من القطع التي تطلب للنشء من تلامذة المدارس وقال ناظمها انه اذا وجد الناس أقبلوا عليها أقبل هو على نظم غيرها مما هو أرقى غير مبال بوعورة هذا المسلك الذي لم يسلكه قبله احد فها نحن اولاء ننتظر من الصحافيين وشبان العصر ان يأخذوا بيده في هذا المشروع حتى لا يغيض ما بقي في ذلك الينبوع وما هو عليهم اذا شاءوا بعزيز

دفتري صاحبي ولوحي رفيقي ... وكتابي في كل فن امامي
فتعلمت ماتعلمت مما ... أتباهى بعلمه في الانام (١)
راجياً ان اكون بالعلم يوماً ... في بلادي من الرجال العظام
فاشيد المدارس الشم فيها ... لبني البائسين والايتام
وأربي على محبتها القو ... م لترقي بهم على الاقوام
سادتي انشروا العلوم لتشفي ... ما يجسم البلاد من اسقام
انها روحها وما بسوى الرو ... ح سكون الحياة في الاجسام

وقال ليتلوها طفل اصغر من ذاك

نحن في هذه المدارس نسعى ... لنبر الوالدات والوالدينا
وترانا اوطاننا خير قوم ... فقلاح الاوطان في ايدينا
عن قريب نكون فيها رجالا ... ونربى بناتنا والبنينا
فادرأوا الجهل بالمعارف عنا ... واتقوا الله ايها الناس فينا
رب هذي يد الضراعة والذل ... فوق عبادك المحسنينا
يا إلهي دعاك طفل صغير ... فتقبل يا اكرم الاكرمينا (٢)

(١) دخل الرشيد على المأمون وهو يسطر في كتاب فقال ما هذا فقال كتاب يشحذ الفكرة ويحسن العشرة فقال الحمد لله الذي رزقني من يرى بعين قلبه اكثر مما يرى بعين جسمه . ولو ان كل اطفالنا يأخذون بقول شاعرنا لما بقينا حيث نحن الآن وراء كل متقدم والامر لله

(٢) اللهم تقبل ووفق عبادك المحسنين . حدث ان شاعرنا كان حاضراً ذلك الاحتفال فلم يتمالك ان بكى حينما سمع هذه الالفاظ الكبيرة يصيح بها ذلك الطفل فخرج من فمه الصغير ورآه بسط يده خاشع الطرف رافعاً رأسه الى السماء يسأل الله ان يوفق عباده المحسنين . على حين ان هؤلاء (المحسنين) الحاضرين كانوا كالحجارة او أشد قسوة فلا ندري الى متى هذا الجمود

وقال

يشجع لمجد الشرق القديم ويضرب الامثال للشرقيين لعلهم يتذكرون

تمايل دهرك حتى اضطرب ... وقد ينثني العطف لا من طرب

ومر زمان وجاء زمان ... وبين الزمانين كل العجب

فقوم تدلوا لتحت الثرى ... وقوم تعلوا لفوق الشهب

لقد وعظتنا خطوب الزمان ... وبعض الخطوب كبعض الخطب

ولو عرف الناس لم تهدهم ... سبيل المنافع الا النوب

فيارب داء يكون دواءاً ... اذا عجز الطب والمستطب

ومن نكد الدهر ان الذي ... ازاح الكروب غدا في كرب

وان امرءاً كان في السالبين ... فاصبح بينهم يستلب

ألست ترى العرب الماجدين ... وكيف تهدم مجد العرب

فأين الذي رفعته الرماح ... وأين الذي شيدته القضب

وأين شواهق عز لنا ... تكاد تمس ذراها السحب (١)

لقد أشرق العلم من شرقنا ... وما زال يضؤل حتى (غرب) (٢)

وكنا صعدنا مراقي المعالي ... فأصبح صاعدنا في صبب (٣)

وكم كان منا ذووا همة ... سمت بهم لمعالي الرتب

وكم من هزبر تهز البرايا ... بوادره إن ونى أو وثب (٤)

وأقسم لولا اغترار العقول ... لما كف أربابها عن أرب

---

(١) بلغ العرب في ثمانين سنه مالم يبلغه الرومان في ثمانية قرون ودولتهم اذ ذاك اقوى دول الارض

(٢) ما زال يدق ويخفى (٣) الصبب الانحدار (٤) الهزبر من اسماء الاسد

ولولا الذي دب ما بينهم ... لما استصعبوا في العلا ما صعب
ومن يطعم النفس ما تشتهي ... كمن يطعم النار جزل الحطب
ألا رحم الله دهراً مضى ... وما كاد يبسم حتى انتحب
وحيي ليالي كنا بها ... رعاة على من نأى واقترب
فلكاً نقيل إذا ما كبا ... وعرشاً نقيم اذا ما انقلب (١)
سلوا ذلك الشرق ماذا دهاه ... فأرسله في طريق العطب
لو ان بنيه أجلوا بنيه ... لاصبح خائبهم لم يخب
فقد كان منهم مقر العلوم ... كما كان فيهم مقر الادب (٢)
وهل تنبت الزهر أغصانه ... إذا ماء كل غدير نضب
وكم مرشد بات ما بينهم ... يسام الهوان وسوء النصب
كأن لم يكن صدره منبعاً ... لما كان من صدره ينسكب
ومن يستبق للعلا غاية ... فأولى به من سواه التعب
وليس بضائر ذي مطلب ... اذا كفه الناس عما طلب
فكم من مصابيح كانت تضيء ... بين الرياح إذا لم تهب
وما عيب من صدف لؤلؤ ... ولا عاب قدر التراب الذهب

(١) يقال أن ملوك الاندلس كان من مبلغ سطوتهم انهم كانوا يقيمون ملوك الافرنج اذا انقلبوا عن عروشهم وكانت وفود الملوك تجيء من المانيا واليونان الى الامير عبد الرحمن الثالث امير الاندلس المشهور تزلفاً واسترضاء وتاريخ الخلفاء الاسلاميين مفعم باكثر من هذا . ولا اظن ان ذا احساس يرمي بنظره الى تلك الذروة التي ارتقى اليها مجد الاسلام ثم يمر على الايام الاخرى منحدراً حتى يصل الى الحضيض الذي نحن فيه اليوم ولا تتصعد زفراته حتى تبلغ مقر نظره وتنزل عبراته حتى تقف حيث هو والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم

(٢) بحسبك ان فلسفة ارسطو استاذ الفلاسفة لم تقم الى الافرنج الا من صحائف العرب

بني الشرق أين الذي بيننا ... وبين رجال العلا من نسب
لقد غابت الشمس عن أرضكم ... الى حيث لو شئتم لم تغب
الى الغرب حيث أولاء الرجال ... وتيك العلوم وتلك الكتب (١)
فان كان هذا بحكم الزمان ... فتبت يداً ذا الزمان وتب
وان كان مما أردتم فما ... تنال العلا من وراء الحجب
فدوروا مع الناس كيف استداروا ... فان لحكم الزمان الغلب
ومن عاند الدهر فيما يحب ... رأى من أذى الدهر ما لا يحب

وهذه شذرات من الحكمة الحقناها بهذا الباب

قال

رويداً انما الايام سفر ... اذا وفد تولى جاء وفد (٢)
كأنا في الجحيم فمن تفرى ... له جلد تبدل منه جلد (٣)
أرى قوماً أعدوا ما استطاعوا ... لدهرهم وقوماً ما أعدوا
فلا يغررك من أحد وداد ... فليس لواحد في الناس ود
رموا شبكاتهم في كل ماء ... فلو راموا السماء اذاً لجدوا

وقال

حمل فؤادك ما يليق ولا تكن ... حزناً فان الحزن ليس بطاق
كم مملق أمسى الثراء ببابه ... ولكم رماه على الثرى الاملاق (٤)

(١) اصبح الشرق من ظلمته غرباً والغرب من نوره شرقاً واسم كليهما كما هو الشرق شرق والغرب غرب
(٢) السفر كالركب المسافرون (٣) تفرى الجلد تقطع وهذا المعنى من قوله تعالى في أهل الجحيم « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب »
(٤) الثراء بالمد الغنى وبالقصر التراب مجازاً والاملاق الفقر

واقنع برزقك ما كفاك فانما　　زاد المسافر هذه الارزاق
والناس كالركب الذين اذا سروا　　ناموا ولكن المطي تساق [١]

وقال

ربما دها حزن　　فيه راحة المهج
والذي يقدره　　قادر على الفرج

وقال

اذا صحت في شرقنا صيحة　　وقلت أرى الغرب منا اقرب
فما أنت مسمع من في القبور　　ولا أنت مفزع من في السحب

وقال

زرعنا فلم نحصد وكان جدودنا　　متى يبذروا في أرضنا الحب يحصدوا
وما قتل المحل البلاد وانما　　أصاب الصدا محراثنا فهو مبرد [٢]

وقال في انسان لا فخر فيه وهو يفتخر باجداده

يامن يرى الفخر باجداده　　لست من الاجداد لو تدري
وما أرى أعجب من جدول　　ينضب والأمواه في النهر [٣]

(١) شبه الاعمار بالمطي وهي مسوقة الى الفناء لا تغفل وان غفل الناس كالركب الدين يسيرون ليلا ينامون ومطيهم تساق

(٢) يريد ان الشرقيين اهملوا الاخذ بالاسباب التي ارتقى بها اجدادهم ومثل لذلك بهذا التمثيل البديع وهو ان المحراث اذا ترك علاه الصدأ فاذا طال عليه الامد كان في خشونة ملمسه كالمبرد والمبرد لا يصلح للحرث وكيف يحصد من بذر الحب ولم يحرث له

(٣) الجدول الترعة الصغيرة التي تستمد من النهر والامواه جمع ماء والمراد ان اجداده ممتلئون بالفخر وهو لا فخر فيه فلو كان منهم اي نسباً وهمة لا نسبا لكان مثلهم في شيء من ذلك الفخر

فاترك عظام الناس في قبرها   ولا تقل زيدي ولا عمري

ان كان بالعظم فخار الفتى   فما أحق الكلب بالفخر

وقال

لا تسأل الكذاب عن نياته   ما دام كذابا عليك لسانه

ينبيك ما في وجهه عن قلبه   ان الكتاب لسانه عنوانه [1]

وقال

كل امرئ يسعى بما في وسعه   اما الى السرا أو الضراء

وأرى الحظوظ ألفن كل مرفه   ونأت بجانبها عن البؤساء [2]

سبحانك اللهم تعطي ذا الغنى   وتقتر الارزاق للفقراء

وقال

أرى الدنيا تؤول الى زوال   وينضم الامير الى الحقير

فان كان الغنى كالفقر يفنى   فما شرف الغني على الفقير

وقال

اذا ما استشارك ذو كربة   فضيق عليه طريق الامل

فان النفوس يؤملن حتى   ليدخلن سم الخياط الجمل [3]

وقال

ياويح دهري لم يبق في بنيه نصيح

---

(١) قال حكيم الكذاب والميت سواء لان فضيلة الحي النطق فاذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته (٢) المرفه ذو الرفاهة وهي رخاء العيش والنعم والبؤساء الفقراء البائسون

(٣) سم الخياط هو الثقب الذي يكون في رأس الابرة والنفس اذا انطلقت في الامل لا يصعب عليها أن تدخل فيه الجمل ولذلك قال افلاطون اذا قويت نفس الانسان انقطع الى الرأي واذا ضعفت انقطع الى البخت والبخت ابن الامل

فلا فؤاد سليم   ولا وداد صحيح
وكل ما يخبأ القلب في العيون يلوح
وكلنا في عناء   فمن أذن يستريح

وقال

اذا مادعاك الحق للظلم مرة   وقد كنت ذا حلم فلا تك ذا حلم
فان من الاشفاق ان زاغت النهى   عن الحق ميل المشفقين الى الظلم (١)

وقال

ان ضقت بالعسر فلا تبتئس   فربما دل على ضده
كالبرق يحكي في سناه اللظى   وقد يكون الغيث من بعده
فكل الى الله وبت راضياً   فكل ما مسك من عنده (٢)

رمضان

فديتك زائراً في كل عام   تحيي بالسلامة والسلام
وتقبل كالغمام يفيض حيناً   ويبقى بعده أثر الغمام
وكم في الناس من دنف مشوق   اليك وكم شجي مستهام
رمزت له بالحاظ الليالي   وقد عيّ الزمان عن الكلام (٣)
فظل يعد يوماً بعد يوم   كما اعتادوا لايام السقام

---

(١) زاغت النهى عن الحق مالت عنه والنهى هي العقول فاذا مالت عن الحق فالاشفاق عليها ارجاعها اليه وان ظلمت ولذلك كان خير الناس المستبد العادل

(٢) السنا النور واللظى اللهب ووكل امره الى الله سلمه اليه وتوكل عليه والجناس بين لفظة فكل الاولى ولفظة فكل الثانية لا يحتاج الى بيان وقدمر شيء كثير من البديع لم ننبه عليه لظهوره بغير تأمل

(٣) عيّ عن الكلام عجز

ومد له رواق الليل ظلا   ترف عليه أجنحة الظلام
فبات وملء عينيه منام   لتنفض عنهما كسل المنام
ولم أر قبل حبك من حبيب   كفى العشاق لوعات الغرام
فلو تدري العوالم ما درينا   لحنت للصلاة وللصيام
بني الاسلام هذا خير ضيف   اذا غشي الكريم ذرى الكرام (١)
يلمكم على خير السجايا   ويجمعكم على الهمم العظام
فشدوا فيه ايديكم بحزم   كما شد الكمي على الحسام
وقوموا في لياليه الغوالي   فما عاجت عليكم للمقام
وكم نفر تغرهم الليالي   وما خلقوا ولا هي للدوام
وخلوا عادة السفهاء عنكم   فتلك عوائد القوم اللئام (٢)
يحلون الحرام اذا ارادوا   وقد بان الحلال من الحرام
وما كل الانام ذوي عقول   اذا عدوا البهائم في الأنام
ومن روته مرضعة المعاصي   فقد جاءته ايام الفطام

(١) الذرا المنزل ومن اسمائه المعان والبيت والوكن

(٢) يشير الى العوائد المحرمة التي يستقبل بها العامة رمضان ويودعونه ماسوا منها



الباب الثاني

(في المديح)

قال يمدح أمير المؤمنين . وخليفة الرسول الامين . ويهنئه بعيد جلوسه الميمون لسنة ١٩٠١ ويذكر حادثة الارصفة التي كانت يومئذ وتهديد فرنسا للدولة العلية حرسها الله

أراك الحمى هل قبلتك ثغورها ... فمالت باعطاف الغصون خمورها (١)
وحنت الى سجع الحمام كأنه ... رنين الحلى اذ لاعبتها صدورها
عذيري من تلك الحبيبة مالها ... تقول عذيري والمحب عذيرها (٢)
يقلب عينيه اليها ضميره ... ويلفت عينيها اليه ضميرها
وما كل ما يخشاه منها يضيره ... ولا كل ماتخشاه منه يضيرها
وقام اليّ العاذلات يلمنني ... فقلن ألا (تنفك) قلت أسيرها (٣)
لئن لم يكن للظبي سحر عيونها ... فما شيمة الغزلان الا نفورها
وما شفني الا النسيم وتيهه ... عليّ اذا مالاعبته خدورها
ألا فاعذلوا اقدم ما كنت حاذرا ... وعادت ليالي الدهر يحلو سرورها

(١) الأراك شجر يستاك باعواده . وكان نساء العرب يستعملن السواك
(٢) العذير مبالغه في العاذر وهو هنا خبر لمبتدأ محذوف أي من عذيري
(٣) أردن أن يقلن ألا تنفك تحبها فاسرع فقال أسيرها قبل أن يقلن تحبها ففالطهن واسجل حبها وقد اجتمع في لفظة « تنفك » التورية والطباق وفي البيت الاسجال بعد المغالطة

وأصبحت الدنيا تضاحك أهلها ... ويبسم فيهم بشرها وبشيرها
تتيه بأعياد الملوك وكيف لا ... وعيد (أمير المؤمنين) أميرها
أعاد به روح الخلافة ربها ... وجاء لها بالنصر فيه نصيرها
فراعت صناديد الملوك وماسوى ... مليك البرايا قد أقل سريرها
وجار عليها الدهر شعثاً خطوبه ... فهب لها (عبد الحميد) يجيرها
بصير بنور الله في كل أزمة ... ترد عيون الصيد حسرى ستورها[1]
وطار بها لا يرتضي النجم غاية ... تمد جناحيها عليه طيورها
يظن عداه أن في الناس مثله ... فيا ويحهم شمس الضحى ما نظيرها
وغر (فرنسا) أن ترى الليث باسما ... فلم تدر حتى لج فيها (سفيرها)[2]
ايجلوك ياعضب السباما هذت به ... وقبلك ماضر النبي هريرها[3]
وكم دولة جالت امامك جولة ... وسيقت كما ساق الشياه غرورها[4]
ملأت عليها الارض أسداً عوابساً ... يردد بين الخافقين زئيرها
فمالت بهم ان شئت يوماً قفارها ... وماجت بهم ان شئت يوماً بحورها

---

(١) صدر البيت من قوله صلى الله عليه وسلم «اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل» وعجزه من قوله تعالى «ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير» (٢) سفيرها هو المسيو كونستان المشهور في تلك الحادثة وقد انتهت بسلام [illegible] الشاعر . (٣) يشير الى المقالة التي كتبها المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا في الطعن على الاسلام وما تضمنه فيها من قول كيون في النبي عليه الصلاة والسلام والهرير نباح الكلاب . (٤) يسوقها الطمع في غيرها والغرور بنفسها كما تسوق الشاة للمجزرة وهي تحسب انها ذاهبة الى المرعى وقال ان أشعب الطماع سئل هل رأيت أطمع منك فقال نعم شاة في فلاروات [illegible] وهي على سطح [illegible] فوثبت اليه فاندقت عنقها وهذه مثل الدول التي تطمع في دولتنا العلية حرسها الله

وقد صفت الآجال في حومة الوغى　　وحامت على القوم العداة نسورها
إذا انتضلت رسل المنيات أحجمت　　جيوشهم فاستعجلتها قبورها (١)
وما لسيوف الترك يجهلها العدى　　وقد عرفتها قبل ذاك نحورها (٢)
يهز اليك المسلمين صليلها　　وان ضم منهم جانب الصين سورها (٣)
ليهن أمير المؤمنين جلوسه　　على العرش وليهن البرايا سرورها
فقد طارح (البوسفور) مصر تحية　　أضاءت لها في جانبيها قصورها
وشاهد أهلوها من الغيب نوره　　ولاح لاهليه من الغيب نورها
وقام فتاها ينطق الورق سجعه　　وقد هز عطفيه إليها هديرها (٤)
بصادحة لا يطرب القوم غيرها　　وهل أنا للاشعار الاجريرها (٥)

(١) انتضل القوم تراموا بالنبال والمثل ظاهر في اليونان

(٢) انما قال يجهلها ولم يقل يعرفها لان المخذول يتجاهل خذلانه دائماً فان شهد به عليه أثر فيه كان ادعى لتبكيته وعلى هذا جاء قوله تعالى « يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم الآيه » وكان من هذا المعنى البديع الطباق بين الجهل والعرفان (٣) صليل السيوف صوت قراعها وسور الصين مشهور ينسب المؤرخون تأسيسه لامبراطور الصين (تسين سي هونج) الذي كان ملكا قبل الميلاد المسيحي بالفي سنة . ويقال ان المواد التي بني بها هذا السور تكفي لبناء حائط يحيط بالكرة الارضية كلها مرتين ويكون ارتفاعه ستة اقدام وعرضه قدمين . وبعضهم يحسب هذا السور سد يأجوج ومأجوج المذكور في القرآن الشريف وهو خطاء .

ويقال ان أول من دخل الى الصين من المسلمين رجل من الصحابة يدعى (وهاب ابن رعشه) سافر اليها بعد الهجرة ونشر هناك الدين الحنيف وقيل غير ذلك والله اعلم وتاريخ الاسلام في الصين مشهور لا حاجة الى ذكر شيء منه هنا

(٤) الورق الحمام جمع ورقاء وهديرها صوتها (٥) هو ابو حزره جرير بن عطيه الشاعر المشهور كان حامل لواء الشعر في زمنه وأخباره مستفيضة وحسبك بشاعر يفاخر بأبيه ثمانين شاعراً ويقارعهم به فيغلبهم جميعاً على ما كان للشعراء يومئذ من ذلاقة اللسان في هذا الضرب من الشعر وفي البيت الالتفات وهو معروف

ترف قوافيها إذا هي أقبلت   ترف معانيها اليك سطورها
وما قدم الماضين أن زمانهم   تقدم ان بذ الجياد أخيرها (١)

وقال

يمدح الجناب العالي الخديوي ويهنئه بعيد جلوسه السعيد على الاريكة الخديوية لسنة ١٩٠٣

شكوت هواها فاشتكتني للهجر   وقد غلب الامران فيها على أمري
وبت ولا من حيلة غير أنني   أرى الذكر يصبيني فاصبو الى الذكر
مهاة لعينيها تغزلت في المهى   وماغزلي في سحرهن سوى السحر
وأعشق فيها الشمس والبدر والذي   يشبهه العشاق بالشمس والبدر
وما مضنى الا جفاها ولحظها   فان كلا السيفين أغمد في صدري
تراءت لنا بالقصر يوماً فلم تزل   ترفرف نفسي بعد ذاك على القصر
وراحت وقد صدت وبين قلوبنا   مسافة ما بين الوصال الى الهجر
فقاسمتها قلبي وقلت لعاذلي   لها شطرها مما قسمت ولي شطري
وأنفقت أيامي كما أسرفت يدي   جواداً بمالي في هواها وبالعمر
ولما تلاقينا ومالت تجافياً   كما تحذر الورقاء جارحة الصقر
شددت على قلبي يدي ويد الهوى   تقلبه بين الضلوع على جمر
وقلت لها أبقي على الود ساعة   لعل لنا في الغيب يوماً ولا ندري
فقالت أغير (العيد) يوم لشاعر   بحسبك يوم العيد يا ثمر الشعر
فقمت وقد أبصرت قصدي ولم أزل   بفكري حتى أشرق الوحي من فكري

---

(١) بذ الجياد أخيرها سبقها والمراد بالجياد هنا التي تكون في السباق ولها أسماء على حسب ترتيبها وهي معروفة

وعندي من أشتات ما في كنوزه　　قلائد شتى من نظيم ومن نثر
(أعباس) ان لم يبتدر مدحك الورى　　فلا نطقت لسن بمدحك لا تجرى
على انك استغنيت عن كل مادح　　بآثارك الغرا وأيامك الغر
وأوحيت لي ذا الشعر حتى كأنما　　لقطت نفيس الدر من ساحل البحر
ولم يك مدحي غير أوصافك التي　　هي الزهر ان يعبق مديحي كالعطر
وان رخيصاً كل قول وان غلا　　لملك بلاد تربهن من التبر
جرى النيل فيها حاكياً نيل كفه　　وهل في الورى من يعدل البحر بالنهر
فأغروا به (الخزان) حتى خلته　　وصياً يريه كيف ينفق بالقدر (١)
وما النيل في مصر سوى دم قلبها　　إذا حفظوه دامت الروح في مصر
يفيض به في عصر (عباس) ما ترى　　من العلم لا ما كان من نبأ الخدر (٢)

(١) احتفل بافتتاح الخزان في يوم ١٠ دسمبر سنة ١٩٠٢ . وقد كان النيل يصب في البحر الملح من مائه العذب ما كانت مصر في حاجة اليه . فكأن الخزان أقيم وصياً على هذا المبذر المتلاف . يعلمه الانفاق بالقدر من غير اسراف . ولم يحم احد حول هذا المعنى على كثرة ما قرأناه للشعراء في وصف الخزان مع انه اقرب الى الفكر من كل معنى سواه وأفضل .

(٢) في الكلام مضاف محذوف والتقدير ما كان من نبأ ذات الخدر وذلك ان عمرو ابن العاص لما فتح مصر أتاه أهلها وقد أصبحوا في بؤونه من أشهر القبط فقالوا أيها الامير ان لنيلنا سنة لا يجري الا بها فقال وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضيناهما وجعلنا عليها من الحلى والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بؤونه وابيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد اصبت ان الاسلام يهدم ما كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها في داخل النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها . من عبد الله امير المؤمنين الى

فتى الملك لا عسر بعصرك يشتكي … وقد كان هذا اليوم فاتحة اليسر

تضيء بك الأيام حتى كأنها … دياجي الليالي قابلت غرة الفجر

ويوم تبوأت الأريكة سطروا … معالي هذا الشعب في صحف الفخر (١)

رأوك فتى فوق الملوك عزيمة … وشتان ما بين العصافير والنسر

على حلم عثمان وهيبة حيدر … وعدل أبي حفص وعزم أبي بكر (٢)

فدمت مرجى في بنيك مهنئاً … دوام جلال البدر في الأنجم الزهر

وقال

يمدح انسان الزمان . وشرف الانسان فضيلة الاستاذ العظيم والفيلسوف العليم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حفظه الله

لو كنت راضية رعيت وفائي … بعد العواذل فيك والرقباء

خالفتهن غداة علمني الهوى … أن النساء ضرائر الحسناء

يا ظبية الوعسا وهل بعث الجوى … في القلب الا ظبية الوعساء

نيل مصر اما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري وان كان الواحد القهار يجريك فنسأل الواحد القهار ان يجريك . فالقى عمر البطاقة في النيل فلم يوم السليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء فاصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا وطمست تلك السنة . والظاهر ان هذه العادة قديمة جداً نرى ما يشبهها في خرافات اليونان الاقدمين (١) تبوأ الاريكة اي ارتقى العرش

(٢) الحيدر والحيدرة الاسد وهو اسم لسيدنا علي ومن قوله عليه السلام ولم يختلف الرواة في انتسابها له

انا الذي سمتني أمي حيدره … [illegible]

اكيلكم بالسيف كيل السندره

وأبو حفص كنية سيدنا عمر بن الخطاب . والآثور في حلم عثمان وهيبة علي وعدل عمر وعزم ابي بكر رضي الله عنهم مشهوره ولم أر أحداً جمع احوال الراشدين في بيت واحد قبل شاعرنا

كلتا يدي يد تكفكف أدمعي ... ويد أشد بها على احشائي

ولكم ملأت الليل شجواً ظنه الـ ... ـعذال شدو حمامة ورقاء

حتى تلثمت النجوم وساقطت ... عين الظلام مدامع الانداء (١)

فجرت على خد الصباح يراعتي ... وتعلقت بكواكب الجوزاء

فنظمتها مدح (الامام) وانه ... لأجل من يهدى اليه ثنائي

(ياعبده) والدهر في غلوائه ... وبنوه ما كفوا من الغلواء (٢)

مر ذا الزمان نظلنا أفياؤه ... وسم الليالي باليد البيضاء

لولاك كان الدهر بؤساً كله ... والدهر يوما شدة ورخاء

مغض ولولا ان تهابك نفسه ... لهوت صواعقه على البؤساء

أذكيت للشرك البيان فذره ... والنار لا تبقى على الحلفاء

وأريتنا الخلفاء فيك وانما ... لنقول عنك خليفة الخلفاء (٣)

من مبلغ الدنيا بأنك مجدها ... والدين أنك مرغم الاعداء

كشفت لك الاشياء عما أبطنت ... حتى اجتليت بواطن الاشياء

ياواحد الدنيا المضيء على الورى ... كالشمس جاءك واحد الشعراء

لما رآه الناس يمدح حاتما ... نظروا اليه فلقبوه الطائي (٤)

---

(١) مما نذكره فكاهة ان قدماء اليونان كانوا يعتقدون الهة اسمها (اورور) اي الفجر فزعموا انه قد كان لها ولد يدعى (ممنون) فذهب لاعانة الملك (ارليام) في حرب مدينة (تروادة) فقتله (اشيل) وبكت عليه أمه زمناً طويلا فكانوا يقولون ان دمعها هو الندى (٢) غلواء الدهر غلوه في مكابدة اهله

(٣) الخلفاء هم الاربعة الراشدون رضي الله عنهم وعنا بهم

(٤) حاتم هو كريم طيء المشهور · الذي لم تمح اسمه الدهور واخباره في الكرم لا تعد بل لا يعدل به غيره في ذلك · والطائي هو ابو تمام حبيب بن اوس الشاعر الكبير المشهور وكان واحد عصره في شعره واحتجاج صاحبنا على انه واحد الشعراء

وقال

يمدح سلطان اليراع وامام البيان بلا نزاع سعادة محمود باشا سامي البارودي حفظه الله

مرت لياليها ولما ترجع ... فالمين ان هجع السها لم تهجع [1]
أيام تهتف بي المهى ويغرن ان ... ذكروا حنيني للغزال الاتلع
وأرى تحيتهن في جيب الصبا ... وسلامهن مع البروق اللمع
زمن به كان الزمان يهابني ... وحوادث الايام ترهب موضعي
ينظرن مني قيصراً في قصره ... ويخفن من همي عزيمة تبع [2]
في حين لا العبرات تكلم أعيني ... حزنا ولا النيران تكوي أضلعي
وبلوت من ظلمات يونس ليلة ... فنسخت آياتها بآية يوشع [3]

بهذا البيت من ابدع ما يسمع . قال العلماء خرج من قبيلة طيء ثلاثة كل واحد مجيد في بابه حاتم الطائي في جوده وداود بن نصير الطائي في زهده وابو تمام حبيب ابن أوس الطائي في شعره . والذي تنبه اليه هنا المناسبة بين حاتم والطائي وفي الطائي الاستخدام اذا اعتبر علماً بالغلبة على ابي تمام ولم نقف في البديع على اسم لهذه المناسبة ولعله نوع جديد منه فليسمه العلماء بما شاؤا

(١) السها كوكب خفي من بنات نعش الصغرى وكانت العرب تمتحن به أبصارها (٢) يسمي كل من يملك على الروم قيصر وكل من يملك على الفرس كسرى وتبع لمن يملك على اليمن ولا يسمى به الا اذا كانت له حمير وحضرموت والهم والهمه بمعنى (٣) يونس هو ذو النون عليه السلام المراد بقوله تعالى « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادي في الظلمات الآيه » وقال صاحب الكشاف في الظلمات أي في الظلمه الشديده المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى « ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات » ويوشع هو ابن نون صاحب موسى عليهما السلام وقد جاء في الاصحاح العاشر بعد ان ذكر اجتماع ملوك الامور بين الخمسة ونزولهم بجيوشهم على جبعون) وصعود يشوع اليهم برجال الحرب وجبابرة البأس وان الرب رماهم بحجارة عظيمة

يجري الهوى طرباً على آثارها ... مشي الجآذر للغدير المترع (١)
ظمآن لا ترويه الا عبرة ... أو مهجة سالت بجنبي مولع
حسبوه غصناً في الثياب وزهرة ... تحت القميص ووردة في البرقع (٢)
أمسيت من آماله في ليلة ... ضل الصباح بها طريق المطلع
تشكو نجوم الليل أني رعتها ... ومتى تروع أنة المتوجع
وكأنها اذ أحدقت في جانبي ... حبب هلال سماؤها في مضجعي
غر (كمحمود) السريرة ان دعا ... زهر كغرته المضيئة ان دعي
لو انصفوها لاستبانوا انها ... حبات ذيالك القريض المبدع
عرفوا به شعر الفحول واهله ... وسجية المطبوع والمتطبع
فلو ان عمراً اسمعوه حماسه ... لحما به الصمصام ان لم يقطع (٣)
او انشدوا المجنون بعض نسيبه ... لنسي به ليلى فلم يتفجع (٤)
لم اتل يوماً آية من آيه ... الا حسبت الكون يتلو هامعي

من السماء «١٢ حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الاموريين امام بني اسرائيل وقال امام عيون اسرائيل ياشمس دومي على جبعون وياقمر على وادى ايلون ١٣ فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائه . اليس هكذا مكتوبا في سفر ياشر . فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل . »

(١) الجآذر جمع جؤذر وهو ولد الظبية والمترع الملآن (٢) يعني الزهرة المنعقدة في القوام المتهدلة بجانب أختها على الصدر .

(٣) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي فارس زبيد المشهور والصمصام أو الصمصامه سيفه . يقال ان طوله سبعة اشبار وافية وعرضه شبران

(٤) المجنون هو مجنون ليلى المشهور واختلفوا في اسمه كما اختلفوا في وجوده ومن نظر في الشعر المروي عنه وجد أكثره لغيره والتجنيس بين نسيبه ونسي به هو الذي يسمونه المفروق لاتفاق الكلمتين لفظاً لا خطاً ولم يسبق شاعرنا اليه فيما نعلم

وأراه أحيي للبلاغة دولة ... مات ابن برد دونها والاصمعي (١)

وأبيك لولا معجزات بيانه ... ما كان في احيائها من مطمع

وقال

يمدح شاعر العصر . وامام النظم والنثر . الاستاذ الكامل الشيخ عبد المحسن الكاظمي الشهير حفظه الله

لك أن تشا وعلي أن لا اجزعا ... ولي الهوى وعليك أن تتمنعا

ما الحب الا ان تكون مملكا ... ونذل يامالك القلوب ونخضعا

زعم الوشاة بأنني لك (صارم) ... أوما رأيت لكل واش مصرعا (٢)

ولو ان حبل هواي كان مقطعا ... ما بات قلبي في هواك مقطعا

غادرت عيني لو يفرق سهدها ... في الناس ما بات العواذل هجعا

وأمنت ان اهوى سواك فرعتني ... حتى امنت عليك ان تتوجعا

(١) ابن برد هو بشار ابن برد الشاعر الشهير وسيأتي شيء من خبره في باب الغزل والنسيب والاصمعي هو ابو سعيد عبد الملك بن قريب وكان اماماً في الاخبار والنوادر والملح والغرائب يحفظ من الاراجيز وحدها ستة عشر الف وقال فيه ابو عبيدة . ما قرأ كتاباً قط فاحتاج الى ان يعود فيه ولا دخل قلبه شيء فخرج عنه

(٢) في هذا البيت الاستخدام وهو اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يؤتى بلفظين يفهم من احدهما احد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر وقد يكون اللفظان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون المشترك بينهما كما هنا فان لفظة صارم مشتركة بين معنى الهاجر والسيف وقد أريد المعنيان جميعاً فالوشاة يزعمون انه صارم أي هاجر لينفروا حبيبه وهو يقول انه صارم له أي سيف ويستدل على ذلك بان لكل واش مصرعاً والفرق بين الاستخدام والتورية ان الاستخدام ارادة المعنيين وأما التورية فارادة أحدهما وهذا الاستخدام في لفظة « صارم » والذي مر في لفظة « الطائي » مما لم يسبق اليه

لا تمض في هذا الدلال فانما أهوى دلالك أن يكون تصنعا
اني ليقتلني الصدود فكيف بي وأرى صدودك والنوى اجتمعا معا
فسل الدجى عني تنبئك الدجى واسأل عن العينين هذي الادمعا
وأصخ لشعري ان رحمت فلم يزل شعري يحن اليك حتى تسمعا
أمسي بحسنك مولعاً وخلقت لا تهوى الذي يمسي بحسنك مولعا
لو لم أزنه بمدح (عبدالمحسن) السـمولى لما باهى الدراري لمعا[1]
ملك البيان ومن غدا في أهله فذ المشارق والمغارب أجمعا
نثروا على تاج الزمان قريضه فغدا به تاج الزمان مرصعا
ولو ان للعرب الكرام عقوده ماعطلوا في البيت منها موضعا[2]
يا كوكب الفلك الذي آياته تأبى على كل (امرئ) أن يطمعا
عدوا أكاسرة القريض ثلاثة ولقد أراهم أصبحوا بك أربعا[3]
سل ذلك الغطريف ماذا يدعي لو أدركته معجزاتك ما أدعى[4]

(١) المولى من أعظم الالقاب في العراق لا يطلق الا على اكابر الائمة ولذلك استعمل هنا فان الممدوح من العراق وهو فخره وزينته

(٢) كان العرب في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الارض فلا يعبأ به ولا ينشده احد حتى يأتي مكة في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش في سوق عكاظ فان استحسن روي وكان فخراً لقائله وعلق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر اليه وان لم يستحسن رمي وطرح ولم يعبأ به وكانت المعلقات تسمى المذهبات لانها كانت تكتب بماء الذهب ثم تعلق فيقال مذهبة فلان أي معلقته

(٣) أجمع العلماء على ان أشعر الناس ثلاثة ابو تمام والبحتري والمتنبي حتى قال بعضهم انه حفظ مالا يحصى من شعر المتقدمين والمتأخرين ووقف على كل ديوان ثم كان اختياره بعد ذلك على دواوين هؤلاء الثلاثة

(٤) الغطرفة الخيلاء يشير الى ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبي الشاعر الكبير المشهور وقد كان ادعى النبوه في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم

أو ما تركت السابقين اذا جروا ومشيت هوناً دون شأوك ظلعا [1]
ولقد أطاعتك الكواكب مثلما كانت ذكاء وقد أطاعت يوشعا
وسطا على الشعر الزمان وغاله لحفظت ما غال الزمان وضيعا
وأريتنا من سحر بابل أعيناً تجري علينا البابلي مشعشعا [2]
تركت فؤاد الدهر يخفق صبوة وحنين أهل الخافقين مرجعا
فاذا تلوها أصغت الدنيا لها حتى كأن لكل شيء مسمعا
وسجعت في مصر وملك الشعر في مصر إذا اشتقت العراق لتسجعا
مازلت تذكرها الفرات ودجلة حتى بكى النيل السعيد وماوعى [3]
فاجعل لمدحي من قبولك موضعاً واجعل لشعري في بيانك منزعا
إني اذا أرهفت حد يراعتي لم تاق في الشعراء غيري مبدعا

وقال

يمدح فضيلة عمه الاستاذ الافضل . والعالم الاكمل . الشيخ عبدالحميد أفندي الرافعي ويهنئه باسناد قضاء المدينة المنورة اليه على ساكنها افضل الصلاة والسلام . من لدن أمير المؤمنين أعزه الله وايده واعز

فخرج اليه لؤلؤ امير حمص نائب الاحشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه ولذلك سمي المتنبي وقيل بل لأنه قال أنا اول من تنبأ بالشعر

(١) مشى الهوينا ومشى هوناً اي على مهل والشأو الغاية والظالع جمع ظالع وهو الذي يغمز في مشيته

(٢) بابل بلد في العراق اليه ينسب السحر والخمر وسيأتي ذكره في باب الوصف ويقال قصيدة فلان التي يقول فيها كذا عين شعره أي أحسنه فالملاحة كلها في العيون وشعشع الماء بالثلج والراح بالماء مزجهما (٣) الفرات ودجلة نهران مشهوران ويقال لهما الرافدان ولا يخفى مراعاة النظير في البيت

به الاسلام والمسلمين

أتتك القوافي مالها عنك مذهب ... فأنت بها بَرٌّ وأنت لها أب
وماوجدت مثلي لها اليوم شاعراً ... أياديك تمليها عليَّ فأكتب (١)
وهل كلساني إن مدحتك مبدع ... وهل كبياني ساحر حين أنسب (٢)
دع الشعر تقذفه من البحر لجةٌ ... اليك ويلقيه من البر سبسب (٣)
فان يمم الغر الميامين (مكة) ... حجيجاً فهذي كعبة الشعر (يثرب) (٤)
طلعت عليها طلعة البدر بعد ما ... تجللها من ظلمة الظلم غيهب (٥)
بوجه لو ان الشمس تنظر مرة ... اليه لكانت ضحوة الصبح تغرب
فجليت عنها ما أدلهم وأبرقت ... أسارير كانت قبل ذلك تقطبُ (٦)
وهل كنت الا ابن الذي فاض بره ... عليها كما انهلَّ الغمام وأعذبُ (٧)
فكن مثله عدلاً وكن مثله تقى ... وصن لبنيه مايد الدهر تنهبُ

(١) الايادي جمع يد وهي النعمة اما الجارحة فجمعها ايدي (٢) نسب بالمرأة نسباً ونسيباً شبب بها (٣) السبسب المفازة أو الارض المستوية البعيدة والمراد أن الشعر يسافر اليه من مصر فيجتاز البحر ثم يمر في البر حتى يقع اليه

(٤) الغر الميامين هم المؤمنون وقد وصفوا بالغر المحجلين ايضاً . والحجيج والحاج الذين يقصدون الحج ويثرب ويقال لها أثرب اسم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم سميت باول من سكنها من ولد سام بن نوح وقيل باسم رجل من العمالقة وقيل هو اسم ارضها . قال ابن الاثير يثرب اسم مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قديمة فغيرها وسماها طيبة وطابه كراهية التثريب وهو اللوم والتعيير

(٥) تجللها اي غشيها والغيهب القطعة من ظلام الليل

(٦) ادلهم اظلم والاسارير محاسن الوجه والخدان والوجنتان يقال برقت اسرة الرجل وابرقت اذا تهلل والقطوب العبوس

(٧) يريد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه الجد الاكبر لهذه الاسرة الشريفة والاصل لهذه الدوحة الباسقة بارك الله فيها

سما بك أصل طبق الافق ذكرهُ ... وسارت به الامثال في الارض تضربُ
وقوم هم الغر الكواكب كلما ... تغيب منهم كوكب لاح كوكبُ
وهم معشر الفاروق من كل أغلب ... نماه الى ليث العرينة أغلبُ
حفظت لهم مجداً وكان مضيعاً ... وأبقيت فخراً كاد لولاك يذهبُ
ونالك فضل الله والملك الذي ... أرسى كل ملك دونه يتهيبُ
اذا ذكروه كبر الشرق بهجة ... وان لقبوه اكبر الشرق مغربُ (١)
يصدع قلب الحاسدين وإنه ... الى كل قلب في الورى لمحببُ
ويرضى رعاياه فيردى عدوه ... وما زال في الحالين يرجى ويرهبُ
حباك بها غراء يفتر ثغرها ... وكنت لها بعلا وغيرك يخطبُ (٢)
وكم أملتها انفس فتحجبت ... وبنت العلا الاعن الكفؤ تحجبُ
سموت اليها ما ونيت وقد أرى ... ذوائب قوم دونها تتذبذب (٣)
فطر فوقها ما العز عنك بمبعد ... وفضل أمير المؤمنين مقرب
كأني برب الروضة اليوم باسما ... وصديقه يزهى وجدك يعجب (٤)
ويثرب مما أدركت من رجائها ... بمقدمك الميمون باتت ترحب

(١) اذا ذكر لقب امير المؤمنين في الغرب تركه يقعد تارة ويقوم واخوف ما يخافون على انفسهم أن تجمع كلمة المسلمين حتى أن بعض قوادهم قال انه لا يصعب عليه ان يفتح اوربا كلها بمائة الف من جيوش المسلمين

(٢) كان امير المؤمنين ايده الله قد وعده بها قبل ذلك فتمثل بهذا التمثيل البديع

(٣) تتذبذب تتردد في الهواء . بعد ان ذكر سموه اليها ذكر سقوط غيره عنها

(٤) رب الروضة اي صاحبها وهو النبي صلى الله عليه وسلم والروضة ما بين القبر الشريف والمنبر لقوله عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة والصديق هو ابو بكر رضي الله عنه وجد الممدوح والمادح والشارح هو سيدنا عمر ولم يدفن معه صلى الله عليه وسلم غيرهما رضي الله عنهما

الباب الثالث

﴿ في الوصف ﴾

قال يصف القرى وبجرها والعيش فيها

دموع الفجر هذى أم دموعي ترقرق بين اجفان الربيع (١)
مصفقة كصافية جلاها باكؤسه الخليل على الخليع (٢)
وهن من الازاهر في شفاه كما يحلو اللمي بعد الهجوع (٣)
وثدي الروض در على جناه درور المرضعات على الرضيع (٤)
ومد الليل أنفاساً عذابا كأنفاس المليحة للضجيع
ولاح الصبح يسفر عن جبين عليه الشمس حالية السطوع
وقد بكرت لتملأ جرتيها فتاة الريف كالرشاء المروع
فوردت الطبيعة وجنتيها ونضر وجهها الحسن الطبيعي

(١) ترقرق الدمع دار في حملاق العين (٢) المصفقة المصفاة يقال صفق الماء اذا صفاه والصافية من اسماء الخمر

(٣) أصل هذا المعنى الذي تناوله الشعراء كلهم لعلقمة في قوله

يحملن اترجة نضخ العبير بها كأن تطيابها في الانف مشموم

يشير الي انما نال هذه المرأة التي يصفها من مضض السير واصفرار لونها كالاترجة وانها ما تحركت تزيد طيباً بخلاف تحرك الناس. ومنه أخذ ابن الرومي وغيره تشبيه المرأة بالروضة لطيب ثغرها في السحر بخلاف انفاس البشر.

(٤) شبه اكمام الثمر بثدي المرضعات وهي تقطر ندى في الصبح على الجني وهو الحشيش الذي شبهه هنا بالرضيع

تروح وتغتدي والزهر يرنو ... اليها في الذهاب وفي الرجوع
وثغر النهر يبسم عن لماها ... وان لم تشف ريقته ولوعي [(١)]
وتخبرنا النسائم عن شذاها ... كما تروي الهواجر عن ضلوعي
مكحلة ولا كحل ولكن ... سل الظبيات عن ذاك الصنيع
وقد مدت حواجبها شراكاً ... وطير الروح دانية الوقوع
أراها ان تكنفها حسان ... كنور الكهرباءة في الشموع
وتحجب حين تخفى الشمس لكن ... تسابق أختها عند الطلوع [(٢)]
فياقلب اعص كل هوى سواها ... ويا نفسي سواها لا تطيعي
فذاك الحسن لا ما تشتريه ... ضرائرها من الحسن المبيع [(٣)]
وما تحوى المدائن غير بدع ... وان حسبوا التبدع كالبديع
فقد حسنت هنالك كل أنثى ... كأن الحسن قسم في الجميع
يدممن الخدود وأي عين ... تحب الخد يصبغ بالتجيع [(٤)]
وكم شفعن ذاك الحسن لكن ... متى احتاج الغواني للشفيع
وهل تقف القلوب على قوام ... كأن ذيوله قطع القلوع [(٥)]

(١) اللمى والريقة بمعنى الريق (٢) ما الطف ماعبر عن خروجهن قبل بزوغ الشمس وتلك عادة نساء القرى وقد كان العرب يصفون المرأة الناعمة بانها نؤوم الضحى والكسل ممدوح في النساء فخالفهم الشاعر هنا (٣) في قوله الحسن المبيع اشارة بديعة وذلك أن هذين اللفظين احتويا على كل اسم لما تبتاعه النساء للتحسن والاشارة احتواء اللفظ القليل على المعنى الكثير كقوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم
(٤) دممت المرأة خدها صبغته (بالاحمر) والتجيع الدم (٥) قال بعض الشعراء

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

وكلهم على ذلك وما ادري كيف غايرهم شاعرنا واني لعلى غير رأيه ان كان لايزال عليه فان حمل الالطف احدى الحسان على اقامة دعوى فلتبعدني من (ذيلها)

فمالي والمدائن ما تراها   مدافن ما بهن سوى صريع
وهل كان التمدن في بنيه   سوى ما يفعلون من الفظيع
وهل أبصرت بين القوم طرًّا   سوى رجل مضاع أو مضيع
فهذا بات في شبع وري   وذلك مات من ظمأ وجوع
وأحلى من أولئك في عيوني   بأرياف القرى نظر القطيع (١)
وان الامر تمضيه فتاة   لخير من فتى غر جزوع
وما شظف المعيشة في هناء   تقر به سوى العيش المريع (٢)
فلو مزجوا ببعض الهم ماءً   لصار الماء كالسم النقيع
ولو أن الرواسي كن تبراً   لما كان الغنى غير القنوع (٣)

(١) سلك في هذا مسلك ميسون بنت بحدل في تفضيل البداوة ونرى من واجب الادب أن نذكر ابياتها هنا . لما اتصلت بمعاوية رحمه الله ونقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين الى اناسها والتذكر لمسقط رأسها فاستمع عليها ذات يوم وهي تنشد

لبيت تخفق الارواح فيه   أحب الي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني   أحب الي من لبس الشفوف
واكل كسيرة في كسر بيتي   أحب الي من اكل الرغيف
وأصوات الرياح بكل فج   أحب الي من نقر الدفوف
وكلب ينبح الطراق دوني   أحب الي من قطط الوف
وبكر يتبع الاظعان صعب   أحب الي من بغل زفوف
وخرق من بني عمي نحيف   أحب الي من علج عنيف

فقال معاويه ما رضيت ابنه بحدل حتى جعلتني علجاً عنيفاً (٢) شظف المعيشة خشونتها
(٣) من خرافات قدماء اليونان التي لا تخلو من حكمة وفائدة انهم زعموا ان شخصاً اسمه (ميداس) كان يلح على المهم الاكبر (جوبتير) في ان يغنيه غنى واسعاً فلما غضب الاله من كثرة الحاحه دعا عليه ان لا يمس بيده شيئاً الا انقلب ذهباً فكان بعد ذلك اذا تناول الرغيف صار ذهباً واذا مس الماء عاد كذلك وما يضع

أرى ذا الليل قد خفقت حشاه　　وبيض عينه نزف الدموع (١)
أكب يرى له كبداً تنزى　　زجاجتها منوعة الصدوع
وابصر بعد ذلك من قريب　　جيوش الصبح تمرح في الربوع
فخلى ما تملكه وولى　　كما فرق الجبان من الجموع (٢)
وكنت مخبأ في جانبيه　　فيا شمس اكتميني أو أذيعي

وقال

يصف الاصيل واقبال الليل ونضرة الرياض وتغريد الطيور ثم استطرد من ذلك الى مايخطر على قلبه . وعارض بها النابغة على غير طريقة الجاهلية . (٣)

ثوب السماء مطرز بالعسجد　　وكأنها لبست قميص زبرجد
والشمس عاصبة الجبين مريضة　　تصفر في منديلها المتورد
حسدت نظيرتها فأسقمها الأسى　　ان السقام علامة في الحسد
ورأت غبار الليل ينفض فوقها　　في الافق فانطبقت كعين الارمد
ومضى النهار يشق في اثوابه　　حزناً واقبل في رداء اسود
فتهلات غرر النجوم كأنما　　كانت اضاحية السماء بمرصد (٤)
وكأنها عقد تناثر دره　　من جيد غانية ولم تتمهد

يده على شيء الا صار ذهباً وكان آخر هذا الغني الواسع انه مات جوعاً (من كثرة الذهب) وهي شرميتات الفقر . والرواسي هي الجبال

(١) نزفت العبرة كسمع نفدت (٢) فرق الجبان من الجموع فزع وخاف من الجيوش

(٣) قصيدة النابغة التي عارضها الشاعر بهذه القصيدة هي التي يقول في مطلعها

أمن آل مية رائح أو مغتدي　　عجلان ذا زاد وغير مزود

وهي مشهورة (٤) ضاحية السماء هي الشمس

أو حلي ربات الدلال أذلنه ... شتى يروح على النهود ويغتدي [1]
والافق بين مفضض ومذهب ... كالجيد بين ممطل ومقلد
وكأن صفحة بدره اذ أشرقت ... مصقولة الخدين صفحة أمرد
وكأن ضوء الفجر رونق صارم ... نضيت صحيفته ولما تغمد
والارض في حال كست أطرافها ... الا معاصم نهرها المتجرد
حفت جوانبه الرياض كأنها ... وشي الفرند على غرار مهند
وكأنه صدر المليحة عارياً ... مابين لبتها وبين المعقد [2]
وكأن أثواب الرياض من الصبا ... عبقت بأنفاس الحسان الخرد
يمشي النسيم خلالها مترنحاً ... بين الغدير وبين ظل أبرد
والطير مائلة على أوكارها ... منها مغردة وغير مغرد
بات تناغى لا تحاذر فاجماً ... مما نكابد في الزمان الانكد [3]
ياطير مافي العيش الا حسرة ... ان خلتها نقصت قليلا تزدد
لم يمنع القصر المشيد ملوكه ... منها فكيف وقاكها الغصن الندي
تابي على الاحرار الاذلة ... ولو أنهم صعدوا مدار الفرقد

(١) اذلن الحلي اي ارسلنه على غير ترتيب وكذلك النجوم تكون بددا

(٢) اللبة موضع القلادة من الصدر والمعقد مكان عقد الازار ولعله اليوم موضع (قفل الحزام الذهبي) . والضمير في كأنه عائد على النهر وهذا حده طولا واما عرضاً فلا شك انه مابين النهدين . كالسيل اذ ينساب بين الجبلين . (٣) ناغت المرأة صبيها كلمته بما يجذله والمراد هنا التعبير عن تجاوب الطيور اذا مالت على اعشاشها وقد حدثنا الناظم قال أنشدت شيخ الشعراء سعادة محمود باشا البارودي هذه القصيدة فلما بلغت هذا البيت قال انها تحاذر الصقر فقلت مابلغ الى علمنا ان الطيور اذا تناغت على أوكارها وقد بسط الليل جناحيه تبيت تحاذر الجوارح الا ان تكون علمت منطق الطير اهـ

فانعم بوكرك انه لك جنة ... كالخلد لولا أنت غير مخلد
كم واجد منا تقاذف قلبه ... ذات الدلال فان دنا هو تبعد
فتاكة الالحاظ أنى يممت ... سمعت زفير متيم متنهد
كالبدر لولا انها إنسية ... والشمس لولا أنها لم تعبد
قالت عشقت وما قضيت كمن قضوا ... هذا الطريق الى الردى فتزود
دع عنك أمر غد اذا ماخفته ... يوماً لعلك لاتعيش الى غد
فلقد اراك اليوم من أثر الهوى ... كالشمس ان لم تحتجب فكأن قد (١)

وقال في

الخيام والقصور

أما حدثوك بأخبارها ... وقد نزل البين في دارها
ليالي (امرؤ القيس) بين الخيام ... يباهي السماء بأقمارها (٢)
فما لك تذكر تلك الديار ... وما لك تبكي لتذكارها
وبين الضلوع قلوب عفت ... وضن الغرام بآثارها
قلوب فزعنا بها للدموع ... فما اطفأ الدمع من نارها
تهز لها الغانيات القدود ... اذا ما تناجت باسرارها

(١) يحذف الفعل بعد قد اذا علم مما قبلها كما هنا وكما في بيت النابغة
أفد الترحل غير ان ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد
والمعنى أراك من أثر الهوى وهي الصفرة التي تمسح وجه العاشق كالشمس ساعة مغيبها ان لم تكن احتجبت فكأن قد احتجبت لقرب موعدها

(٢) هو أبو وهب أو أبو الحارث امرؤ القيس بن حجر الكندي امام شعراء الجاهلية بالاجماع وحامل لوائهم واسمه في الاصل جندح وامرؤ القيس لقب غلب عليه ومعناه رجل الشدة وهو أول من فتح للشعراء باب البيان وقد مر ذلك في مقدمة الديوان ومات امرؤ القيس قبل النبي صلى الله عليه وسلم بثمانين سنة تقريباً

ألا فرعى الله تلك القصور وحلى السماء بأنوارها
هي الخلد والحور مكنونة مقاصيرهن (بأدوارها)
يبيت يحن لها جارها وان لم تحن الى جارها
قصور تدل بأيامها دلال الرياض بآذارها (١)
اذاطلع الصبح حيث ذكاء شموساً توارت بأستارها (٢)
تكاد لرقة سكانها ترد السلام لزوّارها
هم علموها اجتذاب القلوب وشق مرائر نظارها
وقد سامحتها خطوب الزمان وضنت عليها با كدارها
ودارت بمعصمها كالسوار رياض تسامت باسوارها
تحاكي المجرة أنهارها وتحكي النجوم بأزهارها
كساها الشتاء ثياب الربيع وزرت عليها بأزرارها
اذا اعتل فيها نسيم الصباح ناحت بألسن أطيارها
وان طلب الظل فيها المجير تأبت عليه بأشجارها
وان حل فيها الندامى رأوا لياليها مثل أسحارها (٣)
ودب النسيم لعيدانهم فباتت تنوح بأوتارها
وأنستهم معبداً والغريض وشدو القيان بأشعارها (٤)

(١) آذار احد الشهور الرومية وهي آب وايلول وتشرين اول وتشرين ثاني وكانون أول وكانون ثاني وشباط و آذار ونيسان وايار وحزيران وتموز

(٢) ذكاء اسم للشمس ولا تدخله ال ومنه ابن ذكاء لاصبح

(٣) يقال في الاماكن المعتدلة الهواء ليلها كله سحرونهارها كله غداة

(٤) معبد هو ابن وهب وقيل ابن قطنى المغني المشهور مات في ايام لوليد بن يزيد بدمشق وقال الجمحي بلغني أن معبدا قال والله لقد صنعت الحاناً لايقدر

وأهل البضيع وذكرى حبيب   وشد المطي بأكوارها [1]
سقتها السماء بما تشتهي   وجادت عليها بأمطارها

وقال في الخمر [2]

مل بي عن الورد واسقني القدحا   فوردها من خدودك افتضحا
وقد شكا للنسيم خجلتهُ   لحين مر النسيم بي نفحا [3]
وقم بنا نصطبح معتقةً   واسمح بها فالزمان قد سمحا
كأنها فرحةٌ على كبدٍ   تنفض عنها الهموم والترحا
فأجلُ بها النفس إنها صدأت   وأسُ بها القلب إنهُ قرحا [4]

شيعان ممتلئ ولا سقاء يحمل قربة على الترنم بها ولقد صنعت الحاناً لا يقدر المتكئ ان يترنم بها حتى يقعد مستوفزا ولا القاعد حتى يقوم

واما الغريض فاسمه عبد الملك ولقب بالغريض لانه كان طري الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر والغريض الطري من كل شيء وكان احذق اهل زمانه بالغناء بمكة بعد ابن سريج وقيل أنه اعترض الحجاج وهم في حجهم فوقف حيث لا يرى وترنم فما سمع احسن من صوته وتكلم الناس فقالوا طائفة من الجن حجاج ... والقيان جمع قينة وهي الجارية المغنية

(١) البضيع اسم مكان وكور الناقة رحلها والمراد أن الطرب الهاهم عن تذكر القديم

(٢) قيل ان المهدي أنشد الابيات التي منها

قل لمن يلحاك فيها   من فقيه أو نبيل
أنت دعها وارج أخرى   من رحيق السلسبيل

وغني فيها بحضرته فسأل عن قائلها فقيل آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فدعا به فقال له ويلك تزندقت فقال لا والله يا أمير المؤمنين ومتى رأيت قرشياً تزندق والمحنة في هذا اليك ولكن طرب غلبني وشعر طفح على قلبي في حال الحداثة فنطقت به فخلى سبيله . وانما اراد شاعرنا أن يكون ديوانه جامعاً من كل ما تشتهي الانفس

(٣) نفح الطيب اذا فاح وخجلة الورد احمراره وهذا من حسن التعليل

(٤) قرح القلب أي جرح وأسا الجرح داواه

وقل لمن لامني على سفه ... ما ضرنا أن نابحاً نبحا
أما ترى الدّن قد جرى دمه ... كأنه من لحاظك انجرحا
يمج راحاً كأن شعلتها ... تحت الدياجي شعاع شمس ضحى
أخف عندي ممن ضنيت به ... روحاً وأخفى من الضنا شبحا
وان تر الهم قاتلا فرحي ... فانظر لها كيف تبعث الفرحا
الفجر ما كاد ينزوي حزناً ... في الأفق حتى رآك فانشرحا (١)
والطير قد كان فوق منبره ... عياً فلما سكبتها صدحا
والفل والياسمين من حسد ... كلاهما فوق غصنه انطرحا
تنافسا في الجمال آونة ... فحينما لاح وجهك اصطلحا (٢)

وقال فيها

زفت ولما يفترعها المزاج ... كما تزف البكر عند الزواج (٣)
فهلل الشرب سروراً بها ... وكبر الديك وصاح الدجاج
كأنهم رهبان في بيعة ... قد أوقدوا في كل كأس سراج (٤)
كأن حاسيها المريض ارتمى ... على سرير يتعاطى العلاج
كأننا إذ نحن صرعى بها ... فرسان حرب صرعوا في العجاج

---

(١) انشراح الفجر كناية عن طلوع الصبح وهي كما ترى أرق من الصبا وأندى من الصباح (٢) الآونة الحين من الزمن . وقد قيل ان حسناوين كانتا جارتين فنظرت كلتاهما في المرآة فاعجبها حسنها فتاهت على صاحبتها وتنافستا في ذلك حتى أدت المنافسة بينهما الى العداوة وهما كذلك اذ مرت غانية بارعة الجمال فقالت احداهما للثانية انظري (ياصديقتي) كيف ترين هذا الجمال والقبح يجمع بين الحسان
(٣) افترعت البكر اذا افتضت والمزاج ماتمزج به الراح وهو اذا وقع عليها فكأنما افترعها (٤) البيعة معبد النصاري

من كف حوراء غلاميــة مفعمة الحجلين خود رجاج (١)
شك فؤادي لحظها وانثنى فلم يزل من لحظها في انزعاج
يبصرها من خلف اضلاعه كأنما يبصرهـا من زجاج (٢)

وقال فيها وهي من اول قوله

هات اسقنيها والدجى ساحب ذيل الصبا كالملك الاشوس
واقبس لنا من نارها جذوة تثور بالنخوة في الأرؤس
قد شبها الليل لمن يهتدي فصبها الفجر لمن يحتسي (٣)
كالخد والدمع ولكنهـا ليست من الورد ولا النرجس (٤)

(١) الغلامية المتشبهة بالغلام في شمائلها وهـذا وصف تمـدح به النساء كما كانوا يمدحون الغلمان بالتأنيث وهي طريقه (السلف الصالح) من الشعراء الذين ائتموا بابي نواس والمفعمة الممتلئة والحجل بالكسر الخلخال والخود المراة الناعمة والرجاج التي ترتج اذا مشت (٢) هذا البيت مما لم يسبق اليه الشاعر ولا أحسن من تشبيه الصلوع التي اضناها الهوي بالزجاج لانه شفاف سريع الكسر وقد قيل ان القلوب تتشاهد فاذا كان تعليل المشاهدة كما هنا كان ذلك غاية في الابداع

(٣) قال الحمدوني الشاعر سمعت دعبل بن علي يقول انا ابن قولي

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

وسمعت أبا تمام يقول انا ابن قولي

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول

قال الحمدوني وانا ابن قولي في الطيلسان

طال ترداده الى الرفو حتى لو بعثناه وحده لاهـتدى

وسمعت انا شاعرنا يقول انا ابن قولي في الراح

قد شبها الليل لمن يهتدي فصبها الفجر لمن يحتسى

قال الحمدوني ومعنى قولنا انا ابن قولي أي اني عرفت به

(٤) كالخد لونا والدمع صفاء ولكنها لم تعتصر من الورد الذي يشبه به الخد ولا النرجس الذي تشبه به العيون

وعاطني والروض من حسنه　　يرقص في الاطلس والسندس

وقال فيها

ياغلام ارقب الفجر حتى　　يتجلى فنادني للمدام[1]

بين شمس تدور في كف بدر　　وعيون من الزهور نيام

تترامى بها الصبا عن يميني　　ويساري وتنثني من امامي[2]

وإذا ماشربت خديه فاملأ　　واسقنيها نكده ياغلامي

وأدرها تروني فلو اني　　غير مضنى سكبتها في عظامي

واطرح الهمّ للعواذل حتى　　يقضي الله بيننا بسلام

وقال فيها

تجنى الحبيب فقالوا غضب　　وتاه دلالاً فقالوا اجتنب

---

(١) قد غلا صاحبنا هذه المرة غلواً بارداً فاحق بالقافية هنا أن تكون (فنادني للصلاة) واخشى من ذلك ما يروى أن هشاماً لما نعي للوليد بن يزيد بن عبد الملك وقد كان ولي العهد بعد هشام وكان هشام هذا يضايقه لانه كان سكيراً قال والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة قبل الظهر ....

(٢) قال المأمون لمن حضر من جلسائه انشدوني بيتاً لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله انه شعر ملك فانشده بعضهم قول امرؤ القيس

أمن أجل اعرابية حل اهلها　　جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما في هذا مما يدلك على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من اهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد

اسقني من سلاف ريق سليمى　　واسق هذا النديم كأساً عقاراً

اما ترى الى اشارته في قوله هذا النديم وانها اشارة ملك . اه ولو ان المأمون يسمع هذا البيت لما كان يشك ان كلمة تنثني من امامي كلمة ملك تعود ان يتنحى الناس عن طريقه ابن سار هيبة واجلالا .

ألا دعهم ذاك بدر السما   اذا ما اضاء السماء احتجب
وهذي عروس الصبا أقبلت   تزف الينا عجوز الحقب (١)
فقم فاجلها ان بنت الضحى   تخاف اشمة بنت العنب
ولا تأمن الماء يخلو بها   فيولدها من بنات الحبب
وكم غشني حين عاملته   ثمزّ بين فضته (والذهب)
واما دعاني داعي الصبا   ومالت بعطفي ام الطرب
فقل لخطيب الرياض ارتجل   فان خطيب الهوى قد خطب
وللصبح يبدي تباشيره   ويروي الهنا عن امام الادب (٢)

وقال

في غرض يصف القمر

زهته الملاحة حتى سفر   وخلى الدلال لذات الخفر
وبات يسامر اهل الهوى   وقد طاب للعاشقين السمر
يحدثنا عن بني عذرة   ويروي لنا عن جميل خبر (٣)

(١) من اسماء الخمر العجوز وهي تمدح بالقدم قيل ان أول من استخرجها جمشيد ملك الفرس في خبر مشهور وفى التوراة ان نوحا «غرس كرماً وشرب من الخمر فسكر» وفي الخرافات اليونانيه انه ولد (لجوبتير) من (شميله) بنت (قدموس) ملك طيوه اليونانية ولد اسمه (بخوس) وزعموا انه ولد قبل اوانه فادخله جوبتير في فخذه ليكمل مدة الحمل التي كان يمكثها في بطن أمه وقالوا انه اول من اعتصر النبيذ ولذلك كانوا يقربون له التيوس لان من دأبها اتلاف شجر العنب

(٢) تباشير الصبح أول مايلوح منه وقد انزل الشاعر هذه الكلمات في أحسن منازلها واستعملها في ألطف المعاني واكملها فكانت الطرب اوهي ام الطرب

(٣) بنو عذرة قبيلة مشهورة في العرب بالعشق واليها ينسب الهوي المبرح فيقال هوى عذري قال بعض بني فزاره قلت يوما لعذري اتعدون موتكم في الحب مزية

وليلى وعن حب مجنونها وعمن وفى للهوى او غدر
ويذكرنا فلات الردى بأهل البوادي وأهل الحضر
كحظ السعيد اذا ما ارتقى وحظ الشقي اذا ما انحدر
أرى كل شيءٍ له آية وآية هذي الليالي العبر
فيا قمر الافق ماذا الزمان جيل تخلى وجيل غبر
ويوم يمر ويوم يكر فآناً نساء وآناً نسر
بربك هل بالدجى لوعة فان غاب عنه سناك اعتكر (١)
كغانية فارقت صبها فأرخت عليها حداد الشعر (٢)
اذا ما سهرنا لما نابنا فما للنجوم وما للسهر
أترثي لمن بات تحت الدجى يقلب جنبيه حر الضجر
على لوعة يصطلي نارها وجمر الهوى في حشاه استعر

وهو من ضعف البنية ووهن العقيدة وضيق الرئة فقال اما والله لو رأيتم المحاجر البلج • ترشق بالعيون الدعج • من تحت الحواجب الزج • والشفاه السمر • تبسم عن الثنايا الغر • كأنها شذر الدر • لجعلتموها اللات والعزى • وجميل هو صاحب بثينه المشهور (١) اعتكر الليل اظلم

(٢) المشهور أن الحداد اسود ولكن ذكروا عن اوروبا أن علامة الحداد فيها كانت لبس الاحمر في القرون الوسطى ودام ذلك حتى القرن الخامس عشر حيث كانوا يرتدون الثوب الاحمر ويضعون عليه علامة سوداء • وقبائل (المورس) في زيلانده الجديدة لاتزال حتى اليوم تلبس الاحمر حداداً • وكان بعض الاقدمين يفرطون في اتخاذ اللون الاحمر علامة على الحداد حتى انهم كانوا يصبغون وجوههم بدهان احمر حينما يشيعون جنازات موتاهم • والاعجب من كل ذلك ان البياض كان حداداً في الاندلس وقد قال قائلهم

يقولون البياض لباس حزن بأندلس فقلت من الصواب
ألم ترني لبست بياض شيبي لاني قد حزنت على شبابي

وقد بسط البدر فوق الثرى بساطاً فنام عليه الزهر
الى أن طوته يمين الصبا وقد بللته عيون السحر
وباح الصباح باسراره فحجبت الشمس وجه القمر [١]

(وقال) يصف الصور المتحركة المعروفة (بالسنوغراف) وهي من أول قوله

كيف فؤادي والهوى شاغل يهيجه المنزل والنازل [٢]
مازلت أخفيه وأخفى به في الناس حتى فضح العاذل
فمادنا المطل وعدنا له رحماك فينا أيها الماطل
كل امرئ أيامه تنقضي لا أمل يبقى ولا آمل
وما (السنوغراف) وما مثلت الا الصدى ينقله الناقل [٣]
تبعث فيها أمم قد خلت وتجتلى في (لندن بابل) [٤]
كم مثلت من طلل ماثل فكاد يحيي الطلل الماثل [٥]
كأن فيها للهوى منزلا فكل قلب عندها نازل [٦]
تلهو به عطبولة خاذل وقد بكت عطبولة خاذل [٧]

(١) قال الناظم انه لم يصف القمر في هذه القطعة الا بما يناسب الغرض الذي كان في نفسه يومئذ (٢) ان الابتداء بهذا الغزل مبنياً على انه جاء تمهيداً حسناً للوصف

(٣) توجد آلة أخرى غير السنوغراف ترى بها الصور مجسمة واسمها (الستر سكوب) اخترعها كارلوس هوتستون المولود سنة ١٨٠٢ للميلاد

(٤) لندن عاصمة البلاد الانكليزية وبابل هي البلدة التي ينسب اليها السحر والخمر واختلفوا في حد موضعها ويقال ان اول من سكنها نوح عليه السلام وهو اول من عمرها وقال بعضهم ان الذي بناها هو (بيوراسف) الجبار واشتق اسمها من اسم المشتري لانه بابل باللسان البابلي الاول اسم للمشتري . هكذا قالوا والله اعلم

(٥) الطلل الماثل الذي عفا رسمه (٦) هذا وصف فصل من فصول هذه الصور

(٧) العطبولة المرأة الطويلة الجيد. والخاذل الظبية العاطفة على ولدها

وعانق العاشق معشوقه   فاجتمع المقتول والقاتل
ياويح نفسي هل رؤى نائم   أم خطرات ظنها غافل
لاتضحك الجاهل في نفسه   إلا بكى في نفسه العاقل
مواعظ مثلها هازل   ورب جد جره الهازل
تزول من بعد الى عبرة   وكل شيء غيره زائل (١)
كالنفس تنسى الموت في لهوها   وليس ينسى الاجل العاجل
وهكذا الدنيا انتقاص وما   يكون فيها فرح كامل (٢)

وقال (في الساعة)

تضرب كالقلب شفه السقم   كأن فيها الهموم تصطدم
ذات محيا أظل أقرأ من   خطوطه ما يخطه القلم (٣)
تذكرني ما يرمن عمري   فكل يوم يجد لي ندم
وليس إما سمت عقاربها   يدب في غير مهجتي الألم (٤)
ولا إذا عجلت نجائبها   في غير ضيق القلوب تزدحم
ما إن تراعي لاهلها ذمما   إن رعيت عند أهلها الذمم
وما أراها سوى الزمان أما   يدور فيها النعيم والنقم

(١) كل شيء غيره اي غير الله تعالى وكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (٢) انتقاص اي منتقص كل ما فيها

(٣) المحيا الوجه وللخطوط التي تكون في وجه الانسان فوائد تعرف من علم الفراسة أما التي في محيا الساعة فهي علامات الدقائق فاذا كان مما خطه القلم الازلي ان يلقى المرء شيئاً في الزمن الذي ينقضي (بين الساعة واحدة والساعة اثنين) مثلا فلا تكاد تنتهي عقارب الساعة الى هذه العلامة حتى يقع ما قدر فكأنه قرئ في هذه الخطوط (٤) لا تخفى التورية هنا في العقارب

يا أخت ذات البروج هل حجبت طوالع السعد هـذه الظلم (١)
وهل تعود الجدود ثانية من بعد هذا العبوس تبتسم
ما أثبت الهم في الصدور اذا أمست ليالي الحياة تنهزم (٢)

وقال (في وردة)

وردة هب في الريا ض على الفجر طيبها
عانقتها الصبا كما ضم خودا حبيبها
فرمتها من الزهور عيون تريبها
تركتها من الضحى في هموم تنوبها
ثم جفت عروقها وتجافت جنوبها
وشكت في الهجير من زفرات تذيبها
فدعا روضها الاصيـــل فوافى طبيبها
وشفاها بنسمة كان طبا هبوبها
ساءلت عن مصابها فتنادى يجيبها
ليس تخلو مليحة من عيون تصيبها (٣)

(١) ذات البروج هي السماء ووجه الشبه هنا هي العلامات الأثنتا عشرة والحركات الزمنية العجيبة (٢) قيل ان القدماء كانوا يكتبون هذه العبارة اللاتينية على الساعات رمزاً لانقضاء العمر بمرور الاوقات وهي «كلهن جارحات والاخيرة تقتل»

(٣) انظر يارعاك الله الى الوردة كيف تفتحت في فجر هذا الشعر ثم هبت عليها صبا هذه السلاسة فاعتنقتها ففارت منها الالفاظ التي هي كعيون الزهر فطلعت عليها شمس من البلاغة جفت لها عروقها وتجافت جنوبها ثم زفر عليها حر هذا الكلام فكاد يذيبها ماء كالرضاب فهبت عليها نسمة من تلك الخطرات أنعشتها فأعلمها الشاعر ان المليحة لا تخلو من عيون تصيبها وعادت الوردة في الاصيل كما كانت في الفجر طيباً ونضرة . أليس هذا هو البيان ؟

وقال (في شبان اليوم)

أرى عجباً اذا أبصرت قومي وماتخلو من العجب الدهور
صعاليك اذا ما ميزوهم وكل في عشيرته أمير [1]
ومن يك أعوراً والقلب أعمى فكل الخلق فى عينيه عور
فيا لله أي فتى أراه كما انعطفت بشاربها الخمور
كأن قوامه غصن ولكن تفتح فوق عروته الزهور
كأن ثيابه شدت عليه كما لبست من الريش الطيور
فتحسب قده فيهن خصرا وتحسن في (المشدات) الخصور
كأن الحلي يبرق في يديه لتكمد من تلألئه النحور
ألا أبقوا الحجاب على الغواني قد اشتبه الحمائم والصقور [2]

وقال في حريق ميت غمر [3]

الا لاتلمه اليوم أن يتألما فان عيون الحي قد ذرفت دما

(١) لا عجب فان كلمات السيادة الكاذبة التي يخاطب بها «شبان اليوم» من مثل «ياباشا ويابيك» تعمي قلب الاعور فيرى الناس كلهم عوراً ويري نفسه عليهم أميراً وهو صعلوك في نفسه (٢) يريد بالحمائم العذارى والفتيات وبالصقور الشبان وهذا البيت من أحسن ما وجدته في الكناية ولو تقدم به الزمان لكان في صدر الامثال وماذا يقول قاسم بك أمين في هذا البرهان ان كان لا يزال على رأيه من وجوب رفع الحجاب؟

(٣) شبت النار في ميت غمر بعد ظهر الخميس اول يوم من مايو سنة ١٩٠٢ وقدرت الخسائر بأكثر من ٤٠٠ الف جنيه وأصبح نحو ٥٠٠٠ نفس وبضع مئين بلا مأوى وجرت اذ ذاك حوادث عجيبة منها ان رجلا جمع من حطام الدنيا ٣٠٠ جنيه ودفنها فلما شبت النار في منزله وكان غائباً عنه جاء اليه ودفع به حرصه الى حيث دفن خبيئته فوجد بعد ذلك محروقاً وماله في يده . وكان لرجل حمار فخرج يعدو به وقد اصطفت لهما مواكب النار . فكان كأم عمرو لا رجع بعد ذلك ولا رجع الحمار

رأى من صروف الدهر في الناس ما رأى | وعلمه الدهر الاسى فتعلما
ولم يك ممن يملك الهم قلبه | ولكن أتاه الهم من جانب الحمى
هنالك حي كلما عنّ ذكرهم | تقسم من احشائه ما تقسما
يعتلهم في قلبه كل لاعج | وترمي به ذكراهم كل مرتمى
فمن مرسل عينيه يبكى ولوجرت | مدامعه بين الغضا لتضرما[1]
ومن واجد طاو على حسراته | ولو انها في شامخ لتهدما
ومن ذي غنى يشكو الى الله أمره | وقدبات محتاجاً الى الناس معدما
ومن ذات خدر لم تجد غير كفها | نقابا ولم تترك لها النار محتمى
جرت في مآقيها الدموع عفيفة | وقد كشفت للناس كفا ومعصما[2]
وباتت وبات القوم عنها بمعزل | مناجية ربا أبر وأرحما[3]
وعذراء زفتها المنون فلم تجد | سوى القبر من صهر اعف واكرما[4]
فحطت أكف الموت عنها لثامها | وهيهات بعد الموت أن تتلثما
ومن والد بر وأم رحيمة | تنوح على من غاله الموت منهما
يجيءان حتى لاعزاء سوى الرضا | وكان قضاء الله من قبل مبرما
فان رأيا طفلا تجشمت البكا | على طفلها بعد الرضا وتجشما

(١) أرسل عينيه وعصرهما اذا بكى والغضا شجر ناره حامية ودموع الحزن تكون حارة ولذلك يقال في الدعاء على الانسان أسخن الله عينه.

(٢) قوله عفيفة احتراس اذ من الجائز ان يكون مجرى دمعها لريبة مثلا

(٣) في البيت الطباق بين « ربا وابر » ومثاله قوله تعالى «وربك فكبر»

(٤) قال عبيد بن عبد الله بن طاهر

لكل أبي بنت يرجي بقاؤها | ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها | وقبر يواريها وخيرها القبر

وان هجعا ارضاهما الوهم في الكرى　　وساءهما بعد الكرى ما توهما (١)
ووالدة ثكلى وزوج تأيمت　　ومرضعة حسرى وطفل تيتما (٢)
وقوم وراء الليل لا يطرق الكرى　　عيونهم ان باتت الناس نوّما
فمن مطرق يروي الثرى بدموعه　　كأن الثرى يشكو اليه من الظما
ومن طامح للافق حتى كأنه　　على العدم يستجدي من الافق انجما
حنانيك يارباه كم بات سيد　　يمد يديه يسأل الناس مطعما
وكم من اشم الانف أرغم أنفه　　وما كان يوماً يطرق الرأس مرغما
اذا هم بالتسآل أمسك بعدها　　حياء فلم يفتح بمسألة فما
وكم من فتى غلت يداه عن العلا　　وقد كان مجدول الذراعين ضيغما
أتتهم وراء النار كل فجيعة　　تسوق لهم في (ميت غمر) جهنما
اذا عصفت شدت على الناس شدة　　فلم تبق بين البائسين منعما
وان زفرت شاب الوليد لهولها　　وكان خليقاً ان يشيب ويهرما
يحوم عليها الموت من كل جانب　　وقد نظر الارواح أقبلن حوما
فلو كان يستسقى الغمام بمثلها　　لاغرقنا من صيب الغيث ماهما (٣)

(١) يريد انهما اذا ناما رأيا اولادهما في الحلم فيسران ثم يستيقظان متحرقين جوى وذكرى ومن عجيب أمر القوة الخيالية ان شاعراً اوروبياً مات له ابن فكان يراه حينما توجه وهو يبتسم له فيجري وراءه حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ولظم في ذلك قطعة باردة ولكن الاعجب من ذلك هذا البيت الذي يروونه للمجنون

أريد لانسى حبها فكانما　　تمثل لي ليلى بكل سبيل

(٢) الثكلى فاقدة الولد والأيم فاقدة الازواج واليتيم فاقد الوالدين جميعاً

(٣) يشير الى نار الاستسقاء وهي احدى نيران العرب الاربع عشرة وذلك ان العرب كانت اذا ارادت الاستسقاء في سنة الجدب عقدت السلع والعشر وهما ضربان من الشجر في اذناب البقر وبين عراقيبها ثم اطلقوا فيها النار وصعدوا بها الجبال ورفعوا

سلام على تلك الديار وقد غدت طلولا تناجيها الدموع وأرسما
فكم طلل قد بات يرثي لصحبه ولو انه اسطاع الكلام تكلما
وكم منزل قد بات قبراً لاهله وباتوا به جلداً رفاتاً واعظما
سلام على الباكين مما دهاهم على حين لاتجدي دموع ولا دما
سلام عليهم ان في مصر عصبة سراعاً الى دفع الردى اين خيما
فكم فرجوا عن كل نفس حزينة (فما عبس المحزون حتى تبسما)

اصواتهم بالدعاء ليرحمها الله فيمطرهم اما باقي نيرانهم فهي نار المزدلفه توقد حتى يراها من دفع من عرفه وأول من أوقدها قصي بن كلاب ونار التحالف لا يعقدون الحلف الا عليها يطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك • ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له ناراً بمنى ايام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان • ونار السلامه توقد للقادم من سفره سالماً غانماً • ونار الزائر والمسافر وذلك انهم اذا لم يحبوا الزائر ولا المسافر أن يرجع أوقدوا خلفه ناراً وقالوا ابعده الله واسحقه • ونار الحرب وتسمى نار الاهبة يوقدونها على يفاع اعلاماً لمن بعد منهم • ونار الصيد يوقدونها للظباء لتعشى ابصارها • ونار الاسد يوقدونها اذا خافوه لانه اذ رآها حدق اليها وتأملها ونار السليم توقد للملدوغ اذا سهر والمجروح اذا نزف ومن الكلب الكلب يوقدونها حتى لاينامو ا• ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سلبوا قبيلة وطاب منها الفداء كرهوا ان يعرضوا النساء نهاراً لئلا يفتضحن • ونار الوسم التي يسمون بها الابل لتعرف أبل الملوك فترد الماء اولا • ونار القرى وهي أعظم نيرانهم • ونار الحرتين وهي النار التي أطفأها الله لخالد بن سنان العبسي احتفروا له بئراً ثم ادخل فيها والناس يرونه ثم اقتحمها وخرج منها وكانت في بلاد عبس تسطع في النهار دخاناً وتكون بالليل ناراً وربما بدر منها عنق فأحرق من مر بها وزيد عليها نار السعالى وهو كل شيء يقع للمتغرب والمتقفر ونار الحباحب وهي كل نار لا اصل لها مثل ما يقتدح من نعال الدواب وغيرها ونار اليراعه وهي طائر صغير اذا طار في الليل حسبته شهاباً وضرب من الفراش اذا طار في الليل حسبته شراراً

الباب الرابع

في الغزل والنسيب [1]

﴿ قال ﴾

عصافير يحسبن القلوب من الحب ... فمن لي بها عصفورة لقطت قلبي [2]
وطارت فلما خافت العين فوتها ... أذالت لها حباً من اللؤلؤ الرطب
فياليتني طير أجاور عشها ... فيوحشها بعدي ويؤنسها قربي
وياليتها قد عششت في جوانبي ... تغرد في جنب وتمرح في جنب
ألا يا عصافير الربى قد عشقتها ... فهبي أعلمك الهوى والبكا هبي
أعلمك النوح الذي لو سمعته ... رثيت لاهل الحب من شغف الحب
خذي في جناحيك الهوى من جوانحي ... وروحي بروحي للتي أخذت لبي
نظرت اليها نظرة فتوجعت ... وثنيت بالاخرى فدارت رحى الحرب

(١) النسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف احوال الهوى بالصب معهن وقد يذهب على قوم موضع الفرق بين النسيب والغزل والفرق بينهما ان الغزل هو المعنى الذي اذا اعتقده الانسان في الصبوة الى النساء ينسب بهن من أجله فكأن النسيب ذكر للغزل والغزل المعنى نفسه . والغزل انما هو التصابي والاستهتار بمودات الحسان ويقال في الانسان انه غزل اذا كان متشكلا بالصورة التي تجانس موافقات النساء لحاجته بالوجه الذي يجذبهن الى ان يملن اليه .

(٢) مما يحسن ذكره انه كان لاحد بني المنجم جارية صفراء مولدة فبلغ به الوجد بها الى ان مرض ونحل فدخل عليه الطبيب فجسه وقال هذا الفتى قد أحرقته الصفراء « يريد احدى الطبائع الاربع » فقال العليل أصبت وأحسنت من حيث لا تشعر

فمن لحظة يرمى بها حد لحظة كما التحم السيفان عضباً على عضب
ومن نظرة ترتد من وجه نظرة كما انقلب الرمحان كعباً الى كعب
فساقت اميني عينها أي أسهم قذفن بقلبي كل هول من الرعب
وساق لسمعي صدرها كل زفرة أقرت بصدري كل شيءٌ من الكرب
ودارت بي الالحاظ من كل جانب فمنهن في سلبي ومنهن في نهبي
فقلت خدعتنا انها الحرب خدعة وهون خطبي أن أسر الهوى خطبي
فقالت اذا لم تنج نفس من الردى فحسبك ان تهوى فقلت لها حسبي
ولي العذر إما لامني فيك لائم فاكبر ذنبي ان حبك من ذنبي
ويامن سمعتم بالهوى انما الهوى دم ودم هذاك يصبو وذا يصبي[1]
متى ائتلفا ذلا ودلا تعاشقا والا فما في رونق الحسن مايسبي
سلوني أنبئكم فلم يدر ما الهوى سواي ولا في الناس مثلي من صب
اذا شعراء الصيد عدوا فانني لشاعر هذا الحسن في العجم والعرب[2]
وان أنا ناجيت القلوب تمايلت بها نسمات الشعر قلباً على قلب
وبي من اذا شاءت وصفت جمالها فوالله لا يبقى فؤاد بلا حب
من الغيد اما دلها فملاحة وأما عذابي فهو من ريقها العذب
ولم يبق منها عجبها غير خطرة ولا هي ابقت للحسان من العجب[3]
عرضت لها بين التذلل والرضا وقد وقفت بين التدلل والعتب

(١) حدثنا الناظم ذات مرة قال . ليس العشق ما يظنونه من مليح يستحسن أو حسن يستملح ولكنه دم يتحرك دلالا ودم يتحرك غراماً وهذا آخر رأيه فيه ومن أجله قدمنا هذه القصيدة (٢) لا بد ان يلقب صاحبنا بعد اليوم بشاعر الحسن ولكن هل من فاتنة تصدر امرها بذلك ..؟ (٣) يريد انها دائماً تمايل من العجب حتى لا يرى الانسان منها الا خطرات

وأبصرت أمثال الدمى يكتنفنها فقلت أهذي الشهب أم شبه الشهب [1]
فما زال يهدي ناظري نور وجهها كما نظر الملاح في نجمة القطب [2]
وقد رحن أسراباً وخفت وشأنها فعيني في سرب وقلبي في سرب
وقالت تجلد قلت يامي سائلي عن الحزن يعقوبا ويوسف في الجب [3]
وما إن ارى الاحباب الا ودائعاً ترد فاما بالرضاء أو الغصب

وقال

ووصف فيها القطار

جارتي هل رأيت مثلي جارا كلما جنه الظلام استجارا
يشتكي مرة على الكبد الحرّا ويبكي على الفؤاد مرارا
فأعيني على الاسى اليوم وارعي بيننا الود والهوى والجوارا
كيف تأين والقلوب بكفيـــك ولما تفك هذى الاسارى
كل يوم تبلو العذاب جديدا وهي ليست تحب الا اضطرارا
واذا ماعذبت ذى العين بالما ءفكيف استحق ذا القلب نارا [4]

---

(١) الدمى جمع دمية بالضم وهي تصاوير العاج يشبه بها النساء لحسنها ونقائها ويكتنفنها أي حافات حولها

(٢) هي نجمة معروفة عند الملاحين توجد دائماً جهة الشمال وهي آخر نجمة من ذنب الدب الاصغر فاذا ضلوا في البحر اهتدوا بها الى الجهة التي يقصدونها والسكتة هنا في « الناظر » لانه غريق في العيون ضال في بحر الجفون

(٣) شبه ظلمة النوى بالجب وكأنها يوسف وقد ألقيت فيه وكأنه يعقوب وقد حزن عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم

(٤) لست متضلعاً من القانون فأشرح هذه المسألة وأبين وجه الظلم فيها فان الطرف والقلب شريكان في جناية الهوى ولا ندري لماذا عذبت العين بالماء والقلب بالنار ....

أمهليني أذر المدامع حينا ... ان في أعيني دموعا غزارا
وبنفسي على الحبيبة عتب ... مثل هز النسائم الازهارا
ليتها حينما تجنت ولا ذنـ ... ـب جنيناه تقبل الاعذارا
كيف هام القطار حين رآها ... أترى حسنها استهام القطارا
ليس في قلبه سوى الشوق لكن ... كتم الدمع فاستحال بخارا [1]
واذا صاح صيحة البين فينا ... ترك العاشقين طرا حيارى
ساريطوي جوانب الارض طيا ... ولو استطاع أن يطير لطارا
كزمان الصبا ونومي اذا نمـ ... ـت وطيف الحبيب ليلة زارا [2]
أو كمعنى يمر بالفكر لا ينقا ... د أو مثل خاطري لا يجارى
وكأن البلاد أرسلن منه ... مثلا راح بينها سيارا
ياشبيه الدجى اذا غابت الشمـ ... ـس انطلق سالمًا وقيت العثارا [3]
لو درى الافق انها فيك ما أطـ ... ـلع شمس الضحى لئلا تغارا
سوف تأسى كما أسيت اذا ما ... آنست أهلها وتلك الديارا
وسرور الفتى غرور اذا كا ... ن يرى ما يسره مستعارا
ليت شعري أنافعي اليوم أني ... لا أرى كالذي ترى اشعارا
تحسب الناس أن تلوها سكارى ... قد حسوها وماهم بسكارى

---

(١) من كان يقول من الشعراء مثل هذا فحسبه والا فالصمت زين والسكوت سلامه (٢) زمان الصبا ونوم العاشق وطيف المشوق كلها لحظات ولذلك شبه بها القطار في سرعته على ان المقام يقتضي هذا التشبيه

(٣) ان يكن في الحشو نوع لا يحسن الشعر الا به فمثل قوله « اذا غابت الشمس » وقد كان ابن حجة يسمي مثل هذا الحشو حشو اللوزينج وهو الطعام المعروف « لمن يأكله »

واذا ما انشدتها الفجر يوما　　سحر الفجر حسنها فاستطارا [١]
ورأيت النجوم غارت حياءا　　وسمعت الهزار يشجي الهزارا
إن عدمنا في الناس من يسعد النـــــاس فانا لم نعدم الاطيارا
ياليالي الفراق كوني طوالا　　داجيات أو مشرقات قصارا
مالمن فارق الحبيب جفون　　تعرف الليل بعده والنهارا
والذي يعشق الحسان اذا سر　　ته دهرا أساءته أدهارا
كيف تقضى الاوطار نفسي من العز　　على أن للهوى أوطارا
والاماني يسعى لها الناس لكن　　قصر الحظ دونها الاعمار [٢]

وقال

أرى في ذلك الثغر　　طلا وشفاهك الكاس [٣]
فان جدت شفيت وان　　بخلت امضني الياس [٤]
وأحلى الحب ما كان　　ولم يعلم به الناس

وقال

ووصف فيها القطار أيضاً

أترى زمانك بالحمى سيعاد　　أم طول دهر كما نوى وبعاد

---

(١) يقال استطار الصباح اذا انتشر ضوءه واستطار الرجل بالكلمة اذا طرب لها طرباً استخف وقاره وان من البيان لسحراً

(٢) جاء بعض الاعراب الى الاصمعي وهو في مجلسه فاستنشده فأنشده شيئاً من شعر الفحول فاستخف به ثم أنشد الاعرابي لنفسه فقال الاصمعي لاصحابه اكتبوه ولو باطراف المدى في رقاق الاكباد أما نحن فنقول انه من حق هذه القصيدة ان تكتب ولو بجمرات الرصاص على ألواح الصدور . (٣) الطلاء بالكسر الخمر وهو مقصور هنا ضرورة (٤) مضه وأمضه بلغ من قلبه الحزن به

سارت فما لبث الفؤاد كأنما ... بين الفؤاد وبينها ميعاد
ودرت عيوني بعدها كيف البكا ... ودرى بعيني بعدها التسهاد (١)
وحسدت واشيها اذا استممت له ... فعرفت كيف توجع الحساد
لله اي مدامع من بعدها ... تجري وأية لوعة تنقاد
كدنا نجن وقد تأهب اهلها ... وجننت لما ودعوا أو كادوا
لو انهم زموا النياق لسلمت ... عين وودع جانبيه فؤاد
لكن جرى بالبين فيما بيننا ... (برق) له في مره ارعاد
تتخطف الارواح والاجساد ان ... عرضت له الارواح والاجساد
ويفرق الشمل الجميع فان دها ... لم يمهل الاحباب ان يتنادوا
متضرم الاحشاء لا من لوعة ... لكنما استعرت به الاكباد
كالقصر فيه لكل خود حجرة ... ولكل صب مضجع ووساد
وكأنه اذ أشرقت منه المهى ... فلك تحفف حوله الارصاد (٢)
وكأن أبراج السما حجراتها ... في كل برج كوكب وقاد
لو لم يكن للبين فيه علامة ... ما كان فيه من الغراب سواد (٢)

---

(١) هذا هو الالتفات على ما عرفه بعضهم . فانه ابتدأ يخاطب شخصاً جرده من نفسه ثم التفت بعد ذلك فتكلم عنها واستعمل ضمائر المتكلم

(٢) هذا وصف « المنتحر » بعينه حيثما تفتح نوافذه وتطل منها اوجه الحسان المسافرات ما بين مصر والاسكندرية ...

(٣) من خرافات الرومان ما رواه « أوفيد » عن سبب اسوداد الغراب قال كان المعبود ابلون يعشق كوروس وكان الغراب صديقه وسميره وهو ابيض كالثلج فوقف الغراب ذات يوم على ان كوروس تهوى غير عشيقها فسعى بها اليه فاستفزت الغيرة ابلون فرشقها بسهم اثبته في فؤادها ثم ندم فعالجها فما اغنى شيئاً فعاد الى الغراب نقام وحوله اسود ولذلك قبل التميمة تسود العرض . وكان اهالي الجنوب يتطيرون

يا سعد هذا عصرنا فدع النيا ق يشفها الأتهام والأنجاد [1]
واهجر حديث الرقتين واهله بادت ليالي الرقتين وبادروا
واذكر احبتنا الذين ترحلوا ولو انهم رحموا القلوب لعادوا
اني اراهم كلما طلعت ذكا أو مال غصن البانة المياد
أو لاح لي قمر السما أو اتلعت بين الرياض من الظبا الاجياد
ولقد رأيت لحاظهم مسلولة يوم انتضت اسيافها الاجياد
تلك السيوف وما سواء في الهوى ما تحمل الظبيات والآساد
أتراهم ذكروا هواي وقد جفا ذات الجناح على الغصون رقاد
فبكت على شجن ورجعت البكا وتمايلت جزعا لها الاعواد
أم يذكرون هواي ان قيل انقضى أجل المريض وخفت العواد
بخلوا وجدت كأنما خلق الهوى من عاشقين بخيلة وجواد
قف بي على القصر الذي ودعنه وعليه من ظلم الفراق حداد
واسأله هل لهم اليه مرجع ولذلك الزمن القديم معاد
فعسى يجيبك انني أرعى له عهد الوداد وللقصور وداد

به ويستدلون بطيرانه على ما خبئ لهم في الغيب من الرزايا وذلك من عهد اليونان والرومان قبل ان يعرف شيء عن العرب وطيرتهم · ومن الفكاهة ماحكاه الخليل ابن سعيد قال مررت بسوق الطير فاذا الناس قد اجتمعوا يركب بعضهم بعضاً فاطلعت فاذا ابو السائب المخزومي قائم على غراب يباع وقد اخذ بطرف ردائه وهو يقول للغراب يقول لك قيس بن ذريح

الا ياغراب البين قد طرت بالذي احاذر من لبنى فهل انت واقع

لم لا تقع ويضربه بردائه والغراب يصيح فقال له قائل اصلحك الله ليس هذا ذاك الغراب قال قد علمت ولكن آخذ البريء حتى يقع الجريء

(١) الاتهام والانجاد المسير الى تهامة والى نجد ويراد بهما الارتفاع والانخفاض

ولعله يحكي تنهدها فقد يحكي الجمادالصوت وهو جماد[١]

وقال

قمر أطلعت أخاه السماء وغزال ما شابهته الظباء
ان رنا يفضح النساء وان قيل تأبى تغار منه النساء
يدعي البان قده وتثنيه وما البان والقدود سواء
ويرى الورد انه مثل خديه وتأبى خدوده الحمراء
هل سبيل الى لقاه وان لم يشف مابي من الغرام اللقاء
فأناجيه مثلما غرد الطير وناجت أليفها الورقاء
يامليك الهوى اتق الله في النا س فقد قطع القلوب الجفاء
ان تكن راعي المحاسن فينا فأنا من رعيتي الشعراء

وقال

ياطير ما للنوم قد طارا وما قضينا منه أوطارا
كأن هذا السهد لا يأتلي يطلب من أجفاننا ثارا[٢]
ان كنت ظمآن فذي أدمعي تفجرت في الارض أنهارا
أو كنت ذا سغبة فالتقط حبة قلبي كيفما صارا[٣]
أو كنت مشتاقا فكن مثلنا على الهوى ياطير صبارا
وجارني ان كنت لي صاحبا فان خير الصحب من جارى
ياطير كم في الحب من ساعة يزيد فيها العمر أعمارا

(١) يريد بالجماد (الفونوغراف) وهو حاكي الاصوات والمعنى الذي يريده ان القصر يرعى له الوداد وانها تحبه ولذلك تنهد ساعة الخروج فيحفظ القصر هذا الصوت ليتحفه به اذا جاءه مساماً (٢) لا يأتلي اي لايزال (٣) السغبة الجوع

ان قلت تلهيني بها فكرة | جرت على الافكار أفكارا
أو قلت أنساها أقام الهوى | من حرها في القلب تذكارا
والصب ما ينفك في حيرة | تزيده حزنا وأكدارا
مالي أرى الاطيار نواحة | كأنما فارقن أطيارا
وما لاغصان الربى تلتقي | كأنما يبثثن اسرارا
فاسأل نسيم الصبح ان مر بي | هل حملته النيد أخبارا
وسل عن الدار ويا ليتني | أزور يوما هذه الدارا
كأنها الجنة لكنني | أبطنت من وجدي بها النارا
سماؤها مطلعة أنجما | وأرضها تطلع أقمارا
وكم بها من أكحل ان رنا | سلت لك الاجفان بتارا (١)
وان مشى يخطر في تيهه | هزت لك الاعطاف خطارا
لا انكر السحر وذا طرفه | اصبح بين الناس سحارا
يافاتن الصب على رغمه | والمرء لا يعشق مختارا (٢)
طورا بنا هجر وطورا نوى | أهكذا نخلق أطوارا (٣)
لو شبهوا بدر السما درهما | لشبهوا وجهك دينارا (٤)

(١) الاكحل ذو الاجفان الكحيلة (٢) مسألة فيها نظر ولا يسع المقام تحقيقها (٣) قال تعالى « ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم اطوارا » اي احوالا من النطفة الى العلقة الى المضغة الخ ولكن الشاعر حول المعنى مع مراعاة الادب فقال (أهكذا) وانما يكون منتقداً اذا قال (وهكذا) مثلا (٤) تشبيه الوجوه بالدنانير كثير في الشعر العربي ويمكن ان يكون وجه الشبه ما نظر اليه ابو العباس الاعمى في قوله مادحاً

في حلوم اذا الحلوم استفزت | ووجوه مثل الدنانير ملس

على انا لم نجد في كل ما قرأناه من ذلك كهذا البيت فقد راعى التنظير في كل من المشبه والمشبه به فذكر الدرهم والدينار والوجه والبدر وهذا من بدائع الاتفاق

وكم هوار فيك نظمتها تجل أن تحسب أشعارا
لو أن بشارا حكى مثلها أعطوا لواء الشعر بشارا [1]

وقال (في غادة رآها والشمس في الطفل)

لاحت لنا والشمس من غيظها قد ضرجت أثوابها بالدم
فاتنة من بخلها لم تزل وجنتها محصورة في الفم
فما أراها راهب راهبا الا شكا المغرم للمغرم

وقال (في مليح غربي)

بأبي أنت ياغزال وروحي وفؤادي ونور عيني وعيني
أنت كالبدر حين يطلع لكن في سواد القلوب والمقلتين
لو رآك الذين قالوا ثلاث بعد وهن لثلثوا القمرين [2]
خفق الحلي فوق صدرك والقلـب فهل أنت مالك الخافقين
وأرى السحر في العيون فهل جئـت بها (بابلا) الى الساحرين [3]
وبخديك جنتان ولكن في فؤادي لظى من الجنتين
ياقضاة الغرام في أي شرع أن يحولوا بين الحبيب وبيني
في يديكم غريم ظبي من الغر ب سبي المشرقين والمغربين

---

(١) بشار هو ابن برد الشاعر الشهير وكان اعمى . زعم انه أشعر الشعراء لانه قال اثنى عشر الف قصيدة لا تخلو واحدة منها من بيت نادر فيكون النادر من شعره اثني عشر الف بيت وهو ما لا يوجد لغيره . وسمي ابا المحدثين لانه فتق لهم اكمام المعاني ونهج لهم سبيل البديع فاتبعوه وكان ابن الرومي يقدمه ويزعم انه اشعر من تقدم وتأخر (٢) الوهن والموهن نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه ويريد بالذين قالوا ثلاث من يعتقدون ان الاله ثلاثة آلهة وما من اله الا الله

(٣) الساحران هما هاروت وماروت وقصتهما معروفة

فاتقوا الله في قتيل حبيب (حسن)طل دمه(كالحسين)[1]

وقال

سهرت والليل أمسى للورى سكنا فمن يدل على اجفاني الوسنا
أرعى كواكبها حتى اذا أفلت ألقيت للطير في تحنانها الأذنا
واسأل الحب عن روحي وعن بدني فلا أرى لي لا روحاً ولا بدنا
وما نظرت لاعضائي وقد بليت الا حسبت ثيابي فوقها كفنا
يامن يعز على نفسي تدلله كم ذا أكابد فيك الذل والوهنا
دروا بما بي ولولا الدمع كان دما لما تظنوه الا عارضاً هتنا[2]
ورب ذي سفه قد هب يعذلني فقال أنت الفتى المضنى فقلت أنا
وهل أخاف على سر الهوى أحداً وقد خلقت على الاسرار مؤتمنا
فدع غرامك يطويني وينشرني ودع عذولي يطوي جنبه الضغنا[3]
من كان مثلي لم يحفل بمثلهم ومن احب استلان المركب الخشنا
كأنما الحسن امسى فيك مجتمعاً فأيما نظرت عيني رأت حسنا
وان تكن فتنة للعاشقين فما يزال أمر الهوى ما بيننا فتنا
فاسأل محياك كم اخجلت من قمر وسل قوامك ذا المياس كم غصنا
وكم يبيعك اهل العشق افئدة وانت لاعوضاً تعطي ولاثمنا[4]
فيم اقتصاصك من قلبي تعذبني وما جنيت ولا قلبي عليك جنى
اما كفاني ما القاه من زمني حتى اغاب فيك الشوق والزمنا

(١) قتل الحسين عليه السلام صبراً وظلماً (٢) العارض الهتون السحاب الممطر وتظنوه وظنوه بمعنى يريد ان دمعه لو لم يكن ممتزجاً بالدم لظن الوشاة ان السماء قد امطرت ولم يحسبوه يبكي (٣) الضغن الحقد والحسد

(٤) هذا والله هو فقه الهوى فما البيع الا بثمن او عوض

اني واياك كالمنفي عن وطن — اي البلاد راى لم يئنسه الوطنا (١)

وما اطاف بقلبي في الهوى امل — الا بعثت عليه الهم والحزنا

ليهنك اليوم اني ممسك كبدي — وانها قطع تجري هنا وهنا

وفي الجوانح شيءٌ لست اعرفه — لكن اهل الهوى يدعونه شجنا

يبيت ينبض قلبي من تقلبه — حتى اذا ذكروا من هاجه سكنا (٢)

فهل رثيت لمن لو بث لوعته — مع الصباح لابكى الطير والفننا

وهل تعللنا يوماً بموعدة — وان تكن لاتفي سراً ولا علنا

اوان نفسي على كفيك لانحدرت — ولو دفنت لما باليت من دفنا (٣)

وذو الشقاوة مقرون بشقوته — انى تقلب جرت خلفه المحنا

وقال

وهي من فنون الجنون

خداك ياذات العيو — ن الفاترات النعس

كالورد الا انه — يحميه لحظ النرجس

واما وقدك وهو من — تلك الغصون الميس

وشفاهك الحمراء والخمـ — ـر التي لم احتس

اني اذا رقص القوا — م ومال تحت السندس

(١) المنفي عن الوطن المبعد عنه وهذا المعنى من مبتكرات شاعرنا ولا يزال الباب مفتوحاً الى يوم القيامة

(١) نبض القلب خفق وهاجه وهيجه بمعنى واحد ولا يقال أهاجه

(٢) يريدان نفسه لو كانت على كف هذا الحبيب لرماها وتركه يموت وانه لو مات في حبه ودفن لبقي الهجر كما كان حياً وهجر الميت ترك زيارة قبره وتناسيه ٠ وهذا غاية في الاعراض

ونظرت ثغرك ضاحكا   وبقيت لي لم تعبسي
وسقيتني راح الهوى   من غير تلك الاكؤس
لأرى الكواكب خادما   تى كالجواري الكنس
وأظنني بين الملو   ك مليك كل الانفس
واری بحبك كل اذ   س حاضرا في مجلسي

وقال (وهما من اول قوله)

قالت سألت الورد عن وجنتي   يوما ووجناتي عن الورد
فقال لي خدي انا وردة   ثم انتمى الورد الى خدي

وقال في مثله

اهديت ذا الحسن وردا   وقلت (مني اليكا)
فقال ياشبه خدي   خدك يغار عليكا

وقال

هذا الدجى والهم في صدري   كالفحم زاد توهج الجمر
وكأن انفاسي بها شعل   طفئت من الاجواء في بحر (١)
وكأن احزاني بها شرر   زحم الكواكب فهي لاتسري
ياليل قطعت القلوب أسى   فابعث لها بنسائم الفجر
حتى م تطويني وتنشرني   خلق الردا بالطي والنشر (٢)
ماطال عمرك يادجى ابدا   الا ليقصر دونه عمري
فاذا قضيت وانت ذونفس   فاخبأ صباحك لي الى الحشر
واذا دجا ليل الحياة فدع   ياليل مصباحا على قبري

(١) الاجواء جمع جو (٢) خلق الثوب كنصر خلوقة وخلقا محركة بلي

انا والسما خصمان في قمر ... من حين اخجل بدرها بدري
حجبوه في ظلم كما سدلت ... ذات الدلال غدائر الشعر
يابدر لاتكمد وفيك ضني ... لك اسوة بالجفن والخصر
واذا احتجبت ففي الحجاب هوى ... وجمال ذات الخدر في الخدر
هل كنت شاهدنا ونحن كما ... قرن الضمير السر بالسر
إلفان منطلقان في جذل ... وهما من الاشواق في الأسر
هذا لذاك هوى وذاك بذا ... صب كحاسي الخمر والخمر
ثغرا على ثغر واحسن ما ... تجد الهوى ثغرا على ثغر
يابدر كانت ليلة ومضت ... وقع العصافير على الغدر (١)
بتنا ومن شفة على شفة ... حينا ومن نحر على نحر
اشكو ولاشكوى ويعذرني ... بالحب والحب من العذر
مثل الحمام تباكيا وهوى ... إما التقى إلا لفان في وكر
هيهات ارسل بعدها املا ... ضاع الرشاء اليوم في البئر (٢)
يامن شفا عين الزمان وما ... بصر الهوى إلا عمى الدهر
هبني كتابا انت مالكه ... واقرأ ولو حرفين من صدري (٣)
وعلام تهملني وانت ترى ... واوالهجا حسبت على عمر(و)
ان الذين هجرتهم خلقوا ... كالنحل لا تحيي بلا زهر
فلئن تكن قد سؤتني زمناً ... فالحب ذو يسر وذو عسر
يرجى الغنى للفقر وهو شقا ... أفليس يرجى الوصل للهجر

(١) الغدر جمع غدير (٢) الرشاء حبل الدلو شبه به الامل
(٣) ان الكتاب متى قرئ عنوانه عرف موضوعه . . .

ان تبتعد تقرب الى أملي ... والدهر منعكس بما يجري
واذا قسوت تزيدني طمعاً ... كم يخرج الماء من الصخر
وبأضلعي قلب أعلله ... بالوعد أحيانا وبالصبر
من كان يجني الحلو من ثمر ... وأمر فليصبر على المر [1]

وقال (في فلسفة الحب)

لاتلم ذا الهوى على ان يبوحا ... هكذا العطر دأبه أن يفوحا
كيف تخفى بين العواذل نار ... ساورتها الرياح ريحا فريحا
وسقام الهوى يلوح على العا ... شق مهما أراد أن لايلوحا
غلب الشوق أهله فترى القو ... م طريحاقضى ونضوا طريحا
وكأن الغرام حين شرى الانـ ... فس ألفى الكرام أرخص روحا
ياأخا الحب ما أرى الحب الا ... نظرا جارحا وقلبا جريحا
ثم من عاش بعد ذاك فقد عا ... ش ليبكي مما به أو ينوحا
وترى الطير ربما قام يسعى ... لحظة بعد أن تراه ذبيحا
ليس هذا الهوى سوى سكرة المو ... ت فهيئ للعاشقين الضريحا
يطمع النفس في الجمال فاما ... طمعت ألفت الجمال شحيحا
وهو بين العيون والقلب وحي ... كلما جالت اللواحظ يوحى
آه ما أوجع الغرام وما أعـ ... جب جسما على الغرام صحيحا
لم أكد أعرف الصبابه حتى ... برحت بي همومها تبريحا
وألفت العناء حتى من الرا ... حة عندي ان لا أرى مستريحا
واذا ضاقت الحياة بنفس ... وجدت وادي الممات فسيحا

(١) أمر الثمر ومر صار مراً

وقال

رأته عيني فوق كرسيه   كالشمس او أبهى من الشمس
مثل سليمان على عرشه   يحكم بين الجن والانس
فقال لي العاذل آمنت ما   أجحد فيه (آية الكرسي) [1]

وقال

ذات ملك طغت بها عزة الملـ   ـك فلم ترع في هواها العبيدا
ظلمتهم وجاهدوا علم الله   ـه فمن مات راح فيها شهيدا
هي غصن الرياض والزهر والور   د قواما ونفحة وخدودا
وهي شمس السماء والظبية الغيـ   ـداء وجها ومقلتين وجيدا
ولها النهي في الهوى ولها الامـ   ـر وما كان موعدا ووعيدا
ليس في الحب ان تشاء ولا في   قدر الحب والقضا ان تريدا
انه في الرقاب مسكنة الدهـ   ـر كما طوق الهوان اليهودا [2]

وقال

حطي نقابك لحظة   فالحسن أجمع في نقابك
ظمأ الفؤاد الى رضا   ك ظما الشفاه الى رضابك

وقال

غرامك لا يبقي على نفس انسان   فسله لماذا غال قلبي وابقاني

(١) اذا جحد آية الكرسي وهي الآية القرآنية كفر واذا جحد حسنه قيل له انك جحدت (اية الكرسي) ويمثل هذه الحجة يفحم العذال

(٢) قال الله تعالى في اليهود « وضربت عليهم الذلة والمسكنة » ولا يزالون كذلك الى اليوم ولم ار هذا المعنى لغيره

أفي كل يوم لي من الحب حسرة ... وحزن وقد ضاق الفضاء بأحزاني
وها أنا ذا بين الصبابة والصبا ... تجاذبني الأولى فيدفعني الثاني
ولم يبق من جسمي الهوى غير ذرة ... كما أبقت الكاسات من عقل نشوان
أكاد لذاك الحي إن مرت الصبا ... أطير وان لم يحتملني جناحان
وتنظر هذي الشمس عيني كأنها ... وقد أذكرتني حسن وجهك شمسان
هم عبدوها في الجمال ضلالة ... ويمنعني من مثل ذلك إيماني
على أنهم ذلوا لسلطان حسنها ... وحسنك سلطان على كل سلطان
وقالوا حكيت الظبي جيداً ولفتة ... وأشبهت غصن البان في هيف البان
وأقسم ما الغزلان في لفتاتها ... ولا هيف الاغصان الا الشبيهان
لك الحسن من كل الحسان والذي ... يحبك في أشماره كل احسان
وأنت الذي قربت من جسمي الضنا ... وأنت الذي باعدت ما بين أجفاني
فان قيل عني انه مات عاشقاً ... فقل لهم مارحمة الميت من شاني
اذا كنت لاترثي وفيَّ بقية ... فكيف اذا ما أدرجوني باكفاني
وان يقرأ المذال ما أنا كاتم ... فقد خط في خدي بالدمع سطران
ولو شئت لم يدروا بما دار بيننا ... ولو أن حسادي عليك من الجان
أبى الدهر أن يلقى أخو الحب صاحباً ... من الانس الا دونه ألف شيطان
فياليت أن الافق تهوى نجومه ... على كل واش بالمحبين خوان
ويا ليت نيران الجحيم تزيدهم ... قلوباً تلظى حسرة فوق نيران
ويا ليت أن الارض دكت جبالها ... فكم فيهم من مثل رضوى وثهلان[1]

(١) رضوى وثهلان جبلان عظيمان وقد ثبت انه لولا الجبال لاقتضى ثقل الارض ان تميد كما قال تعالى « والقى في الارض رواسي ان تميد بكم » فتمنى الشاعر ان

وما كنت أدري قبلهم أن في الورى — من الناس أقواماً على شكل أوثان
فيامن لحاني في الصبابة ماترى — ملامك هـذا بالصبابة اغراني
وبي رشاء لم يبق منى دلاله — سوى ماتراه من هموم واشجان
تمشقته ظمآن للحب فارتوى — فؤادى ولكن ردني جد ظمآن
وأضحكني دهري زماناً بقربه — ولكنه من بعد ذلك ابكاني
ولن تجد الدنيا سوى ماوجدتها — ولا سائر الازمان الا كازماني
وياجيرتي والنفس جم عناؤها — ألا عاشق عان لذا العاشق العاني
رأيت فؤادي مطبقاً جفنه الاسى — كما اكتحلت بالنوم أجفان وسنان
وقد كان لي كأس الدى مجلس الهوى — إذ الحب راحي والحبائب ريحاني
وفي الحب سلوان ولكنني أرى — تأسي ذي الحاجات ليس بسلوان
وهذا الهوى تاج على كل عاشق — فما شرف الاملاك من غير تيجان

وقال

يا قوام الغصن منثنياً — ومثال الحسن والظـرف
انت (والطربوش) منحرف — كهلال الافق في النصف
فاتق الخالق في قوم — عبـدوا الله على حرف (١)

تنسف هذه الجبال لان ثقل عذاله يكفي وسيأتي انه يشبه ظلهم الذي يقع على الارض بالصخر فكيف مم

(١) حدث ابو عمر الزاهد قال دلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام ليصبح بها كأثر السجود فانحرفت العصابة الى صدغه فأخذ الاثر هناك فقال له ابنه ما هذا يا أبت فقال اصبح ابوك ممن يعبد الله على حرف ومعنى العبادة على حرف أي على وجه واحد وهو ان يعبده على السراء لا الضراء أو على شك أو على غير طمأنينة على أمره والنكتة في البيت ظاهرة

وقال (في مليح تكاد وجنته تتقد)

لاتلوموا اذا تعذبت فيه ... وقضيت الحياة وجداً عليه
فؤادي وان اطال عذابي ... ليس يلقى النعيم الا لديه
وجهه جنة العيون وان كا ... ن تلظى السعير في وجنتيه

وقال

سائلوه متى يفيق الذي جن ... وهل اصبحت تباع العقول
واذكروا انني سلوت عن السلـ ... وان فالصبر في الهوى مستحيل
اعشق الحب والحبيب لاني ... في هوى الحب والحبيب قتيل
نضب الدمع بعدما كان ينسا ... ب كما فاض في البلاد النيل
فرعى الله من تصدق بالدمـ ... ع على اعين كواها الهمول
أيها العاذل ابغني كبداً لم ... تتقصف بجانبيها النصول
واستعرلي عمراً طويلا فاني ... أجد العمر في الهوى لا يطول
وأعني على العزاء فقلبي ... ثاكل واصطباره مشكول
أتراني أعيش والحب في النا ... س دليل وراءه عذريل
أم تراني ألذ عيشي وفي المو ... ت من العيش للحزين بديل
يأمل الناس في الحياة نعيما ... وقليل من سره المأمول
والاماني على رقاب الليالي ... صارم في يد الردى مسلول
كم تريني مصارع الاولى قتل الوجـ ... ـد ومن أهلكته تلك السبيل
أنا منهم فذر اخاك ضجيعاً ... كيف يأسى على أخيك عذول
لاتعب ماترى به من نحول ... زينة العاشقين هذا النحول
واعذر الصب ما بقيت خلي الـ ... ـقلب فالصب قلبه متبول

أنا من ترتمي الحسان عليه ... ان رأته جميلة أو او جميل
وأقل الغرام عندي أني ... بين قومي على الغرام دليل
ياعيون الاغن لا ترهفي اللحـظ فسيف اللحاظ عضب صقيل
ما لهذا القوام يخطر كبراً ... كغصون الرياض حين تميل
ولذاك الدلال يترك من عز ... ذليلا فكل صب ذليل
علليني بالموت كيف تشائين ... فاني على الممات عليل
أنا والله اشتهي الموت في الحب ... ليأسي عليّ هذا البخيل (١)

وقال

مري علينا يا صبا نجد ... تشكو اليك مدامعي وجدي
أمسيت والاشواق مضنيه ... عندي من الاشواق ما عندي
تجري عيوني في محاجرها ... ومدامعي تجري على خدي
ما أنس والايام تجمعنا ... وكأنني في جنة الخلد (٢)

(١) قال بشار انا والله اشتهي سحر عينيك وأخشى مصارع المشاق
وكان ابو تمام يقول ما رأيت شعرا أغزل منه . وليس فيه من الغزل الا انه جبان غير محب وما الجبن من شيم العاشقين . واين هذا ممن يشتهي الموت في هوى من أحبه ليذكره فيحزن عليه ويشتد في ذلك حتى يجمل نفسه عليلا من اجل هذا الموت ؟ والحق ان بشارا لو قال مثل هذا لجبن به ابو تمام .

(٢) فائدة بديعة . تقول العرب ما انس لا انس كذا ويريد القائل انه له به شغفاً فلا يغيب عن خاطره ابداً . وما فيه شرطية والفعلان مجزومان بحذف حرف العله وهو تركيب شائع في كلامهم وقد وقع حذف الجمله الشرطية كما في قوله
ما انس قولي لها في الفجر اذ طلعت ... ياالذة العيش ردي الروح في بدني
فان تقديره ان انس شيئاً ما انس الخ . ولا يختص هذا (بانس) بل له نظائر كقول كعب بن مالك (ما نجن لا نجن من اثم) البيت

تشكو كما اشكو الهوى واذا | طارحتها أبدت كما أبدي
وتراع من ذكر الصدود اذا | خطرت بقلبي لوعة الصد
واذا بكيت جريت مدامعها | جري الندى صبحاً على الورد
قلبي وما في العيش لي طمع | ما دمت يا قلبي على وقد
هل كل من يهوى يموت أسى | أم قد بليت بذا الاسى وحدي
سل مسرح الآرام ما فعلت | تلك الظباء الغيد من بعدي
لهفي عليها كم وفيت لها | لو ان لهفي بعدها يجدي
ولكم حفظت لها الوداد على | بعد المزار وضيعت ودي
ماذا أصابك بعد ما نظرت | ورمتك عيناها على عمد
أو مانهيتك في (الجزيرة) عن | كنس المهى ومصارع الاسد
وأريتك الالحاظ مغمدة | كالسيف مسلولا من الغمد
أعدى على كبدي هواك فلو | أعلمتني ان الهوى يعدي
ياقلب مالي ما اضن به | من بعدما فقدت سوى فقدي
حمل تحيتك الصبا فعسى | يوماً تعود اليك بالرد
واجزع على قرب الديار فقد | صبرت أوانسها على بعدي
يا غادة أرعى العهود لها | هل أنت باقية على عهدي
أمسيت في قلبي وليت اذن | قلبي يساعدني على الوجد

وقال

يا من اطال الهجر من بعدما | مسني الحب بما مسني
أنت وان اسرفت في ذا الجفا | أحسن خلق الله في اعيني

وقال

هيفاء تأمر بالحسـن من تشاء وتنهى
تغني عن البدر والبـد ر ليس يغنيك عنها
اعطيتها بيدي رو حي ولما تصنها
يدي التي قتلتني فكيف اقتص منها[١]

وقال

(من بعد سلوه)

ويحك ياقلب عدت للنزق أمارمتك الظباء بالحدق
وهل نسيت الهوى ومابعدت أيام ذاك الوداد والملق [٢]
وكيف ينسى الغريق روعته اذا نجت روحه من الغرق
رحماك ياقلب ليس من شيمي أني أبيع الوفاء بالحمق
فاقبر بلحد الهوى لواعجه انك ان نمت فيه لم تفق
ماخلق القلب للغرام ولم تخلق عيوني لذلك الارق

وقال

جافيتني والذنب ذنبك وظلمتني فالله حسبك
ما بال قلبك لا يـر ق أمن صميم الصخر قلبك
وبخلت حتى بالرسا ل خوف أن تشفيه كتبك
وضننت حتى بالعتا ب وربما يكفيه عتبك
ومنعت حتى الطيف لا يدنو وقرب الطيف قربك

(١) هذا سؤال يعني الفقهاء اكثر مما يعني الادباء فهل من فقيه اديب أو أديب فقيه يبين لنا كيف يكون القصاص هنا (٢) الملق التملق وهو من صفة الحب الكاذب

صلني أو اهجر انني ... في الوصل والهجر أحبك
ولقد ترى أن الوفا ... دأبي فما للصد دأبك
كل الانام عواذلي ... صحبي يعنفني وصحبك
فاعجب وته ما ذا عليـ ... ـك اذا أذل الناس عجبك
ان تبتعد او تقترب ... فأنا على الحالين صبك

وقال

أناديك ياقلب مذ ودعوا ... فمالي أناديك ولا تسمع
أما أنت أخضعتني للهوى ... وما كنت لولا الهوى أخضع
أما قد أطعتك في حبه ... وكنت له العبد بل أطوع
ألم أئتمنك على أضلعي ... وكانت مغانيك الاضلع
أما أنت بيت حياتي وهل ... لنفسي من بعدها مطمع
وكنت أظنك لي راجعاً ... فمالك ياقلب لا ترجع
أما والذي في يديه القلوب ... لقد أمست العين لاتهجع
وباتت من الدمع مطروفة ... فأنى ذكرت اسمه تدمع
ويسرع في خاطري ذكره ... ودمعي من ذكره أسرع
وقد غادرتني النوى بعده ... اذا وصفوا لي النوى أجزع
نحيل كأني من خصره ... ولكنني دونه الموجع
وقد حسبوني طيف الخيال ... لولا الوسادة والمضجع
فياظبي كيف أسلت الحشا ... وكنت بوادي الحشا ترتع
ويابدر كيف صدعت الفؤاد ... وكنت بآفاقه تطلع
أقام بموضع قلبي الاسى ... فلو عاد لم يسع الموضع

وقال

يافاتن النساك ماعهدنا ان يدخل المسجد ريم الفلاه
أما تخاف الله في خلقه لو تركوا ان شاهدوك الصلاه

وقال موريا

وخليل ضممته فتأبى وانثنى نافراً كظبي الصريم
قال نار (الخليل) في القلب شبت قلت اقبل فتلك نار (الكليم) (١)

وقال

أرقني يا حمام ذا الكمد فهل وجدت الهوى كما اجد
بت على الغصن نائحاً غردا وبت ابكي الذين قد بعدوا
واعيني ما تزال واكفة واضلعي ما تزال تتقد (٢)
إنا كلانا لعاشق دنف طار بنوى ونومك السهد
فنح رويداً فما سوى كبدى تذوب يا باعث الجوى كبد
لي مهجة تعشق الجمال وهل يلام في حب روحه الجسد
عذبها بالصدود ذو هيف أغيد قد زان جيده الجيد (٣)
تعز في حسنه الظباء وقد ذال في ملاك حسنه الاسد
قفا على داره فأسأله اقل من وعده الذي يعد
وغنياً ان رأيتما طللا (أقفر بعد الاحبة البلد)

(١) التورية هنا في الخليل والكليم فان الخليل الصاحب وهو لقب سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام وناره هي التي اوقدها النمرود وطرحه فيها فعادت برداً وسلاماً والقصة مشهورة والكليم أي المكلوم بمعنى المجروح من كلمه أي جرحه وهو لقب ايضاً لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وناره هي التي آنسها من جانب الطور ووجد عليها الهدى (٢) وكف الدمع سال (٣) الجيد محركة طول الجيد

وقال

عزمت على التجنب أم تدل — وهل لسواك في قلبي محل
أما يرضيك مني ان نفسي — تذل ومثل نفسي لاتذل
وقد احرقت قلبي ما تبالي — وفيه اليك شوق ما يبل
فسل عينيك مالهما استحلا — دمي ودمي حرام لا يحل
لقد كذب العواذل يوم قالوا — سلا أو سوف ينساه فيسلو
وما انا والسلو ونحن قوم — اذا بلغوا الهداية لم يضلوا
أرى أيام عمري فيك تطوى — كأنك الشمس والايام ظل

وقال يتلهف

الا ايها القلب لاتبأس — وايتها النفس لاتيأسي
أئن نفروا الظبي لم تأنسا — لوحشة ليلي فلم آنس
وضاقت بي الارض حتى كاني — من الضيق امسيت في محبس
دعاه يحجبه داجي الهموم — فما تطلع الشمس في الحندس[1]
والا تعينا على سلوة — فصبراً على الاعين النعس
عهدتكما طاربي بانة — وعود كما خضر مكتسي
فأيبسه حر هذا الهوى — وماء الصبا فيه لم ييبس
وسامكما الشوق هذا الهوان — وساءكما في النوى مايسي
واني ليحزنني بعد ذاك — ان يذهب الحب بالانفس
فيا آنس الله اهل الهوى — ومن يخلقون بلا مؤنس
نرى الصب تحسبه ميتاً — ضجيعاً على القبر لم يرمس

(١) الحندس بكسر الحاء والدال الظلام

وحسب بني الشوق ان يعرفوا بذل رؤسهم النكس
لقد ضل بين الهوى والعيون رأي الفتى الحازم الا كيس
كما ضيع العقل أهل العقول بين المدامة والا كؤس
فيا كوكب الصبح أما بزغت تألق تاجاً على الأرؤس
ويا طلعة البدر اما سفرت كما تسفر الخود في المجلس
ويا غادة الروض أما جررت ذيول الحرائر والسندس
ويا اذن الريح أما وعيت سلام ذوي الكلف البؤس
ويا شفة الورد اما لثمت عيوناً تفتح في النرجس
ويا لمة الآس فبنانة كلمة ذي الصيد الاشوس (١)
ويا قضب البان مياسة ترنح كالاهيف المحتسي
خذي للمحجب عني السلام وقولي نسيت فتى ما نسي

وقال

زعموني نسيت والهجر ينسي وتلاهيت بعد ايام انسي
سائلوا النوم هل رأته عيوني واسألوا عن هواي مالك نفسي
فورب السماء والارض اني لأرى في مصارع الحب رمسي
كيف اسلو وقد حسوت كؤسي من خدود ومن مراشف لعس
كلما دارت الشفاه بكأس دار خداه لي بكأس وكأس
وأرى وجهه وقد بدت الشمس فاغدو وما بين شمس وشمس
ومتى كنت ناقض العهد حتى أتناسى عهوده بالتأسي

(١) اللمة بالكسر الشعر المجاوز شحمة الاذن والفينانه الحسنة الشعر الطويلة
(٢) اللعس سواد مستحسن في الشفه

انما الحب في الكرام حبيس　　أنزلوه من صدرهم خير حبس
هل ترى حب عبلة مات الا　　يوم مات الكريم فارس عبس
واذا كان بين قوم وداد　　لم يخنه في القوم غير الاخس
اكفني ذلك الصدود فاني　　لا ارى الصد غير طالع نحس
وارو من مهجتي عليك غليلا　　سعرته في اضلعي نار يأسي
انني ذاكر ودادك ما عشـ　　ـت وان كانت الحوادث تنسى
لا أرى عبرتيَّ والنوح والسهـ　　ـد ووجدي سوى فرائض خمس
ولقد شفني العواذل حتى　　خلت عمري ما بين يومي وامسي

وقال

سحر عينيك سال في تشبيبي　　فانثنى منه عطف كل أديب
وتمشي الى القلوب كبشرى　　يوسف اذ مشت الى يعقوب
يستميل المشوق نحوك هز الـ　　ـخمر عطف الطروب نحو الطروب
فاعجبي كيف شاء حسنك ما التيـ　　ـه اذا شاءه الهوى بعجيب
واخضبي بالقلوب لحظك إنا　　لا نحب الحسام غير خضيب
وتجني كما بدا لك فينا　　وبدا للدلال في تعذيبي
واتركيني تراقب النجم عيني　　ودعيني وما يشاء رقيبي
كل ما تكره النفوس من الضر　　حبيب ان مسها من حبيب
يادعاة السهاد في كل ليل　　وعداة الكرى واهل النحيب(١)
وذوي المدنفات والكبد الحر　　راعليها من كل صب كئيب
اطلعوها على القلوب عساها　　تستحي من فعالها بالقلوب

(١) السهاد السهر والنحيب البكاء

لا تضني ياظبية ان تحيي　　عاشقاً هام في النقا والكثيب
من بعيد اذا اغتدى من بعيد　　وقريب اذا اغتدى من قريب
أنا ايوب من هواك فاين الصـ　　ـبر يسرو الهموم عن ايوب(١)
وفؤادي في راحتيك وخير　　ان يكون العليل عند الطبيب

وقال (وهو معنى غريب)

قلت للغادة البخيلة لما　　رفضت رقعتي وخافت جوابي
ما لمر النسيم يجرح خديك　　ومر النسيم مثل عتابي
ولامس الحرير يوجع كفيك　　ولمس الحرير مثل كتابي
فرأيت العيون تنطق بالسحر　　وقالت علي فصل الخطاب
عوذت منك قلبها بالتجني　　ووقت منك كفها بالخضاب (٢)

وقال مثله

حجبوه عن عيني فباتت صبة　　كيلا ترى في النوم طيف خياله
وبقيت يعذلني المنام بصده　　ويسومني التبريح في ادلاله
يا رحمتا للصب فيما نابه　　حتى كرى جفنيه من عذاله

(١) سرا عنه الهم يسروه ازاله

(٢) المعنى انه كتب الى غادة كتاب عتاب فرفضت قبوله لئلا تتكلف الجواب فاحتج عليها بانها تترك النسيم يجرح خديها بخطراته وان عتابه كالنسيم وانها تلمس الحرير فيوجع كفيها وان كتابه كالحرير فأجابته عيناها من السحر الذي لا يفقهه الا القلب بانها خافت على قلبها من تأثير العتاب فيه فعوذته بالتجني الذي ألجأها الى رفض الكتاب ووقت كفها منه بالخضاب كي لا تمس يدها ذلك الكتاب (كانها شافعية) والاحتجاج غريب والجواب أغرب منه وفي البيت من حسن التضمين ما فيه

وقال

مالك عند الحبيب عذر　　وكل يوم نوى وهجر
اذا تناءيت لايبالي　　وان تقربت لايسر
يأبى عليه الدلال ان لا　　يزال فيه عليك كبر
ليس سوى الحب من جنون　　وليس غير العيون سحر[1]
تشكو الى البدر من جفاه　　كلاهما لو علمت بدر
وترقب الفجر في الدياجي　　وهل لليل المحب فجر
قد عرف الناس ماتعاني　　وليس للعاشقين سر
فلا تطع من يلوم فيه　　ولا يغرنك ما يغر
ولا تكن للوشاة عبداً　　فليس بين الوشاة حر
واصبر على اللغو صبر قوم　　مروا كراماً غداة مروا[2]
وهون الخطب كم عسير　　اعقبه في الامور يسر
ماذا على الدهر ان تمادي　　وكل يوم عليك دهر
وكيف ترضاه وهو حلو　　وتجزع اليوم وهو مر
لاترج من اغيد وفاءاً　　شيمة اهل الجمال غدر
واصبر لها ما دهاك خطب　　ان دواء الهموم صبر

(١) من عجيب ما يروي عن (سحر العيون) ان فتى رأى عيناً سوداء من كوة فافتتن بها وطال تردده على الكوة زمناً حتي ضني فشكا لبعض اصدقائه فقال تلك دار بعض اقاربي ولا عهد لي بمثل تلك العين فيها ثم دخل الدار فلم ير كما وصف الا عين (شاة) مربوطة عند الكوه فعادمتعجباً وأخبره فلم يصدقه صاحبنا وقضى غراماً

(٢) المعنى من قوله تعالى « واذا مروا باللغو مروا كراماً » واللغو السقط ومالا يعتد به من كلام وغيره

تفنى الليالي وليس يبقى ... ماينفع المرء أو يضر
يامن تعذبت في هواه ... أما لصبري الطويل اجر
بي حسرات عليك ما إن ... يقوى على مسهن صدر
نسيتني والزمان بؤس ... وكنت لي والزمان نضر
اذا رضينا فما علينا ... ان ليس يرضى زيد وعمرو

وقال

يا صاح من للعلب من نائم ... كل محب فيه سهران
هجرت نومي وهو لي هاجر ... فكل عمري فيه هجران
لو ساطوا عينه في عسكر ... لم يبق في العسكر انسان

وقال (من اول قوله)

ابصرته تحت ظلام الدجى ... تضيء في خديه لي جمرتان
فقلت في الخدين نار الحشا ... فقال لكن فيهما جنتان

وقال

حكمه الله في القلوب فما ... ترحمنا عينه من الحور
وما اري قلبه يرق لنا ... كأنما قلبه من الحجر
يافاتن الناس حسن صورته ... ما تتقي الله خالق الصور

وقال

اطاب لذلك الرشا الجفاء ... فلذ لاعيني فيه البكاء
رشا ذلت له الاسد الضواري ... وعزت في ملاحته الظباء
تعلم كيف تنبعث المنايا ... وكيف تراق في الحب الدماء
وعلم ناظريه الفتك حتى ... كأن عليهما وقف القضاء

تلقته الصبا سحراً فمرت وفيها للمحبين الشفاء
له مني التدلل والرضاء ولي منه التذلل والاباء
فما القاه الا في الاماني وهل يشفي الجوى هذا اللقاء
اذا ما شاء رد علي نومي ولكني أراه لا يشاء
لعمري ليس في الدنيا مليح يكون سجية فيه الوفاء
ولو مثل الجمال لكان نفساً خلائقها الخيانة والرياء
عفت تلك المرابع والمغاني وما عفت المودة والاخاء
وأصبحت الليالي حاسرات كما اطمت عوارضها النساء
وفي قلبي من الهجران سقم وفي كبدي من الاشواق داء
وليل بت اقضيه بكاء وما لليل بعدهم انقضاء
تمر به الفجائع مسرعات وانجمه كآمالي بطاء
لوان على الكواكب ما بنفسي لأقتها الى الارض السماء
هموم تشفق الاطواد منها واحزان يضيق بها الفضاء
كأني ما لبست الصبح تاجا تألق فوق مفرقه ذكاء
ولم انض الكؤس مجلات تنف بها الى الهم الطلاء
بروض تصدح الآمال فيه ويرقص بين ايدينا الهناء
وقد هب النسيم على فؤادي كنضو اليأس هب له الرجاء
كأن من المجرة فيه نهراً تحوم عليه افئدة ظماء
وقد أنس الحبيب ومر يلهو كما تلهو بمسرحها الظباء
وضرجت المدامة وجنتيه فكاد الورد يفضحه الحياء
ومال فراح يرقص كل غصن وللأغصان بالقد اقتداء

زمان كان مثل الصبح راحت ... به الدنيا واعقبه المساء

كذاك الدهر حال بعد حال ... لاهليه التنعم والشقاء

اذا سرتك ايام اساءت ... فليتك لا تسر ولا تساء

وان لم يبق في الدنيا حبيب ... فأولها وآخرها سواء

وقال ﴿ وهي في اول القول ﴾

اذا ما بكيت فنح ياحمام ... وطارح اخاك شجون الغرام

ويانفحات الصباح احملي ... بجيب الصبا نفحات السلام

ومري بتلك الديار التي ... بكيت عليها بكاء الغمام

فكم زمن هام فيها الفؤاد ... بين الفتاة وبين الغلام

بكيت لصحبي فأبكيتهم ... وكم مستهام بكى مستهام

وذو الشوق يرثي لاخوانه ... كذى السقم يرحم اهل السقام

ألا فرعى الله ذاك الانيس ... وان كان روعنا بالخصام

هو البدر لكنه ظالم ... وذلك يكشف عنا الظلام

وقال صحابي خذ في المنى ... فقلت أراه ولو في المنام

ومن لي بذاك الرضاب الذي ... أرى كل خمر سواه حرام

لقد هجر الحب كل القلوب ... ولكنه في ضلوعي اقام

وقال

أما آن لهذا المعرض الغضبان ان يرضى

رمت عيني الفؤاد به ... فبعضى قاتل بعضا

وقد الهه الحب ... فادينا له القرضا (١)

---

(١) الطه جمله اطنا رمز كلام ابن عباس رضي الله عنهما الهوى اله معبود

وما اصبح مثل الشمـ ... س حتى فتن الارضا
فان يقضى عليَّ به ... فقد قدر ان يقضى
ولست اذا الطبيب جنى ... أرى الذنب على المرضى

وقال

لم يأل صبراً عنك حين هجرته ... لو كان ينفع صبره لسلاكا
تطوى الليالي في هواك حياته ... وأراه ينساها ولا ينساكا
رحماك يا من قد اطال بليتي ... يا من اطال بليتي رحماكا
أعلي هذا الهجر طال عذابه ... وعلى الذي يهواك صال هواكا
فلقد عرفت بك الشقا بعد الهنا ... لما غضبت علي بعد رضاكا
نهنه دموعك يا حزين فانها ... دول سيضحكك الذي ابكاكا (١)

وقال

قولوا لهـذا الرشأ الهاجر ... ان دموعي جرحت ناظري
أبيت لا بدر الدجى مسعدي ... ولا أخوه في الكرى زائري
والليل في خطوة أقدامه ... ابطأ من تأميلي العاثر
وطائر البان على أيكه ... مكتحل من نومي الطائر
وبي هوى قام على مهجتي ... ينفذ أمر الملك الجائر
أطيعه في قتل نفسي وما ... علي الا طاعة الآمر
من لم يكن مثلي فلا يدعي ... حب ذات النظر الفاتر
أنا الذي أرسل ذكر الهوى ... في الناس مثل المثل السائر
من معشر نالوا العلى كابراً ... تعزى له العلياء عن كابر

(١) دول أي حالات فيوم لك ويوم عليك ونهنه الدمع حبسه وكفه

حلوا ذرى الفخر وما غيرهم ... يسمو الى الذروة من فاخر
فقل لهذي الارض تزهى بنا ... زهو السما بالفلك الدائر
انا ليوث شهدوا أنها ... أشبال ذاك الاسد الكاسر
المفزع الدنيا بسمر القنا ... والضارب الآفاق بالباتر
والحكم العدل كما شاءه ... من بات يخشى بطشة القاهر
ما عابني ان قيل ذو صبوة ... أو قيل (مجنون) بني عامر
والحب أهدى لفؤاد الفتى ... من حاجة النفس الى الخاطر
يحار عقل المرء فيه فهل ... من حيلة في عقلي الحائر
وبي مليح الدل ذو طلعة ... تكمد وجه القمر الباهر
أوحت الي المعجزات التي ... ليس لها غيري من شاعر
لو مرّ بالظبيات لاستأنست ... وجداً بمثل الرشأ النافر
ولو رأته الاسد في غابها ... رأت مثل الاسد الخادر
براه من صوره فتنة ... مهفهفا كالغصن الناضر
يسومني الصبر وهل عاشق ... من لم تمته لوعة الصابر
راح بنومي واصطباري معاً ... يتيه تيه الملك الظافر
وما اتقى الله ولا يتقي ... في مدمعي الملتطم الزاخر
يامرهف الاعطاف ماذا الذي ... ترهفه من لحظك الساحر
سلبتني النوم وضيعته ... فرد بعض النوم للساهر
كم عاذل فيك وكم عاذر ... وما على العاذل والعاذر
انى امرؤ في نفسه عزة ... تجله عن شيمة الغادر
ان قتلتني صبوتي فالهوى ... أوله يقتل في الآخر

وقال

خلق الله الجمال حكمة ... تذكر الناس نعيم الآخره

كل عين سهرت فيه ولم ... تلك من قبل الهوى (بالساهره)(١)

ليس ما يروى عن السحر سوى ... ما نراه في العيون الساحرة

ومن أول قوله

زارت وقد طافت بناسنة ... فطفقت اسمعها من العتب

وكأنما اشفي جوى بجوى ... وأتوب من ذنب الى ذنب

فبدا لها فتدللت ونأت ... تدعو على الاحباب والحب

فنهضت مضطرباً أرى فاذا ... بيديَّ من اسفي على قلبي

وقال

بنفسي من تشفى اناملها الجوى ... فلو قبل المضنى يديها لما اشتكى

ولو ان قلبي كان في القبر ساكناً ... ومرت عليه كفها لتحركا (٢)

وقال وهي في أول القول

صدت فكان سلامها نزرا ... وغدت تضن بذلك النزر(٣)

ومضت ليال كنت احسبها ... قبل التفرق آخر العمر

(١) الساهره من اسماء جهنم قال تعالى « فاذا هم بالساهره » وهي ايضاً اسم فاعل من سهرت ففيها التورية

(٢) ليس في تحرك قلب الميت اذا مرت عليه يد الحبيبة غرابة ولا هذا مستحيل فقد ظهر ان طبيباً من أطباء (بطرسبرج) صنع جهازاً يعيد به الحياة الى القلب بعد الموت وجربه في غلام بعد موته باربع وعشرين ساعة فجعل قلبه ينبض نبضاً منتظماً وبقي كذلك ساعة والطبيب لا يزال واثقاً بالنجاح طامعاً فيه . وما يمنع ان تقوم كف الحبيب . مقام جهاز الطبيب ؟ (٣) النزر القليل

أيام نحن وعيشنا رغد ... يجري الزمان بنا ولا ندري
من عاشق يشكو لعاشقة ... بث الاسير اخاه في الاسر
وتميس في أثوابها الحمر ... كالغصن في أثوابه الخضر
وكأن ليلة اذ تقابلني ... بعد التمنع ليلة القدر
كانت سلاماً لانحاذر في ... ماكان الا مطلع الفجر
وأرى الندى في الورد منحدراً ... كالدمع فوق خدودها يجري
كل امرئ لاق منيته ... والحب جالبها على الحر

ومن أول قوله ايضاً

سلي بعدك الواشين هل ذاع لي سر ... وان كان اضناني بتبريحه الهجر
على انني كاتمت صدري مابه ... وفي كبدي ما ليس يعلمه الصدر
حفظتك لا اني أرجي من الهوى ... وفاءاً ولكن ليس من شيمي الغدر
اذا هجعت عيناك جافاني الكرى ... وباتت تناجيني الخواطر والفكر
أقاتلتي ظلماً لي الصبر والرضا ... وان كان قلبي ليس يحلو له الصبر
اذا كان ذنبي انني لك عاشق ... فمنك اليك العذر لو يشفع العذر
لك النهي الا عن هواك وللهوى ... بلحظك في ألبابنا النهي والامر
وقد ذقت من حلو الزمان ومره ... فلا الحلو انساني هواك ولا المر
ويارحم الله الليالي التي مضت ... ليالي كنا والزمان بنا نضر
وكانت حمامات اللواحظ بيننا ... تروح وتغدو والقلوب لها وكر
ألا رب ليل أسفرت تحت جنحه ... فما شك اهل الحي ان طلع البدر
وقالت عذيري منك امسيت غادراً ... فقلت معاذ الله ان يغدر الحر
فقالت فما للفجر تشكو له الهوى ... فقلت وهل ليل المحب له فجر

فقالت نسيت العهد قلت وهل سوى غرامك خصمي يوم يجمعنا الحشر
فقامت على كبر تقول قتلته كأن لم تكن تدري ولا عندها خبر
ومثلي فتى الدنيا الذي ان مشوا به الى القبر لايطوي مآثره القبر

وقال

أراك تنظر للغزلان شاردة ولا يرد شبا عينيك عينان
ما دمت تهوى حبيباً فالفؤاد له وليس ينزل في قلب حبيبان

وقال

نزع القلب بي فسرت رويداً فاذا من احبه في طريقي
يجنى كأن (قاضي الجنايا ت) نصير لقده الممشوق[1]
ورآني بذلة العاشق الصب فصدته عزة المعشوق

وقال

أنت غرست الحب في اضلعي فكيف لا اسقيه من ادمعي
لو شئت ياحلو اللمى لم تبت غلة هذا القلب لم تنقع
ولم أبت ليلة جافيتني من مضجع جاف الى مضجع
اذا دعاني السهد لبيته وان دعوت النوم لم يسمع
أسأل ليلي ماله لم يغب وما لنجم الصبح لم يطلع

(١) لا يمكن ان يكون هذا القاضي مصرياً ولعله فرنسوي فان الذي يدفعه حبه في فرنسا الى أرتكاب جناية يعذره القضاة لانه مدفوع بباعث الحب وهو شيء اضطراري كالقضاء والقدر . ومن نوادرهم ان شاباً ولع بفتاة واشتدكلفه بها على تمنعها فرصد لها مرة في طريقها وقبلها بالرغم عنها فرافعته الى المحكمة لانه اهان شرفها ودافع عنه محام درب فكانت النتيجة ان المحكمة الزمتها بأن تأخذ ثمن القبلة او تقبله بدلها عشرا . . . فانصرفت الفتاة وعلى وجهها وردتان من غير الورد المقطوف

واحسب الطير اذا رجعت حنت لمن اهوى فناحت معي
ذو هيف يقنعني طيفه وهو بغير الروح لم يقنع
لم الق ممن نظروا وجهه الا فتى يعشق او يدعي
يا هاجراً أسقمني طرفه كل دواء فيّ لم ينجع
كم حرقة قد ضاق صدري بها ولوعة كاتمتها اضلعي
وحسرة في النفس ما غادرت فيلي الفتى العذري حتى نعي
اخلفها بعدي لاهل الهوى من موجع القلب الى موجع
تستنزل المالك عن عرشه بين يدي عرش الهوى الارفع
وتبعث الروعة يوم الوغى الى فؤاد البطل الأروع
فابعث لقلبي منك تسليمة أنها في ذلك الموضع
تسترجع النوم الى اعيني فقد مضى النوم ولم يرجع
كم امر الحب وكم قد نهى فبت باكي العين لم اهجع
ومن يكن قائده حبه يقده بالرغم الى المصرع

وقال

امن الظبا ذاك الغرير المعجب يلهو بحبات القلوب ويلعب
قد كنت احسبني رايت نظيره حتى بدا فرأيت ما لا احسب
قمر كأن الشمس فوق جبينه أضحت لو ان الشمس ليست تغرب (١)
وكأن طرته طليعة ليلة حلكت فاسرق في دجاها كوكب
جمع المحاسن فهي تنسى ان تغب واذا بدا فله المحاسن تنسب
وعلقته كالظبي أحور يرتجى وعشقته كالليث أزور يرهب

(١) اضحت أي صارت في الضحى والشمس أحسن ما تكون حينئذ

يرنو فتنتزع القلوب لحاظه وتكاد انفسنا عليه تذهب
واذا مشى الخيلاء في عشاقه خلت المليك مشى وقام الموكب
وبثغره ظلم يحرم رشفه ظالماً عهدي ان يحل الطيب (١)
ولقد تحكم في النفوس فبعضها أودى العذاب وبعضها يتعذب
وعجبت ان الحب يقتل أهله ولان اكون به قتيلا أعجب

وقال

أما كفاك الفراق غدرا وبعد هذى الديار هجرا
أسائل البدر عنك حينا وأسأل الشمس عنك طورا
وكلما غردت حمام في الايك طار الفؤاد طيرا
قضى علينا الغرام انا نتخذ الليل فيه سترا
فمن عيون تبيت عبرى ومن عيون تبيت سكرى
وكل يوم يخلف يوماً أراه دهراً يعقب دهرا
يا أحسن الفاتنين قدا وأرفع المالكين قدرا
فتنت مصرا . فهل تولى يوسف ياذا الدلال مصرا
لو عبد الشمس فيك قوم لكان هذا الجمال عذرا
ما إن حسبت الزمان يوماً يترك نفسي عليك حسرى
اذ تنثنى جوى وحسنا واذ تجنى هوى وكبرا
نقاسم العيش لا نبالي أكان حلواً ام كان مرا
وقد تركنا زيدا وعمرا يضرب زيد هناك عمرا
فى كل ليل أطرح عمرا وا كتسي في النهار عمرا

(١ الظلم بالفتح ماء الاسنان

وقد أبانت لنا الليالي ان لهذي الحياة سرا
بينا يكون الزمان عسرا اذا تراه استحال يسرا

وقال

طال عليَّ ليلي وليلكم في قصر
من نام ملء العين لا يعرف اهل السهر
فسائلوا ريح الصبا تنبيكم عن خبري
ياقمر الآفاق هل سرقت حسن قمري
فانت مثل وجهها والليل مثل الشعر
ذات جفون قتلت بصارم منكسر
تلين في حديثها وقلبها كالحجر
وانعقد الثديان في قوامها كالثمر
لهفي على دهر مضى مع الليالي الغرر
مر بها فلم تكن (الا كلمح البصر) (١)
اماتني هذا الهوى قبل انقضاء العمر
اوقعني في خطر من منقذي من خطري
لا تعذلوني انه ذنب القضاء والقدر

(وقال) هجروك بعد صبابة وغرام وأراك لا تنسى هوى الآرام
أتبعتهم نفساً عليك عزيزة وطويت جنبيها على الآلام
كم تحت جنح الليل مثلك مدنفاً أنسى الليالي عروة بن حزام (٢)

(١) اقتباس من قوله تعالى «وما أمر الساعة الا كلمح البصر»
(١) هو أحد عشاق العرب المشاهير واسم صاحبته عفراء

يجري مع الاوهام حتى انه ... لتكاد تحسبه من الأوهام
ياقلب كم لك في الهوى من صبوة ... ضربت بك الامثال في الاقوام
عدوا عليّ ما آثما لم أجنها ... والحب يا قلبي من الآثام
فدع الهوى يجرى كما شاء الهوى ... ان الحسان كثيرة اللوام
كم بت أحلم بالمنام وما أرى ... تجدي عليّ لذاذة الأحلام
فادرأ هموم العيش بالكاس التي ... تحكى عجائزها عن الاقوام
صهباء ان مست فؤادي مرة ... غسلت بجنبي كل جرح دامي
سموا اباها الكرم حين تبذلت ... في فتية شم الانوف كرام
وتراوحوا كاساتها فكأنما ... عادت بها الارواح للاجسام (١)
يارحمة العشاق من أحبابهم ... ناموا وباتوا الليل غير نيام
حتى اذا انطفأت مصابيح الدجى ... وأضاء فود الليل بعد ظلام
خبأوا الهوى بين القلوب وأصبحوا ... وتوارت الازهار في الاكمام

وقال

خل القلوب لما بها ... تصبو الى أحبابها
من أرضهم خلقت فنا ... زعها الهوى لترابها
كم قطعت ذات الحجا ... ب قلوبنا بحجابها
هيفاء ان خطرت فغصـ ... ـن البان في أثوابها
واذا أمطت نقابها ... فالشمس تحت نقابها
والسحر في تلك العيو ... ن يلوح من أهدابها
والورد في وجناتها ... يندى بماء شبابها

١) تراوحوا الكاسات بمعنى توالوا عليها أو دارت في يد كل منهم

جمعت فنون التيه والا دلال في إعجابها
فاذا رات سرب المهى تاهت على اترابها
واذا رأت أهل الهوى عزت على طلابها
واذا رنت غدت القلو ب تفر من اصحابها
سكرى القوام كأنما ثملت بخمر رضابها
عاتبتها يوم النوى وحملت اثم عتابها
فمشت وأوقفني الهوى أبكيه بعد ذهابها

وقال

سعوا بيننا حتى لقد كنت راضيا فأصبحت من قولي أحبك تغضب
ولم أجن ذنباً غير اني ذو هوى وانك لي دون الانام محبب
وقالوا ستنسى ان تباعد بيننا فياليت داري من ديارك تقرب
ويا ويلتا ان بت أستعطف الهوى وبت على حكم الهوى تتجنب
فلا تمكن الواشين من ذات بيننا فليس لهم غير التفرق مطلب
وانك لو أبصرت مابين أضلعي لأبصرت قلبي في لظى يتقلب

وقال

ياطلعة البدر التمام وقامة الغصن الرطيب
ماشئت اني في الهوى لا بالملول ولا الغضوب
ليت الذي بك حين تنـأى معرضاً مثل الذي بي
كم بت بعدك ليلة أدعو بها للمستجيب
وشكوت هجرك للصبا شكوى الغريب الى الغريب
أمست ليالي ذا الجفا مثل الهموم على القلوب

سوداء في لون الشبا ب وهـم أيام المشيب

وقال

قلت صلني فانني لك باق ولو ان الكثير ليس بباق
قال من كان في الجمال وحيداً لايبالي بكثرة المشتاق

وقال

يا كحيل العيون غض قليلا أوشك العاشقون ان يعبدوكا
كل مافيك بينهم معجزات ومن المعجزات أن وحدوكا
فارقب الله في النفوس اذا النا س غدا عن نفوسهم سألوكا
ماحسبت القلوب تسفك حتى صار قلبي من لحظة مسفوكا

وقال

أراك نسيت ياظبي الصريم ليالي ذلك الانس القديم
ولج بك الجفاء فما تبالي بما ألقى من الوجد الاليم
وطال علي هم الهجر حتى لقد سئمت ملازمتي همومي
وكنت أرى لهذا الدهر حلما ولكن ضاق بي صدر الحليم
وعهدي بالهوى ملكا رحيما فأين تعطف الملك الرحيم
ليالي والصبا غصن رطيب يكاد يمج من ماء النعيم
فكم من ليلة بتنا نشاوي كما شاءت لنا بنت الكروم
وقد أوحت الي بكل معنى أخف عليك من مر النسيم
فمن غزل كأن السحر فيه ومن عتب كعافية السقيم
ولا غي سوى غي التصابي ولا عبث سوى عبث النديم
وبتنا والكؤوس مصففات تباهي الجيد بالعقد النظيم

اذا رحنا لها تحنو علينا   حنو المرضعات على الفطيم (١)
وتخدعنا مدامتها فنغضى   كما يغضى الحميم عن الحميم
جلوناها وعين الفجر توحى   لواحظها الى الليل البهيم
وكان الروض مطلول الحواشي   وذاك النهر مصقول الأديم
يعرض للنجوم على جماها   فزارته خيالات النجوم
ويوم قد قطعناه حديثاً   ألذ من الاماني للعديم
على أفك العواذل واللواحى   وظنة كل أفاك أثيم (٢)
يلاحظني وألحظه كلانا   كما نظر اليتيم الى اليتيم
وما أنسى مواعده وقولي   عسى يوم أهنأ بالعقيم (٣)
ولا أنسى بكائي يوم غنى   (اذا غضبت عليك بنو تميم) (٤)
فياريحان كل فتى شجي   حبيب أو خليل أو كليم
ويامالك القلوب وقد أراه   علا منها على العرش العظيم
لقد عذبتني بالهجر ظلما   فهل لي من يمين على الظلوم
وما أبقيت يوم صددت روحي   فما تبقى من الجسد الرميم
أحاط بك الوشاة وكنت تدري   غواية كل شيطان رجيم
فما لك حلت عن عهد التصابي   وما عهد التصابي بالذميم
تبارك من أعد لكل صب   عذولا من لئيم أو كريم

---

(١) تضمين من قول القائل واختلف فيمن هو (نزلنا روحة مخفا علينا حفوا الخ)
(٢) الافك الكذب والظنة بالكسر التهم
(٣) العقيم التي لا تلد ولكون مواعيده لا تنجز شبهها بالعقيم والتهنئة بها أى بولادتها وهي بعيدة
(٤) صدر بيت لجرير وتمامه (حسبت الناس كلهم غضابا) وهو تضمين بديع

وقال

مرض العيون الحور طبه   وسلام ذي الاجفان حربه
وبه رشا أحوى أغن   كما يشاء براه ربه
لم يحكه الغيد الحسا   ن وهل نحا كي البدرشبهه
يجزى محبة من يهيـ   ـم به الصدود وذاك دأبه
يا قلب لم يعذرك في   هذا الضنى والذنب ذنبه
من للجفون بان تنا   م وما يطيع الجفن هدبه
أترى ضنيت على حبيـ   ـبك أم كذا قد صار قلبه
رشأ تلاعب بالنهي   لايستفيق الدهر لعبه
مازال يهوى الناس حتـ   ـى ما يعد اليوم صحبه
والحب أحسن مايكو   ن اذا انفردت بمن تحبه
فاصبر على خطب الزما   ن فهينه يمضي وصعبه

وقال

بالله يابدر السما هل درى   أخوك أني في غمار المنون
يقتلني الشوق وهذي النوى   وذلك السحر وتلك العيون
أحسبني كسرى لتيهي به   لولم أكن أبطنت مايعبدون(١)
وما أرى الدنيا سوى دولتي   ومن فنون الحب هذا الجنون
يابدر بلغه سلامي وقف   واشرح له ما أحدث العاذلون
سبحان من صوره فتنة   يعذب الناس ولا يغضبون

(١) أبطنه جعله في باطنه وما يعبده الفرس هي النار قيل انها بقيت الف عام لاتخمد

وقال

أي ذنب جنيت حتى تجنى   إنني كدت بعده أن أجنا
كل يوم أظل أسأل عنه   من أراه وليس يسأل عنا
ألف البخل لا يرد سلامي   وتناسى ايام كان وكنا
ورأى كتبه دوائي على البعـــد من الشوق والجفاء فضنا
لا أرى طيفه ولا الدار تدنو   فأراه ولا الصبابة تفنى
أيها الدائم التجني علينا   زادك الله في تجنيك حسنا
ربما مرّ للمحب زمان   نال فيه المحب ما قد تمنى
قد راى الناس فيه قيساً وقساً   وارتهم عيناك ليلى ولبنى
ورميت الدجى بساهرة الليـــل تفيض الدموع وجداً وحزنا
فتحت جفنها فطار كراها   وبكته فليس تغمض جفنا
إن تعش يرجع المنام اليها   أو تمت بعدها ففي الحب متنا

وقال

كم تجنيت يا مليح النفور   وأطلت الجفا على المهجور
لا ترعه فقد كفى ما يقاسي   من أنين ولوعة وزفير
يجد العمر في هواك قصيرا   وزمان الصدود غير قصير
من ليال تمر مر سنين   وشهور تمر مر دهور
قائماً في دجاه يرتقب الفجـــر ويرمي الدجى بدمع غزير
وتكاد النجوم تهوى اذا ما   بث شكواه للعليم القدير
يتلاعبن في المجرة كالحو   ت تراقصن في مياه غدير
خانه قلبه فبات جزوعا   وفؤاد المحب غير صبور

ولقد كان في هواك عزيزاً يتأبى على الظباء الحور
ملك الحب والصبابة والشو ق ورب الايوان رب السرير (١)
فوقه كسرى وفوق قيصر في الملـــك وفوق الرشيد والمنصور
فاذا شاء انزل البدر قسرا واذا شاء كان عند البدور
تتهاداه بالعيون ظباء ناقات على الغزال الغرير
أسكنته الضمير حتى رأته يتهادى من كبره في الضمير
وتباكين حين سار غراما فمشي فوق لؤلؤ منثور
فتحفظ بمهجتي يا مليكا شب فيها هواه نار السعير
ان خطب الصدود منك وان طا ل على عاشقيك غير عسير

ومن أول القول

غصن اذا مال قمت من شغف أمجد الله كيف سواه
قالوا سبا مهجتي فقلت لهم ما في يد العبد ملك مولاه

وقال (في طريقة ابن زيدون)

كفى صدوداً فما ابقى تجافينا منا ولا الدمع ابقى من مآقينا
تطير نفسي من ذكراك خافقة على ليال تخذنا ذكرها دينا
اذ الزمان طليق الوجه مبتسم في صفحتيه عذار من ليالينا
واذ رياض التصابي منك زاهرة خضر الجوانب تسقيها امانينا
كانت بهانسمات الغيث راقصة تهز من حبنا فيها رياحينا
لا عد الدهر بعد اليوم لي يده فما سوى الهم أمسى بين أيدينا

(١) الايوان هو ايوان كسري المشهور وفي هذا البيت وما بعده معنى فنون الحب التي تقدمت ...

وادمع في زمام الحب جارية ما كن لو لم يرضها الحب يجرينا
صيرن هذى الدرارى من عواذلنا ومطلع الشمس فيها من اعادينا
سر الزمان الذي كانت مخائنه تخطى وهذا زمان ليس يخطينا
وفرق الدهر شملا كان يجمعنا فما لذا الدهر مغرى بالمحبينا
من مبلغ الفجر اذ قامت نواديه أنا بجنح الدجى ينعاه ناعينا
كانت ليالي الهوى تفتر ضاحكة عنه فبتنا عليّ اليوم يبكينا
وكان فيه جمال من نضارتنا وفي محياه صفو من تصافينا
أيام لم ندر أن البدر حاسدنا على الهوى وضياء البدر واشينا
تدور في كأسنا صرف مشعشعة من وردة الخد حيناو اللمى حينا
والنجم في نشوة مما ينادمنا والحلي في طرب مما يغنينا
ياحاجة النفس لاتصفى لذي حسد فما لقينا من الأيام يكفينا
كأنها لم تصنا في جوانحها ولم تكن بسواد القلب تفدينا
ولم تبت ليلة كالروض حالية تجنى بها من صنوف اللهو ماشينا
والبين ظمأن لم تحسب عواذلنا ان الدموع سترويه وتظمينا
وحادث الدهر واش لاتحاذره وما تلهى وكنا عنه لاهينا
فيا ليالى ذكرناها وا كبدنا متطلمات علها في حوانبنا
فدسالى بعدك ما كنا نكفكفه وجاذبتنا النوى من كان يسلينا
لا في الاسى راحة مما نغالبه من البعاد ولا تغني بأسينا
اذا نسيم الصبا رقت جوانبه على متون الروابي راح يصبينا
تهييج رياه من ذكرى الديار هوى وربما ذكروا بالمسك دارينا (١)

---

(١) دارين بلد مشهور بالمسك

ما فيه الا سجايا العاشقين الى الـــغيد الا وانس والعتبي افانينا
وكم ينم بانفاس تحملها فيها الحياة ولكن ليس يحيينا
سلي الظلام اذا شابت ذوائبه من هول ما بت التق في تنائينا
ألاحت الشمس تغرى العاذلين بنا كليلة الطرف ام راحت تحيينا
لقد عدتنا عوادينا وكيف بنا اذا عدتنا عن اللقيا عوادينا
نيت والهجر في الآفاق ينشرنا كأننا لم نبت والوصل يطوينا
قالت رأيتك مجنوناً فقلت لها لولا هواك لما كنا مجانينا
ياطلعة الشمس غابت بعد ما طلعت وظبية القاع لم ترجع لوادينا
هل شاغلتك عواد ماتشاغلنا وبات يلهيك انس ليس يلهينا
ان كان سهلا على الله تفرقنا فليس صعباً عليه ان يلاقينا

وقال

بالله ياسحر العيون ما ترى قلبي غدا من عينها مسحورا
ذات محيا هو فينا جنة قد خلقت فيها العيون حورا
صيرني مذ حجبوها كالذي أخرج من جنته مدحورا(١)

وقال

أأخشاه جفنا ما تسل قواضبه وحد حسامي ما تفل مضاربه
فأين يدي هاتيك والسيف في يدي وما لفؤادي أنكرته جوانبه
ومالي كأن الكهرباء تمسني اذا لاح ذاك البدر او نم حاجبه
أروني فؤادي كيف صدعه الاسى وكيف تولاه الهوى ومصائبه
اذا كان قلبي لايصاحب همتي فما هو لي قلب ولا أنا صاحبه

(١) المدحور المطرود والتلميح في البيت ظاهر

ركبت لحيني في (إلترام) عشية — أري الفلك الدوار لاحت كواكبه
وأحسبه قلباً يجاذبه الهوى — فينقاد لايدري بما هو جاذبه
فلاحت لعيني من زواياه غادة — هي البدر لكن أطلعته مغاربه
تبسم أحياناً وتعبس تارة — كما يخدع الواهي القوى من يحاربه
وقد كتبت فوق المحاجر آية — يطالع فيها الحب من لا تخاطبة
فلما رآها القلب آمن واغتدى — يكاتبها في أضلعي وتكاتبه[1]
فما انا الا والهوى يستفزني — الى حيث سلطان الهوى عز جانبه
فقمت قيام الليث فارق غيله — وقد حطمت انيابه ومخالبه
وسلمت تسليم البشاشة والهوى — تدب على اطراف قلبي عقاربه
فأغضت حياء ثم عادت فسلمت — ومن بعد كدر الماء تصفو مشاربه
فلله ما احلى حديثاً سمعته — كأني يتيم لاطفته اقاربه
هو الخمر لولا طعمها وخمارها — هو السحر لولا ذمه ومعائبه
فقلت عرفت الحب والله انه — مطالب قلب لاتحد مطالبه
فقالت بلى ان شئت زدتك انه — نوائب دهر لاتعد نوائبه
فكاشفتها مابي غراما مبرحا — يغالبني فيه النهي واغالبه
وقلت أرى ذا القلب جن جنونه — وإلا فما ذا في ضلوعي يوائبه
فهزت قواما كالرديني مشرعا — وحين احسن الشعر ماجت كتائبه
واعجبها ما قلته فتضاحكت — كأني طفل في يديها تلاعبه
وقد كان صدري اطفأ اليأس نوره — فأصبح مثل الليل طارت غياهبه
وقالت اخاف الناس فالناس في الهوى لئيم نداري او عذول نراقبه

(١) لا شك في ان هذا الفرع من التلغراف بلا سلك

وعادت تروع القلب لم تدر انني شديد مناط القلب صلب ترائبه
ولما رأتني هائماً غير هائب سواها وقدماً ضيع الصيد هائبه
تولت وقالت تلك عاقبة الهوى وبعد صدور الامر تأتي عواقبه
فغادرت قلبي في (الترمواي) وحده ينادي ولكن من عساه يجاوبه
وعشت بلا قلب وعفت هوى الدمى ولا يردع الانسان الا تجاربه



الباب الخامس

في الاغراض والمقاطيع

وقال

يتوسل بصاحب الشفاعة العظمى صلى الله عليه وسلم وهي من أول قوله

ابت عيناك الا ان تصوبا وهـذا القلب الا ان يذوبا
فما لك تحـذر الرقباء حتى هجرت النوم تحسبه رقيبا
وقام عليك ليلك في حـداد يشق على مصائبك الجيوبا
ورب حمامة هبت فناحت تنازعني الصبابة والنحيبا
أساعدها وتسعدني نواحا كلانا يا حمامة قـد أصيبا
دعي هم الحياة لذي فؤاد فما ترك الغرام لنا قلوبا
ولا تنسي اخاك وما يعاني اذا ما كان في الدنيا غريبا
فان المرء ينسى ان تناءى وتذكره صحابته قريبا
رعاك الله هل مثلي محب وقد أمسى (محمد) لي حبيبا
شفيعي يوم لا يجدي شفيع وطبي يوم لا أجـد الطبيبا
وغوثي حين يخذلني نصيري وغيثي ان غدا ربعي جديبا
وآمن في حماه ريب دهري وحادثه وان أمسى غضوبا
وأذكره فيفرج كل خطب ولو كانت رؤاسيها خطوبا

رسول الله جئتك مستغيثاً وجودك ضامن ان لا أخيبا
متى تخضر ايامى وتزهو ويصبح عود آمالي رطيبا
فقد ضاقت بي الدنيا وهبت نجائمها على قلبي هبوبا
ومالي غير حبك من نصير فهل من العناية لي نصيبا

وقال (في الشكوى)

غير قلبي أراه يسطيع صبرا وسوى علتي من الحب تبرى
انا لم يبق بين جنبي الا كبد من لوعة الشوق حرا
فدعوا اللوم انما هو لؤم وقديما ولدت والعين عبرى
ما عليكم من الغرام اذا ما كان حلو المذاق أو كان مرا
ان تكن تصغر المصائب فالنفس ترى فيكم المصائب كبرى
كرجال الوباء في طلمة الطاعون أيام زلزل الويل مصرا
سفهاء كمثل ما افتضح العرض لئام كالعسر لم يبق يسرا
والذي اثقل الرواسي اني لأرى ظلكم على الارض صخرا
لا يغرنّ من يلومني الصمت فاني رأيت في الصمت أجرا
واذا قال من كريم سفيه فأقيموا له السفاهة عذرا
ليت هذا الزمان يرجع يوما من زمان الصبا ويأخذ عمرا
يوم كان الفؤاد كالروضة الغناء تجنى يد الهوى منه زهرا
والليالي كالطير ناحت فخلناها تغنى وهن يبكين قسرا
والأماني على الهوى حائمات مثل سرب القطا اذا جئن نهرا
كم ارجى من الزمان أمورا لم ينلني الزمان منهن أمرا
واذا هم ان تنولني يمنى يديه همت بسلبي يسرى

أنا يا دهر لم أسئ لك يوما فلماذا أساءني الهم دهرا
قد أراني مما تحمل صدري لو أتاني السرور لم يلق صدرا
ولعمري لم أمش في الارض الا قام بي أن تحت رجلي قبرا
يا نجوم السماء مالك تزهيـ ـن كلانا قد بات يعشق بدرا
إن تعيني على هموم الليالي فاحملي شطرها وأحمل شطرا
أجد الهم كلما نقصته ساعة بالرجاء زادته أخرى
وبنا حسرة ترج لها الار ض فهل أنت في سمائك حسرى
ما على من هويت لو حمل البر ق سلاما واستودع الريح سرا
هو أدرى بما أحاول منه وأنا بالذي يحاول أدرى
ألف الصد والتجافي غدرا وأذى الصب والتجني كبرا
من يحييه والنسيم اذا هـ ـب جفاني والصبح أطول هجرا
وصحابي اذا افتقرت اليهم زادني الاغنياء عني فقرا
خلق الله ذا الجمال متاعا غير ان الجميل بالتيه مغرى
وأرى الصد لذة وشقاءا ومن النفع ما اذا زاد ضرا
فاحذري يا نجوم بدرك إني أجد الحسن صار في الناس غدرا

وقال أيضاً

رأيت في الناس كل شيء تحار في كنهه العقول
جميلهم فعله قبيح وكم قبيح له جميل
ويصطفي المرء الف خل ولا يفي منهم خليل
فلا تحاول لهم رضاءاً ان رضاء الناس مستحيل

وقال

نوب تغدو على نوب تقطع الايام في طلبي
ليت شعري وهي معجلة أي ذنب لي سوى أدبي
أقبلي يا نائبات فما هذه الدنيا سوى تعب
وأثبتي للعمر آونة فليالي العمر في هرب
عجبي والناس ان فطنوا وجدوا دهري أبا العجب
كم ليال قد لعبت بها وغدت من بعد تلعب بي
كعهود الغيد ان صدقت فقصاراها الى الكذب
والذي يمضي على لعب سوف يلقى حسرة اللعب
يا زمان الهجر كيف لنا بزمان الرسل والكتب
وليال كالصبا سلفت إن يؤب عهد الصبا تؤب
كم قطعناها على كلف في رضا حلو وفي غضب
آه ليت العين ما نظرت ودموع العين لم تصب
ان هذا الحب غادرني ليس لي في العيش من أرب
كلما أقلت من كرب ساقني قلبي الى كرب

وقال

هجرتني الملاح من غير ذنب وأعانت علي دهري الملاح
قاتلات النفوس حرمها الله ولكن لاجلهن تباح
وتمادين في عذابي حتى ما لليلي من بعد ليلى صباح
يافؤادي اصطبر فان هي الا غدوة بعدها يكون الرواح
كم أناس يصدعنهم أناس جمع الموت بينهم فاستراحوا

(وكتب في رسالة)

أيا ضلوعا قلبها وامق ... وياعيونا طرفها رامق
من لفؤاد طاهر جره ... الى الغرام النظر الفاسق

واستبطأ كتب بعض اصدقائه وكان قد وشي به عنده فكتب اليه

علم الله انني بك صب ... ولذكرى حماك ماعشت اصبو
يا حليف الوفا امالي عذر ... يغفر الذنب ان يكن لي ذنب
قد سعوا بي اليك بالعيب فالعيـ ... ـب وما لي سوى المحبة عيب
وارادوا ان يلزموا القلب صبرا ... لهم الويل هل لذي الحب قلب
اتخذت السحاب دارك في الجـ ... ـو فليست تجيئنا منك كتب
أم لما أوجب القطيعة والبغـ ... ـضا وقلبي كما عهدت محب
لو سألت النسيم عني لأمسى ... بزفيري على حماك يهب
او أذنت السحاب ان تذكر الدمـ ... ـع لباتت من الدموع تصب
او تعرضت للحمام بذكري ... طال منه على جفائك عتب
سقمي قاتلي وانت طبيبي ... مالسقمي سوى رضائك طب

وكتب الى مخلف وعد

يا مخلف الموعد كم ... تكذب فيما تنطق
اصدق ما وعدتني ... انك لست تصدق

(وكتب الى صديق)

مالي اراك مغاضبا ... من غير ذنب كان مني
فاذا كتبت اليك معـ ... ـتذرا احلت على التجني
ما كان ظني يا أخي ... أن سوف يخطي فيك ظني

(وكتب الى من ظن به خيرا فلما بلاه اذا هو لا خير فيه)

كنت ارجوك ان تعين على الهـم اذا أنت للهموم معين
ثم أصبحت بالوداد جواداً وفتى الجود بالوداد ضنين
فاذا كنت قد ظننت غروراً انما انت جوهر مكنون
فبهذي الفعال والخلق السو ء تبينت أن أصلك طين

وقال

يداعب صديق له يخبره بالامر التافه ثم ينساه ويعود بعد أيام فيخبره به على وجه آخر وهكذا

لي صاحب حديثه فضول تمجه الاذان والعقول
ولم يزل من دابه الذهول فهو كمثل الظل اذ يجول
منبسطاً في حيثما يزول وهو اذا اصغى له الخليل
كالببغا تعيد ما تقول

وكان يوما متكدراً فلقيه بعض اصحابه فضحك اليه فسأله صديق آخر عن ذلك فقال

لم ينكشف همي ولكنني اريهم ما عرفوني به
كذي هزال خانه جسمه فاستافت الناس الى ثوبه
وربما كان الفتى باسما وَكان كل الهم في قلبه
ومن رأى ذاته صحبه فربما هان على صحبه

وقال

الاصدقاء قليل والحر فيهم أقل
والناس كهل غني وذو شباب مقل

فلاترى الشيخ يقوى ولا الفتى يستقل

وقال

أصبحي ياهموم فينا وبيتي مالهم على الرضا من ثبوت
قد بلونا الصدود حتى ألفنا ه كالف العيّ طول السكوت (١)
وغدونا مع الزمان كما شا ء وشاءت فواجع التشتيت
تـترامي بنا رياح الرزايا كل يوم ترامي العنكبوت
لارعى الله من يحب على الغد راغنا أو ذات حلي صموت (٢)
وحرام يانفس أن أحفظ الود اذا ماأضاعه من هويت
لغير قلبي لغـير من يحفظ القلب سـواء أبيت ذا أو رضيت
فاذا ما الحبيب أعرض عني فاهجريه هجر الطلاق البتوت (٣)
واطلبي جانب الفخار وأعلى مابناه الجدود لي أو فوتي

وقال

أرهف سيوفك يادهــر قد عرفت محزى (٤)
فلست أرجو لذلي من كادني يوم عزى
وكم حبيب فقـدنا فلم نجـد من نعزى

وقال

وأغيد قلنا له هاتها فقال ماهاتى وممناها

(١) العي الذي لا ينطق من الحصر (٢) يوصف حجل المرأة الممتلاة و سوارها بأنهما صموتان قال النابغة

على ان حجليها وان قلت أوسعا صموتان من ملء وقلة منطق

والاغن من كان ذاغنة في صوته (٣) الطلاق البتوت الذي لا رجعة فيه

(٤) المحز مكان الحز من الذبيح

كأنما ليس لنا أضالع　　على هواه قد طويناها
ولم تكن في خده وردة　　تزيد حسناً ان قطفناها
قلنا له تلك اذن قبلة　　كل محب قد تمناها
فلم يزل يمنعنا خده　　ولم نزل حتى أخذناها

وقال

(في مليحة تبيع الليمون المعروف باليوسف أفندي)

غانية كرونق الفرند　　لحاظها مثل سيوف الهند
وشعرها جند ولا كالجند　　تعلمت بطيء الخطى من فند [1]
وعندها صبابة وعندي　　لو صوروا بنان ذاك الزند
لصوروني فيه (يسففندي)

وقرأ اعلانا نشرته بعض غادات اليابان في احدى جرائد بلادها تصبي الشبان وتذكر صفة من تهواه منهم فقال بعض أصحابه ليس مايمنعني الا بعد الشقة وكان ذلك أيام محالفة انكلترا لليابان فقال [2]

---

(١) الخطي جمع خطوة وفند هذا يضرب به المثل في الابطاء وهو غلام كان لعائشة بنت سعد بعثته ليجيء بنار فخرج فلقي عيرا خارجا الى مصر فخرج معهم فلما كان بعد سنة رجع فاخذ نارا ودخل على عائشة يعدو فسقط وقد قرب منها فقال (تعست العجله) ....

(٢) اسم هذه الغادة «هوزويجوش» وهذا تعريب اعلانها نقلا عن جريدة المؤيد الغراء قالت «انني امرأة قد بلغت الدرجات القصوى من الجمال . ولي شعور مسترسلة» «على الكتفين وتشبه في تموجها السحاب في يوم صافي الاديم . ولي قد يزري» «بغصن البان في قوامه وانعطافه . وحاجبان كالهلال اذا طلع من مطلعه فتطاولت» «اليه الاعناق . وعندي من المال الوفير . والخير الكثير . الكفاية لان اعيش مع» «من أحبه في اتصال دائم . وارتباط وثيق . رقب الفجر في الليل . ونسرح»

صبا للقصور وغزلانها ... وتلك الليالي وأشجانها
ليالي تجري جياد الهوى ... الى الغانيات بفرسانها
وتبهها خطرات القلوب ... لمرعى صباها برعيانها
فهل علمت حادثات الزمان ... اساءتها بعد احسانها
وأينا ليالي أفراحها ... تجر ليالي أحزانها
وكم حاربني عيون المها ... وحاربت أعداء سلطانها
فردت سيوفي وتلك اللحاظ ... لاغمادها ولاأجفانها
أبعد الوصال وبعد الوداد ... تروع الغواني بهجرانها
وتطرح شأنك عن همها ... وتصدق عنك الى شأنها
فلا تستنم لنؤم الضحى ... ولا ترج برة أيمانها [1]
ولا تغترر بالتي خلتها ... تسر الغرام (باعلانها)
تعلمت الود بعد النفور ... من خاطبي ود (يابانها) [2]
فدع غصن البان في أرضه ... اذا ظللتهم بأغصانها
وجنب فؤادك نار الهوى ... اذا ماحمتهم بنيرانها
فما العز في حجرات الكعاب ... ولا في الرياض وريحانها

«الانظار في الازهار . طول النهار فاذا وجد من بينكم معشر القراء شاب رقيق»
«الحواشي . زكي الفؤاد . . . م جميل سليم الذوق . فاني اكون سعيدة الحظ»
«اذا انيح لي أن ادفن بجانبه في قبر من المرمر، الوردي . اه»
والحالفة المذكورة هي محالفة (٣٠ يناير سنة ١٩٠٢) المشهوره

(١) استنام الى صاحبه سكن اليه ويصف العرب المرأة المترفهة بانها نؤم الضحي لانها تظل نائمة حتى يضحي النهار وعندهم ان الكسل محمود في النساء

(٢) كانت انكلترا في عزلة فلما حالفت اليابان قيل أنها خرجت من عزلتها الفاخرة

ولا في الشعور كموج السحاب   اذا ما تراخت على بانها
ولا في الحواجب مثل الهلال   ولا في العيون وأجفانها
ولا هو في طلعة النيرين   ولا في النجوم وكيوانها
ولا في جمال زهور الرياض   اذا اختلن في ثوب نيسانها [1]
ورتل مما شجاه الحمام   أفانين شجو بأفنانها
وما السيف من غير ابطاله   وما العين من غير انسانها
وهل ترتقي صادحات الطيور   من الجو مرقاة عقبانها
علاك أحق بهذي الليالي   من الغانيات بريعانها [2]

وقال (في صغيرة تتعلم الكتابة في كتاب)

كتبوها مثل الحواجب نونا   وأروها قوامها في الكتاب [3]
ثم ما زالت المشائخ حتى   علموها الدلال في الكتاب

وقال (في هيفاء تمشي على الحبل في تياترو)

طلعت والظلام يحسده الصبـ   ـح فخلنا في الارض شمس السماء
ورأت اكبد الورى في ثراها   فمشت من دلالها في الهواء

(ورأى راقصات فاعجبه ما رأى فقال بديها)

ياشموساً طلعت في الغلس   ما عليكن من المختلس [4]
درن في افلاككن دوره   يكشف الريب عن الملتبس

---

(١) نيسان من الشهور الرومية وقد مرت (٢) ريعان الشئ أوله وريعان الليالي زمن الشباب

(٣) اي مثل قوامها وهي الالف

(٤) الغلس الظلام

وترفقن بصب مدنف يتلظى قلبه كالقبس
ظنه عاذله ذا جنة أذكرت من أمر قيس ما نسى
واذا ظنوا الغرام هوساً فانا رب الهوى والهوس
قد شجتني انة العود فلم يبق مني غير رجع النفس
اترى ايديهم تلمسه أم ترى يعشق ذات (اللمس)

ورأى احداهن وقد تأودت حتى لم تر الاعين الا سواد شعرها المترامي على اعطافها ثم لم يزل قدها بعد ذلك يتقوس حتى لاح للناظرين بدر وجهها فقال

مالت دلالا فارتمى شعرها كالليلة الظلماء أو شبهها
فلم نزل نرقب بدر الدجى حتى تجلى البدر من وجهها

وقال يقص حادثة غرامية

نفرت والظباء ذات نفار وتجنت عليه ذات السوار
لم يكن يعرف الهوى فرآها ورأى (زهرة الهوى) في الازار [1]
ورنت عينها اليه بأن لا تتبعنا فسر في الآثار

---

(١) الزهرة احدى الكواكب السبعة السيارة وكان القدماء يعتبرونها الهة واختلفت خرافاتهم في اصلها . وحكى سيسرون في كتابه حقائق الآلهة أن أقدم زهرة هي بنت الفلك وآلهة النار وقال انه يوجد هناك زهرة أخرى متولدة من زبد البحر ولدت من زوجها عطارد ولداً وزهرة ثالثة وهي بنت جوبيتر وقد ولدت من المريخ ولداً ورابعة تزوجت أدونيس وقيل ان هنالك زهرة خامسة علوية وهي آلهة المودة الصادقة وسادسة تسمى ونيوس وهي آلهة المحبة الشهوانية وسابعة تسمى « ابوستروفيا » ومعناه الي تصرف القلوب عن صدق المودة. ولكن المشهور عند الناس ان الزهرة آلهة الهوى .

يتوارى عن العيون وان لم ... يك عن كاتبيه بالمتواري
ويدور الهوى بلحظيه ما بيـ ... ـن يمين تخوفا ويسار
وهي تختال كالغصون اذ ما ... ل بهن النسيم في الاسحار
أو مهاة النقا اذا رأت القا ... نص لكنها بغير انذعار
يحسب الناس طيبها نفس الصبـ ... ـح على زهر روضة معطار
ويظنونها من الحور لولا الحو ... ر محجوبة عن الابصار
ويخالون وجهها قمر الأفـ ... ـق على ما بأوجه الاقمار[1]
ويقولون فتنة قد براها الله ... ـه سبحانه فجل الباري
خطرت تخطف القلوب وقد سا ... ت سيوفاً من لحظها البتار
في دلال تجر مثل الطواويـ ... ـس على عجبهن فضل الازار
والثرى كله قلوب ضعاف ... خشيت صولة الهوى الجبار
(والفتى يتبع الفتاة) وقد أمـ ... ـسى بما مس قلبه غير دار
ورأى قصرها فطار وطارت ... وادعى وادعت حقوق الجوار
واتته يلوح في وجهها البشـ ... ـر وحيت تحية استبشار
يأتني خلفها من الخرد العيـ ... ـن رياحين طبن كالازهار
هن ربات كل ذات جمال ... ولما وحدها خلقن جواري
فنشرن الكؤوس وانبعث اللهـ ... ـو وقامت قيامة الاوتار[2]

---

(١) يرى في وجه القمر شيء كالكلف تفنن الشعراء في تعليله وقد اكتشفوا حديثاً انه صورة وجهين متقابلين

(٢) لا نرانا في حاجة الى التنبيه على ما أودعه هذا البيت من البلاغة ولكننا نؤاخذ على اغفال الاشارة البديعية التي في قوله (وانبعث اللهو) فكل ما كان لهواً وجاز ان يكون في ذلك المجلس تحتوي عليه هاتان الكلمتان

وحكى صوتهن أصوات داو ... د فهبت سواجع الاطيار [1]

وتراخي الظلام فانفجر الصبح ... وسالت ذكاء سيل النضار

وبكي الغيد رحمة لفتاهن ... ولكن بدمع غير جاري

ثم ودعنه فقام حزينا ... يمشي بين ذلة وانكسار

ولو أن الهوى يمس قلوب الاسـ ... ـد ذلت نفوس تلك الضواري

لا وذات السوار مانقض العهد ... ولا خانه لا وذات السوار

صان اسرارها وباحت بما في ... صدرها من ودائع الاسرار

وأصاخت الى الوشاة فلجت ... في التجني ولج في الاعتذار

واستعار الزمان أيام ذاك الا ... نس والدهر لا يرد العواري

ونأت دارها فبات بلا قلب ... ولا مسعد سوى (التذكار)

وجفون المحب يوم تراه ... في ديار وقلبه في ديار

وقال في « شيخ هرم خطب فتاة ناعمة الصبا فاغلظت له في الرد »

جاءها خاطباً وبين يديه ... قام عزريل واعظا وخطيبا

وتصدى لها فصدت وقالت ... قبح الشيخ أن يكون حبيبا

قال هذا المشيب نور فقالت ... أوقدوا في السراج هذا المشيبا [2]

---

(١) يقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ المزامير في البرية [illegible] الطير اقتداءاً بصوته ولا يشق حسن الاطيار اهـ

(٢) ليس في الشيخ من الفضائل الا ان مشيبه نور ووقار كما جاء في الاثر وانه عصر دهره بعد ان عصره دهره فكان هذا الشيخ يدل عليها بفضائله وهذا عيب ثان فيه يدل على جهله ومما يناسب هذا ان شيخاً شاعراً رأى فتية فاعجبته فخطبها فردته فبعث اليها ببيتين يقول فيهما انه وأن كان قد شاب الا ان عزمه لا يزال فتى وانه مع ذلك لاديب فقالت له لسنا نريدك لتوليك ديوان الزمام … أي ديوان الحسابات

قال اني أبو العجائب قالت … وعجيب أن لا تكون عجيبا
يا أبا الهول يا أخا الهرم الاكـ … بر حسبي فقد كفاك عيوبا (١)
ياندير الممات يا وجمة القلب … متى كنت للقلوب طبيبا
أنت كالبدر غير انك ممحو … ق وكالشمس أوشكت ان تغيبا (٢)
وجدير بمن يؤمل في المو … ت حياة يحيي بها ان يخيبا

وقال (يذكر خطرة قلب ويصف خمول قومه)

يشكو الى ثغره من حر أنفاسي … وما بنفسي الا لوعة الياس
وينظر القلب مجروحاً بناظره … ولا يرق لقلبي قلبه القاسي
جرح الحسام له آس يطببه … ولست ألقى لجرح اللحظ من آس (٣)
فان يك الحب أن أحيي بلا أمل … فقد قطعت من الامال أمراسي (٤)
وان يكن مثلي العشاق قد هجروا … فأين ميل قلوب الناس للناس
وأين ذو كبد يرثي لذي كبد … كأنما انضجوها فوق أقباس (٥)
اني لانظر أجناساً منوعة … وكم يضيع جنس بين أجناس
وقد أراني في قوم أولي كسل … كأنما انتفضوا من تحت أرماس (٦)
فبعضهم بين أخفاف الهوان هوى … وبعضهم ضل بين الكاس والطاس
لو كان منهم كليب يوم نكبته … لما فطعن كليب رمح جساس (٧)

(١) يبلغ عمر الهرم الاكبر اليوم فوق الاربعة آلاف سنة وذلك قليل في جانب عمر صاحبنا بالنسبة الى عمر الفتاة • والتورية ظاهرة

(٢) هذا تأكيد الذم بما يشبه المدح

(٣) الآس الجراح (٤) الامراس الحبال (٥) الاقباس جمع قبس وهي الجذوة من النار (٦) الارماس القبور (٧) كان كليب بن ربيعة سيد قومه وهو الذي يقال فيه أعز من كليب وائل وكان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى

وقال

الشرق سوق الغرب لكنها لايشتري منها سوى البائر
باع بنوها بعضهم بعضهم والويل للرابح والخاسر

وقال (في الصحافة في الشرق)

كم ملؤا الجو بصيحاتهم وطاولوا النجم بلا طائل
وسيروها صحفاً بعضها عن بعضها في شغل شاغل
تحتشد الاقلام فيها كما يختلط الحابل بالنابل
وتجمع الحق الى خصمه وليتها تقضي على الباطل
رأيتها كالعضب اما نبا فالذنب في ذاك على الحامل

وقال (وا كثر ماتجد في مصر من وصف)

أرى نساء بني قومي ويا أسفا في لسنهن سهام لسن في الحدق

حماه ويجير على الدهر فلا تخفر ذمته ويقول وحش أرض كذا في جواري فلا يهاج ولا تورد ابل احد مع ابله ولا توقد نار مع ناره وكانت بنو جشم وبنو شيبان في دار واحدة بتهامة وكانت بسوس خالة جساس بن مرة نازلة في بني شيبان ولها ناقة يقال لها سراب فمرت بها ابل الكليب فنازعت عقالها حتى قطعته واختلطت بالابل حتى انتهت الى كليب وهو على الحوض فلما رآها انكرها فاشتد عليها بسهم فخرم ضرعها فنفرت الناقة وهي ترغو فلما رأتها البسوس قذفت خمارها وصاحت وا ذلاه وا جاراه وخرجت فأحمست جساساً فركب فرسه وأخذ آلته ودخل على كليب الحمى فقال له ياأبا الماجدة عمدت الى ناقة جارتي فعقرتها فقال له أتراك مانعي ان أذب عن حماي فأحمسه الغضب فطعنه جساس فقصم صلبه • وكان من عادة العرب ان لا يأخذوا ثارهم من لئيم الحسب قال الحكم بن زهره

قوم اذا ما جنى جانيهم أمنوا من لؤم أحسابهم ان يقتلوا قودا

كأنما من بني تيم بعثن لنا … لولم يكن قباح الخلق والخلق [1]

وقال موريا

وذي دلال قال خذ في المنى … فقلت عيش رغد سائغ
(ويوم وصل) قال حسبي اذن … هذا كلام في الهوا (ى) فارغ

وقال

لي أمل فيك انقضى بعضه … وبعضه الآخر لم تقضه
فان تكن حات فياربما … يشفع بعض الحب في بعضه

وقال

يامن يرى أنني بخلت بما … عندي عليه فلست ذا وجد
كفاك بالنفس وحدها هبة … فان نفسي اعز ماعندي

وقال

اذا غبت عن أعيني لم أجد … سواك تقر به أعيني
وما فقد الحسن لكنما … تميل الطباع الى الاحسن

وقال مضمنا

مشى فكأن الغصن تهفو به الصبا … وللعطر منه في رداء الصبا نفح

---

(١) كانت لنساء بني تيم حظوة عند أزواجهن على سوء أخلاقهن لما اتسمن به من الجمال ومن طرائفهن أن أم سلمة بنت محمد بن طلحة كانت تحت عبد الله ابن الحسن وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة ويفرق منها ولا يخالفها فرأى يوماً فيها طيب نفس فأراد ان يشكو اليها قسوتها فقال لها يابنت محمد قد أحرق الله قلبي فحددت له النظر وجمت وجهها وقالت له احرق الله قلبك ما ذا نخافها فلم يقدر على ان يقول لها (سوء خلقك) فقال لها « حب ابي بكر الصديق . »

ومر وعن جنبيه صفا عواذل　　(كخطي ظلام شق بينهما صبح)[1]

وقال عن انسان انسان

أيها الحب أمانا　　لم أعد أهوى حبيباً
ان للولدان (يوماً　　يجعل الولدان شيباً)

وقال (وهي من أول القول)

هل لاا الجما بب　　أم صدوده لعب
أم ذكاء ما برحت　　تجتلي وتحتجب
أم غدا كمشبهه البـــدر ليس يقترب
شادن لاعينه　　أنفس الورى سلب
ان يعد فليس يفي　　والهوى له أدب
يحكم الملاح على الصـــدق انه كذب
وانتمى الجمال له　　فهو للجمال أب
وهو من تدلله　　هاجر ومصطحب
وهو من ملاحته　　سافر ومنتقب
كل أمره عجب　　وكذا الهوى عجب
يالا اليا سلفت　　هل نعيدك الحقب
والرياض حالية　　للسماء تنتسب
وهو بين أكوسها البـــدر حوله الشهب
نجتليها عابسة　　باسما لنا الحبب
كالعروس قد حجبت　　وهو دونها حجب

(١) هذا عجز بيت لكشاجم وصدره « وقد حسرت عن واضح الفرق قاحم »

أبطأوا بزفتها والزفاف مرتقب
أو كخد أغيد لو لم يسل بها العنب
أو كأنها شفة عضها فتى وصب
أو كدمع ذي كلف بالدماء ينسكب
أو كقلب ذي حسد ما يزال ملتهب
ان اثمها جذب ممطى فينجذب
ينبرى لها رشاء هز عطفه الطرب
في القلوب مختبئ للقلوب مختلب
خده بحمرتها كالبنان مختضب
لا أرى له غضبا آفة الرضا الغضب
نلعب المدام به كلما احتسى يثب
وهو منها في ضحك وهي منه تنتحب
أكرم السقاة سقى اكرم الاولى شربوا
من كمثلي ان ذكروا من سما به الأدب
شيمة مخلفة نافست بها العرب
إنها المعادن لم يصد مثلها الذهب
ياضلوعي ما برح القلب فيك يضطرب
دارت العيون به فهو بينها نهب
وانجلت لواحظها فانجلى له العطب
أعين يموج بها سحرها فينسرب
كم صرعن من أسد حين غالبوا غلبوا

في جفونها رسل   لم تجيء بها كتب
ويح من أحب أما   ينقضى له أرب
إن أراحه تعب   شف قلبه تعب
سنة جرت ومضت   طاعة الهوى تجب

وقال

يا ناعس الطرف لم أشكو ظلامتي   رحماك يا ناعس العينين رحماكا
لو أن غير فؤادي تشتكيك معي   اصبحت الناس والدنيا بشكواكا

وقال

اتخذ باللهو لهوا   واتخذ بالروض روضا
ان يخن ظبي فظبيا   أو تضق أرض فأرضا
كلها آيات حسن   بعضها ينسخ بعضا

وقال

يا أنيسي ذر الحزين حزينا   بعض ما سامه الهوى يكفيه
دعه يبكي فذو الهموم جدير   أن مافي فؤاده يبكيه

وقال

أمسيت من يوم النوى فرعا   ويلي على يوم النوى ويلي
وأتى الصباح بكل داهية   فخرجت من ليل الى ليل

وقال

ما الحب الا أنس كل امرىء   لو كان يدري الناس ما الانس
ولو درى كل الورى فضله   لهام فيه الجن والانس

وقال في الحماس

الى البيض سورة هذا الجماح ... وللسمر خفقة هذا الجناح

لحاني العواذل في حبهن ... وهيهات من حبهن اللواحي

فما البيض الا طرار السيوف ... ولا السمر الا عوالى الرماح

يرج بها الارض هذا الفتى ... ويدمي عليها عيون البطاح

يجوب المعامع جوب الحمام ... ويطوي المهامه طى الرياح

على اشقر كوميض البروق ... تحفزه غلواء المراح

جريء على الليل مستجمع ... يهب هبوب نسيم الصباح

تكاد لنشوة اعطافه ... إذا مر تحسبه غير صاح

وقال (في هلال الشك)

هلال الشك لاتعجب اذا ما ... رأيت كما ارى هرج الانام

فقد حسبوا نحولك من نحولي ... فخيف عليك عاقبة الغرام

وقال

يا ليت قلبي لم يحب ولم يهم ... بل ليتني ما كان لي احباب

انى رأيت أخا الغرام كانما ... صبت عليه وحده الاوصاب

لكن عين المرء مفتاح الهوى ... فاذا رنا فتحت له الابواب

واذا اراد الله أمراً بامرئ ... سدت عليه طريقه الاسباب

وقال

بنوا آدم اعداء ... على السراء والضرا

فلا يغررك مبتسم ... وان ابدى لك البشرا

ففي الصدر حزازات ... تكاد تمزق الصدرا

ولو كادوا النجوم هوت من الخضراء للغبرا
وما الدنيا اذا فكر ت غير جهنم الصغرى
ألست ترى بها أمماً وكل تلعن الاخرى
لقد جربت اهليها فلم أر فيهم خيرا
ومثلهم لنا (الكفرا وي والصبان والفرا)
فعمرو ضارب زيداً وزيد ضارب عمراً

وقال

إن ضحك القوم على بعضهم فسوف يبكون على رمسه
من كان من اخوانه ضاحكا فانما يضحك من نفسه

وقال

(يهني نجل عمه الاديب الفاضل الشيخ سعيد عبد الرحمن الرافعي بكريمته عنايه)

تبلج صبح المنا مشرقاً ونورت الشمس افق (السرايه)
وقد زين السعد ابراجها على كل برج ترفرف رايه
وقامت بنات العلى خادمات فذي تخيط وهاتيك دايه
وقالوا أبوها مثال الكمال فقلنا الكمال مثال الهدايه
وما هي الا (عنايه) ربك فابق (سعيداً) بهذي العنايه

وقال أيضاً

يهني صديقه الفاضل الشيخ عامر خليفه من اعيان اتباي البارود بنجليه النجيبين

رأيت نجليك فارقدي أفق وما جميع النجوم اشباه
كلاهما في علاك طالعه وفي جبين السعود سيماه
لو خلق المجد كالانام لما كان سوى ناظريك عيناه

فاهنأ وباه السما وانجمها　　بالفرقدين رعاها الله

(وقال في اللباس الافرنجي الاسود المعروف بالرسمى)

يا حسن ثوب للدجى مشابه　　كأنما فصل من إهابه
يحسر الشيخ على شبابه　　أزهى به وكنت لا أزهى به
كأنني المليك في اصحابه　　منذ رأيت الناس من طلابه
وكلهم من جاهل ونابه　　يرون قدر المرء في ثيابه (١)

وقال

ارى المعدم المسكين في الناس هالكا　　وما حيلة العرجاء بين المزاحم
كأن لم تكن حواء في الناس أمه　　ولم يك بين الناطقين ابن آدم
فقولوا لعباد الدنانير ويحهم　　الا ذكروا يوماً عبيد الدراهم

وقال

رأيت ذا الكون كله تعب　　سيان فيه الوجود والعدم
والناس كالنائمين ما لبثوا　　فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات العماد مبدعها　　فاين راحت باهلها إرم (٢)

وقال

كل امرئ كلف بحب طباعه　　لا يستطيع عن الطباع سلوا
فاذا وثقت من الحبيب فربما　　تجد الحبيب قد استحال عدوا

(١) دخل الاحنف بن قيس علي معاوية ومعه النمر بن قطبه وعلي النمر عباءة قطوانية وعلي الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدي معاوية اقتحمتها عينه فقال النمر يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها . أما اليوم فقد جهلت هذه الكلمة حتي صار قدر المرء في ثيابه .

(٢) يريد مدينة ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها في البلاد وأمرها مشهور

وقال (في الشتاء)

أيا ضيفا أطال المكـــــث حتى قبح الضيف
لقـد خطوا لك السوآ ت حرفا بعـده حرف
واقـدامهـم الاقلا م والارض هي الصحف
وكم زلزلت دورهم (فخر عليهم السقف)[1]
لئن يصف لنا يوم فأيامك لا تصـفو
وقد مات ذووا الكافا ت والندمان والقصف[2]
وبات الناس من أرضا ه يوم ساءه ألف

وقال (يداعب أعور متكبراً)

ما بال أنفك هذا قدشمخت به الى السموات حتى جاوز القدرا
لولا خشيت اذا ما كنت رافعه من أجل واحدة أن يفقأ الأخرى

وقال (في بخيل)

نقص البخل ويوم أتى قيل ان البخل قـد كملا
لو رآه اهل مرو اذن ضربوه بينهـم مثلا[3]

(١) اقتباس واكتفاء من قوله تعالى «فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب»
(٢) كافات الشتاء مشهورة في قول ابن سكره

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا بعد الكباب ...... وكسا

وبعضهم أبدلها بصادات وبعضهم قال

اذا صح كاف الكيس فالكل حاصل لديك وكل الصيد يوجد في الفرى

(٣) مرو مدينة اشتهر اهلها بالبخل المفرط ويقال أن من عادتهم اذا ترافقوا في سفر ان يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشبكها في خيط ويجمعون اللحم كله

وقال

لكل امرئ اجل منتظر ويبقى من الذاهبين الاثر
يردده الناس جيلا فجيلا ويروونه زمراً عن زمر
ترى فيه نفس الفتى مثلما ترى في المرآة وجوه البشر
فذاك مرآته للنفوس وهاتيك مرآته للصدر
وما الناس الاحدبث يدوم فالخير خير والشر شر

وقال (واعظاً)

للموت قد خلق البنون وللردى خلق البنات
والموت أوسع للذي ضاقت به هذي الحياة

وقال (يتمنى) (١)

أتمنى وكيف لا أتمنى ان لي في الانام خلا وفيا
وفؤاداً مطهراً يلمح الدهر واهليه راضياً مرضيا
ذاك والموت خالداً بعد موتي ونعيم الحياة ما دمت حيا

في قدر فيأخذ كل منهم بطرف خيطه حتى اذا نضج اللحم جر خيطه واكل قطعته وتقاسموا المرق

(١) قال بعض الحكماء الامل رفيق مؤنس ان لم يبلغك فقد ألهاك •



الباب السادس

في الرثاء [1]

قال يرثي الامير عبد الرحمن أمير افغانستان والمجد كله في اسمه

كما كانت الحكمة والهمة في جسمه رحمه الله

يافاجع الموت ماذا ينفع الحذر ... وقد عهدناك لا تبقي ولا تذر
جنت أناملك الارواح فانتثرت ... كما تناثر من أوراقه الزهر
وما بمانعهم ما قدروا وقضوا ... وفوق كل قضاء في الورى قدر
من يتعظ فصروف الدهر موعظة ... وما مواعظ دهر كله عبر
يا لهف (كابل) ما فاجأت كافلها ... حتى درى كل قلب كيف ينفطر [2]
فجعتها وفجعت العالمين بها ... حتى النجوم وحتى الشمس والقمر
وجئت ضيغمها لكن بمخلبه ... فما استطاعك ذاك الضيغم الهصر
قد كان يزجي المنايا للعدا زمراً ... واليوم جئن له من ربه الزمر
وكان يأتيه ريب الدهر معتذراً ... واليوم عنه صروف الدهر تعتذر
ما شب في غير الاحداث فكرته ... الا اضاءت له الاحداث والغير

---

(١) سئل شاعرنا مرة لماذا لا يكثر من المراثي فقال: كثر الرثاء حتى أصبح صنعة تحترف وأسأل الله أن لا يفجعني في عزيز علي فأرثيه • واني ما تركت الرثاء الا لفي نعمة أحمد الله عليها • (٢) كابل او كابول هي عاصمة امارة أفغانستان

ولو روى الفلك الدوار حكمته لأمست الشهب فيه كلها سور
والدهر يومان يوم كله قدر لاصفو فيه ويوم بعضه كدر
وما تبسم للايام مختبل الا تفجع بالايام مختبر (١)
سلوا المآثر عنه فهي خالدة في كل قلب له من حبه أثر
واستخبروا الشرق مالشمس كاسفة فما جهينة الا عندها الخبر (٢)
ياشامخا دكه ريب المنون أما اهـــتز الحطيم وركن البيت والحجر
هذى المدافع والاسياف ناطقة في الغرب والهند بالافغان تفتخر
طارت بنعيك في الاسلام بارقة فانهل دمع بنى الاسلام ينهمر
خطب قلوب الورى من حر جاحمه كأن نار الوغى فيهن تستعر
فما لأنباء هذا السلك خائنة حتى المدامع خانت سلكها الدرر

وقال

يرثي الاستاذ الحكيم . والفيلسوف العظيم . المرحوم السيد عبد الرحمن افندي الكواكبي

أحقا رأيت الموت دامي المخالب وفي كل نادعصبة حول نادب
وتحت ضلوع القوم جمراً مؤججا تسعر ما بين الحشا والترائب
وفي كل جفن عبرة حين أرسلت رأوا كيف تهمى مثقلات السحائب

(١) المختبل بالفتح الذي مسه الجنون

(٢) جهينة قبيلة من قضاعه خرج منها الاخنس بن كعب مع الحصين بن سبيع فصادفا في طريقهما رجلا يأكل فدعاهما الى طعامه فنزلا اليه ثم قام الاخنس لبعض شأنه وعاد فاذا صاحبه قد فتك بمضيفهما وأحس منه بمثل ذلك فما زال به حتى قتله ورجع أدراجه فالفى امرأة الحصين تنشده فمر وهو يقول من ابيات

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين

فارسلها مثلا يضرب لمن عنده حقيقة الخبر

أبى الموت الاوثبة تصدع الدجى … وكم ليلة قد باتهـا غير واثب
فما انفلق الاصباح حتى رأيتـه … وقد نشبت أظفاره بالكواكب(ى) (١)
وكم في حشا الايام من مدلهمة … قد ازدحمت فيها بنات المصائب
هوى القمر الوهاج فأخبطمي السرى … اذا لاح ضوء النجم بين الغياهب
ووطن على خوض المنيات أنفسا … ساوقها الآجال سوق النجائب
فهن العوارى استرجع الموت بعضها … وقصر البواقى ماجرى للذواهب (٢)
أبعد حكيم الشرق تذخر عبرة … وما هو من بعد الرحيل بآيب
حثوا فوق خديه التراب وأرسلوا … عليه سحابات الدموع السواكب
ولو رفعوا فوق السماكين قبره … لما بلغوا من حقه بعض واجب
لتبك عليه الصحف في كل معرك … اذا ما انتضى أقلامه كل كاتب
فقد كان إن هز اليراع رأيته … يصول بامضى من فرند القواضب (٣)
ولم يك هياباً اذا حمس الوغى … ورفرفت الاعلام فوق الكتائب
وكانت سجاياه كما شاءها الهدى … وشاءت لاهليها كرام المناقب
ولا بدع ان تعزى الكواكب للعلى … وقد نسبته نفسه للكواكب (٤)
سلوا حامليه هل رأوا حول نعشه … ملائكة من حارب خلف حارب

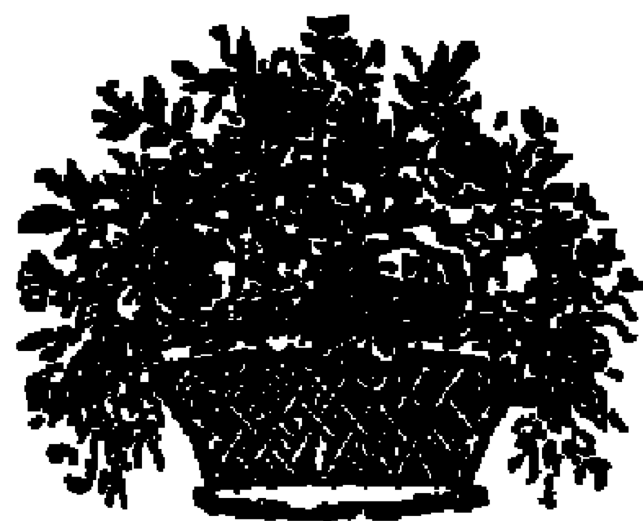
---

(١) التورية هنا لا تخفى الا اذا خفيت (الكواكب) في الليلة الصافية · وقد قضى رحمه الله ليلا

(٢) قصر الشيء وقصاراه غايته (٣) الفرند هنا السيف الذي لا نظير له فالاضافة بيانية

(٤) هذا البيت غاية في حسن التعليل وغاية في المدح لان الياء في (الكواكبي) للنسب ولم يرض ان يقول ان اهله نسبوه اليها فقال ان نفسه نسبته دلالة على ان ذلك بجده · لا عن ابيه وجده ومن يعرف سيرته رحمه الله لا يجد ذلك شيئاً عجيباً

وهل حملوا التقوى الى حفرة الثرى	وساروا بذاك الطود فوق المناكب
وهل أغمدوا في قبره صارما اذا	تجرد راع الشرق أهل المغارب
فكم هزه الاسلام في وجه حادث	فهز صقيل الحد عضب المضارب
أرى حسرات في النفوس تهافتت	لها قطع الاحشاء من كل جانب
وما بعجيب ان ذا الدهر قلب	إذا كان في أهليه كل العجائب



باب التقريظ

قال

لسان العرب . وتاج الادب . والقاموس المحيط . صاحب السعادة محمود سامي باشا البارودي أطال الله بقاءه :

أبني القرائح أبشروا بطريفة ... سمح الزمان بها وكان بخيلا
كلم كسلك الدر لاءم بينها ... طبع أجاد فأحكم التفصيلا
بدوية النسب الصريح فلن ترى ... لفظاً بأثناء الكلام دخيلا
بارت (زهيراً) في المقال وطاولت ... «كعباً» وفاقت في النسيب «جميلا»
بلغت مدى الاطراب حتى انها ... لتكاد تحدث في الجماد مميلا
بهرت برونقها العقول وغادرت ... لهوى العيون الى الفؤاد سبيلا
كالروض باشره الندى فترنمت ... فيه الحمائم بكرة وأصيلا
وترددت فيه الصبا فتنفست ... نفساً تصح به النفوس عليلا
لاعيب فيها غير فضل براعة ... كالسحر يخدع أنفساً وعقولا
ردت علي هوي الشباب وأذكرت ... عهداً كمرآة السماء صقيلا
ومن العجائب ان لي بسماعها ... طرب النزيف وماشربت شمولا
نظم امرئ غاصت قريحته على ... در الكلام فصاغه اكليلا
طلب الفصيح من الكلام فناله ... بعزيمة تدع الحزون سهولا
هو «صادق» فيما علمنا كاسمه ... وكفى بذلك في الوفاء كفيلا
فليبق محسود البيان ممتعاً ... بالفضل حتى يبلغ المأمولا

وقال

نجم الآفاق . وجوهرة العراق . مالك رقاب القوافي . الاستاذ أبو المكارم الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر . وواحد العصر . وقد فرغ حفظه الله من سحر يراعته . لساعته . فجاء بديعة البدائه . ونادرة البدائع :

أنفس مايقتنى ويكتسب ... علم يزين النفوس أو أدب
وأشرف المعليات معرفة ... تدنو بها للعلا وتقترب
وأرفع النيرات منزلة ... وجه بلألاه تكشف الكرب
وليس مثل الآداب واسطة ... يرقب فيها ماليس يرتقب
ولم يكن من فضيلة بدلا ... مال حوته الأكف أو نشب
هل نيل شيء من غير ماسبب ... لكل شيء ترومه سبب
من جد في الامر نال بغيته ... ولا ينال الأماني اللعب
ولم يكن شافعاً لمطلبه ... كعزمه حين يحمد الطلب
وليس للمرء منتمى أبدا ... كالفضل يزكو به وينتسب
من لم يكن فضله له حسبا ... فماله في زمانه حسب
يبلى الجديدان والفضائل ما ... تبلى وتمضي السنون والحقب
وهي على مرهن باقية ... تضفو عليها مطارف قشب
طوبى لمن راح وهي أهبته ... اذا أعدت في المأزق الأهب
كل شجاع ينجو الغداة ومن ... كان جباناً لم ينجه الهرب
وما سواء في كل معترك ... بواسل لاتحيد أو هيب

وما شؤون الرجال واحدة ولا جميع الأنام تنتجب
شتان من زانت ذكره نسب ومن تحلى بذكره نسب
كذاك من يعتلي برتبته ليس كمن تعتلي به الرتب
وخير ما يعظم الخطيب به اذا اشرأبت في المجمع الخطب
وجن ليل الخصوم والتحمت مواقف تلتظي وتلتهب
أو جن دهر وطار في رهج كل شرار ونابت النوب
عزم طرير الغرار مضربه ومذود باتر الشبا ذرب
سمو بحديهما لكل سما تقصر عنها القني والقضب
والنطق يوليك كل مكرمة سافرة ما لوجهها نقب
يحتقب القول ما يطيب وما كل صنوف للقال تحتقب
كم دونوا في الورى وكم كتبوا وليت ما دونوا وما كتبوا
ولم يكن للأريب فاكهة يلذ منها المهذب الأرب
ولم يكن للأديب تسلية ان عاده الهم وهو مكتئب
ولم يكن من علالة لفتى أمست حشاه بالوجد تنتهب
ولبس من دوحة لذى أدب يجذب من غرسها فتنجذب
كالشعر اما صفت موارده ولم تكن بالأجين تؤتشب
وأحسن الشعر ما يروق وما هزك اما تلوته الطرب
ضروبه جمة فيوم ترى ضرباً حلا منه فهو لا الضرب
ومدعوه كثر فمن خصب وآخر ربع فكره جدب
فواحد تجتني أزاهره وواحد في ثراه يحتطب
هذا بحق كان الشهير وذا منتحل شهرة ومغتصب

ان قيل في حلبة القريض بمن تحرز عند التسابق القصب
أو قيل من في النظام لهجته تفتض عن نشر صدقها العيب
« مصطفى صادق » أبر فتى حدث عن فضله ولا كذب
« الرافعي » الذي به ارتفعت أرهاط هذا القريض والشعب
شب فشبت من فطنة معه نفس لدى النظم شأنها عجب
من يفع ناشئ أتتك بما تعجز عنه الكهول والشيب
ان قال لم يبق ما يريب وما كل مقال تجلى به الريب
أو وصف القوم في مساكنهم وجدتهم حضرا وهم غيب
أنضر لديوانه الذي نشرت آياته فانطوت به الكتب
أرى شموساً تبدو أشعتها ولم تكن كالشموس تحتجب
من كل معنى كالراح من لطف تقطب في دنها فتقتطب
أجزاؤها قد تناسقت فغدا يأتلف الماء فيه واللهب
في كل لفظ كثغر غانية مفلج الريق زانه شنب
أو مثل كأس ابريقها غرد مقهقه حيث يرقص الحبب
فكل بيت كأنه فلك تدور فيه الكواكب الشهب
أو غصن فوقه شدا طرباً نشوان من خمرة الصبا طرب
أو مألف طيب الشذا خضل تبرز فيه المهى وتنسرب
أو منزل يألف الغريب له ولم يكن عن حماه يغترب
أو ساحة تفرج الهموم بها حيث تضيق الساحات والرحب
تلك معاني القداح أم مقل وذي قداح الالفاظ أم هدب
فهي كما تشتهي القلوب لنا سواحر انما بدت ذهب

أم كل روح من الحياة مشت | في كل جسم ما مسه وصب
مثل حواشي الغدران تبسم عن | ثغر زها النور فيه والعشب
أو كضروع السما تدر على | رضائع الزهر حين تحتلب
شعرك « يامصطفى » اصافية | بحوره كل وردها عذب
ان تنتخب من سواك قافية | فذى قوافيك كلها نخب

وقال

فخر الدولتين السيف واليراع والمنفرد بين الشعراء بالابداع وسلامة الاختراع طائر مصر المحكي وشاعرها حضرة صديقنا الحميم محمد حافظ افندي ابراهيم

قد قرأنا نظيمكم فرأينا | حكمة كهلة وشعراً فتيا
وتلونا نثيركم فشهدنا | كاتباً بارع اليراع سريا
خاطر يسبق العيون الى القلـــب ويطوى منازل البرق طيا
ومعان كأنها الروح في الصيـــف تهز النفوس هز الحميا
من بنات البحار يصبو اليها | تاج كسرى وتشتهيها الثريا
إيه « يارافعي » احسنت حتى | لا أرى محسناً بجنبك شيا
أنت والله كاتب حضري | ان عددناك شاعراً بدويا

وقال

حضرة صديقنا الشاعر المتفنن . والاديب الشهير . الاستاذ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي :

ياناظما سحر البيان الذي | يعيي به الشاعر والساحر
احييت مجد الشعر في امة | بات عفاء مجدها الغابر

ينطق فيها شعرها مثلما ... ينطق فيها الطلل الداثر
فكان كالذابل من روضة ... وانت منه الصيب الماطر
تنظم ما يعجز عن نظمه ... في النيرات الفلك الدائر
وتودع الحكمة فيه كما ... ضم سواد الناظر الناظر
والشعر كل الشعر في حكمة ... يوحي بها للانفس الخاطر
والشعر ان لم يك من «صادق» ... فيه فلا شعر ولا شاعر

وقال

حضرة نجل عمنا الشاعر المجيد . والاديب اللوذعي . محمد افندي محمود الرافعي :

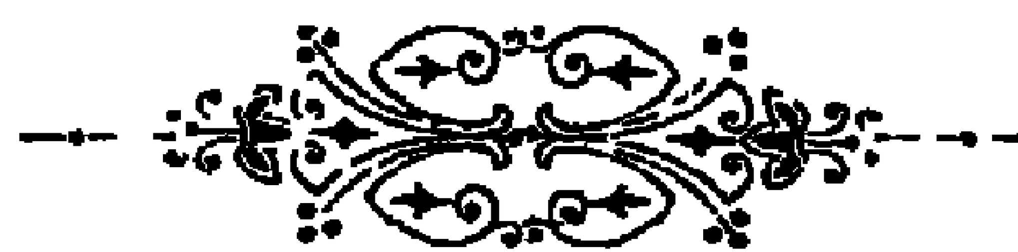
سرى فأرق عين الهائم الوصب ... طيف تعمد من ترداده نصبي
وبت والقلب أسوان تساوره ... ذكرى الغرام وذكرى الخرد العرب
اذا ذكرت الصبا هام الفؤاد جوى ... وأسبلت مقلتي كالواكف السرب
يانفس لاتخذي ذكر الهوى شغلا ... فآفة النفس بين اللهو واللعب
ذري الغرام وسامي المجد واستبقي ... الى القريض تنالي غاية الارب
فبالقريض ترجى كل مكرمة ... وبالمآثر لا بالبيض والياب
أرى من الشعر ديوانا قد اتسقت ... فيه المعاني اتساق اللؤلؤ الرطب
حوى من المعجزات الغر ما قصرت ... عنه الافاضل من عجم ومن عرب
شعر اذا تليت آياته ابتسمت ... له العقول ابتسام النور للسحب
كأن الفاظه من دقة لطفت ... أو رقة عذبت صيغت من الذهب
فياحماة القوافي لا حمي لكم ... الا بمذود ذاك الماجد العربي
هيهات أن يبلغ الاقوام مبلغه ... أو يدركوا شأوه في حلبة الادب

ويا سمير العلا لازلت في جذل · والكاشحون مدى الايام في تعب
لو قارنوا بك اقواماً عهدتهم · تبينوا الفرق بين الترب والشهب

وقال

حضرة صديقنا الشاعر المطبوع والاديب البارع الشيخ حسين المهدي وقد جاءنا تقريظه متأخراً :

رأيناه رأيناه · بلؤلئه ولألاه
قريض لم يحل جسـ · ـم الا وحلاه
جمعت به من الآيات · ما اوحى به الله
فلو شعراؤنا سمعوه · قبل اليوم ما فاهوا
وما اجزل مبناه · وما افحل معناه
أساليب « ابي الطيب » · « والرافعي » اشباه
ولكن ذاك كذاب · فخاب لذاك مسعاه
وهذا «صادق» والصـ · ـدق أصل في مسماه
بمن كنا عرفنا السحـ · ـر في الاشعار لولاه
عريق في الخلال الغر · تنميه سجاياه
فكل الناس من اخـ · ـلاقه الحسنا أحباه
تنبأ بالقريض ولو · دعانا لاجبناه
فذا الديوان معجزة · تؤيد صدق دعواه



﴿ اعتذار وتنبيه ﴾

نعتذر لحضرات الشعراء الذين تفضلوا بالتقاريظ ولم نتمكن من نشرها ونذكر لحضرات القراء أن موعدهم بالجزء الثاني من هذا الديوان قريب بعونه تعالى وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب



﴿ بيان الخطأ والصواب ﴾

وقعت في الكتاب اغلاط مطبعية أثبتناها هنا ليصححها حضرات القراء

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٧	٧	زهريات	زهديات
٧	١١	الجهم	ابن الجهم
٢٤	١٠	الافهام	والافهام
٢٥	١٣	فوق	فوفق
٤١	١	يجنى	بجنى
١٠٦	٤	طال . الي	طالت . اليلتي
١١٠	١٤	تبقي	تبغي
١١٠	١٨	(نزلنا روحة الخ	(نزلنا دوحه فحنا علينا حنو الخ)
١١١	٨	ضنيت	حنيت
١١١	٢٠	حمي	هي
١١٢	٩	فيه	في
١١٣	٣	فوقه	فوق
١١٣	١٨	الغيث	العتب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٤	٥	نواديه	نواديه
١١٤	٦	فبتنا	فبتن
١١٤	١١	تصفي	تصغي
١١٤	١٣	تمت . تجني	نمت تجني
١١٤	١٨	تغني أسينا	تغني تأسينا
١١٥	١	سجايا	تحايا
١١٦	١	(الترام)	(الترام)
١١٨	١٦	رؤاسيها	رواسيها
١١٩	١٥	قال	مال
١٢٢	٩	تحيثنا	تحيئنا
١٢٣	٧	صديق	صديقاً
١٢٤	٩	لغير فاي	ليس فاي
١٢٦	٩	تصدق	تصدف
١٣٠	٦	خانه	خان
١٣٠	١١	وجعون	وجئون
١٣٣	٣	سامغ	سائغ
	١٩	فار قدي	فر قدي
	٥	مرآته للصدر	مرآتها للصور
١٤١	١٣	ذاك الموت	ذاك والمجد
١٤٢	٣	قادر	كدر
١٤٤	١٥	حارب خامس حارب	حادب خامس حادب
١٤٦	٥	لأم	لاءم
١٠٦	١٧	في الوفا	بالوفاء



ديوان

الرافعي

نظمه

مصطفى صادق الرافعي

وشرحه محمد كامل الرافعي

الجزء الثاني ١٣٢١ هـ

طبع بمطبعة الجامعة بالاسكندرية سنة ١٣٢٢

ديوان

الرافعي

نظمه

مصطفى صادق الرافعي

وشرحه محمد كامل الرافعي

﴿ الجزء الثاني ١٣٢١ هـ ﴾

طبع بمطبعة الجامعة بالاسكندرية سنة ١٣٢٢

مقدمة الكتاب

﴿ في ﴾

سرقة الشعر وتوارد الخواطر

الشعر معنى لما تشعر به النفس فهو من خواطر القلب اذا افاض عليه الحس من نوره انعكس على الخيال فانطبعت فيه معاني الاشياء كما تنطبع الصور في المرآة . وهو من بعدُ كالأحلام يحلق في المخيلة مما يصل الى الاعين ويتأدى الى الآذان ما لا يكون قد وصل ولا تأدى

وكما يأخذ النظر في مطرحه ما بين الارض والسماء يتناول القلب في مسرحه ما فوق سجف الغيم وتحت اطباق الثرى . وانما الخيال الساحر بين هذين انسان بين مَلكيه . وجسد بين يديه ، ومن سحره ان يضع اذنه على العين فتسمع ، وعينه على الاذن فترى . ولن تجد من شيء الا وعليه سِمَته ، وفيه صنعته ، فانت تبصر الناس احياء يضطربون في حوائجهم وهو يحشرهم اليك في يوم الحساب ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب ، وبحسبك ان هذه الاكوان انما هي الحقائق ولكل حقيقة خيال

وهو مملكة الشعراء فما من ذي خيال منهم الا وقد خالطت قلبه لذة الملك في ساعة ربما كانت له في اليوم او الشهر او العام او العمر هي عنده الدنيا وهو ملكها . فاذا رنَّ فيها صوته تحرك الفلك فاسمعه من كل ارض فوجاً ، وارقص به في كل بحر موجاً ، وما تزال الايام تمخض من تلك الانفاس في صدرها حتى تبتني له ديواناً يعرفه به الناس ولو لا انه كان ملكاً في تلك الساعات التي نظم فيها ما سمي شعره ديواناً

والشعر اسباب يكون عنها فاذا هي اجتمعت في واحد فذلك . ولكنك قل ان تجد من يسمى شاعرًا بحق كما قل ان ترى من لا يريد ان يكون شاعرًا بالباطل . فمتى كان المرء على رقة في الحس وطبع في النفس وصفاء في الذهن وانتباه في الخاطر وبعد في النظر وشدة في العارضة وقوة في البديهة ومثراة في الرواية وحنكة في التجارب وحكمة تحيط بذلك كله فقد اجتمع له من اداة الشعر ما يكون به شاعرًا . ولا تحسبن هذا النوع من الكلام مضغة يلوكها الشيخ الهم والصبي الأدرد وليس في ماضغيْ احدهما ضرس يقطع بل لا بد لما من شكس الانياب حديد المخالب يطحنها طحنًا

ولقد كان عمرو بن العلاء والزمان زمان لا يعد الشعر الا للمتقدمين فحدث الاصمعي قال : جلست اليه عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامي وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فمن عندهم ... ليس النمط واحدًا ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع . ذلك والشعراء يومئذ متوافرون . على انه رحمه الله لو سمع اكثر شعر اليوم لزاد وقطعة نعل ... فقد اصبح الزمن وما تطلع شمسه الا على جديد والقوم لا يزالون على ما كانوا يتمرغون في تراب الاولين فاذا عاقت يد احدهم بحلية دسها في شعره وجعلها آية نحره . وان لم يصادف شيئًا من ذلك فأية ما شئت ان تنفضها من كلمة لا تنتفض في يديك الا ترابا

وانما مثل شعر اليوم والشاعر مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يحسن السباحة في لجه فاذا انقلب عنها لا يرجع اليها حتى تكون لجسمه تابوتًا ولذلك تراهم يحصرون القول في وجوه ويجمعونه في نوع منه الا ما كان لبعضهم من الندرة الواحدة والفلتة المفردة ... ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ولا كانت البلاغة شيئًا يباع ويشترى ولكنه الضلال في النشأة والقصور في اسباب الصنعة والجهل بالمقاصد وضعف اللغة الى حد النزع بحيث لم يبقَ الا نفسها الذي ينطلق بروحها . غير ما كان في الصدر المتقدم ممن جعل الشعر وكده وقصر عليه كدّه وليس ذلك وحده وانما نفاق السوق كما عرفت جلاب

ولهذا اصبح القوم في ايدي جهابذة الكلام ونقاد الشعر احق بقول ابن برد

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته ... فانه عربيٌّ من قوارير

مع انه فتح عليهم اليوم باب جديد من الأخذ فتراهم اذا ضعفوا ترجموا واذا ضاقت بهم

مذاهب العربية استحماء. وما انكر ان منهم من ينطبع على ما يأخذ به نفسه ولكنهم يخرجون بالشعر عن معناه وآية ذلك ان لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر بل تجد عليه من فساد التكلف ومغالبة الطبع وأثر الاستكراه وفيه من المعاني المدخولة ما لا تشك معه انه من مضاغة قائله الاول

وانما تنفخ النفس تلك الروح في الكلام اذا استوت فيه الصنعة فيتمثل بها سويّاً

وعندي ان شرط الشاعر الذي ترتفع عنه مظنّة السرق هو ان تكون له قوة الشعر ودليلها الابداع والمضي في كل معنىً والانتباه الى أدق المناسبات فان الكلام كالشجرة منها الجذع ومنها الغصون والاوراق وما فيها من دقيق الخيوط بعضها فوق بعض في الظهور وانما براعة الشاعر في الالتفات الى تلك الدقائق فان من الكلام ما يتفطر للمعاني كما يتفطر الشجر للتوريق ومن اجل ذلك يسمون اجمل البيان وحياً

والشعراء كالمصابيح ما على احدها ان يتألق بنور غيره ما دام في كل مصباح زيتة غير ان اكثر مصابيح اليوم كهربائية يستوي الجمع منها في الاستمداد من مصدر واحد . . . وقد كثرت آلات البخار وكثرت بها المعجزات حتى ان من خواطر هؤلاء الشعراء ما لا يتحرك الا (بنفَس)

ومرجع التفاوت بين اصناف القائلين انما يكون من مثل المنشاء يطبع في الانفس شيأً مختلفات تغلب على بعضها دون بعض ومن مثل ما يكون في عصر دون عصر وما يقع لشاعر دون سواه وما يتفق للواحد ولا يتفق للآخر الى غير ذلك مما شرط جميعه وفور القوة في الشاعر فلا يستغرب من رجل كعنترة وهو ذلك الذي يتمثل الموت في هول صورته قوله

اني لاعجب كيف ينظر صورتي ... يوم القتال مبارز ويعيش

ولا من مثل عاشق كذلك الذي نذروا دمه من اجل حبه بثينة قوله وهو امير شعره

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما ... قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

وانما شيمة العاشق هذا البكاء

ولا من خليع كالنواسيّ قوله يصف كؤوساً رأى فيها تصاوير وهو الذي جنّ به الجاحظ

فللراح ما زرّت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

وكذلك لا ينكر على مثل ابي فراس قوله في الفخر

ونحن اناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبر

وهو ذلك الذي كان يزاحم في طلب الصدر ويعلم ان وراء الزلة في سبيله حفرة القبر ولا على من ترعرع في حجر الخلافة ونشاء في الترف كابن المعتز قوله في الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة قد اثقلته حمولة من عنبر

وقد قيل ان هذا البيت انشد لابن الرومي في ضمن ابيات وسئل لِمَ لا تاتي بمثل هذه التشبيهات وانت اشعر منه فبكى وقال هذ ابن الخلفاء وهو انما يصف ماعون بيته وما حيلتي وانا رجل انكسب بالشعر واتبلغ بخبز الشعير

وما بالصعب على مثل المعرّي وهو الزاهد في الحياة الذي كانت ايامه كانها العقارب تتعاقب جسمه . ان يجيء بمثل قوله

تعبٌ كلها الحياة فما اعجب الا من راغبٍ في ازدياد

وقس على ذلك كل من قال من الشعراء في جنس ما هو بسبيله فان هاجسه لا ينكر عليه وان توارد مع غيره فيه

على ان للتوارد اسباباً غير ما تقدم منها ما يكون وحي العين اذا نزع الشاعر منزعاً في صنعته كقول عمارة اليمني في مصلوب

ورأت يداه عظيم ما جنتا ففَرَرْنَ ذي شرقا وذي غربا

وامال نحو الصدر منه فماً ليلوم في افعاله القلبا

فان من ينزع الى التعليل اذا شهد ذلك المشهد لا يجيء بغير هذا المعنى . ومنها ما يكون حادثة تتفق اوحالة تنزل بالمرء كقول جليلة اخت جساس في الاستقادة من اخيها حين قتل زوجها

لو بعينٍ فقئت عينٌ سوى اختها فانفقأت لم احفل

وكقول ابن حسان فيما كتب به الى النعمان يستنجده وكان له ظهيرا

انما الرمح فاعلمنّ قناة اوكبعض العيدان لولا السنان

ومنها الاسلوب فان من الشعراء من يبني القافية بالبيت ومنهم من يبني البيت بالقافية . والتوارد كثير بين هذه الطائفة كقول النابغة وكان الاصمعي يتعجب من جودته

وعيرتني بنوا ذبيان خشيته   وهل علي بان اخشاك من عارِ

فلما مرت هذه القافية بأبي تمام وكان في معناها قال وابدع كما ترى

خضعوا لصولتك التي هي عندهم   كالموت يأتي ليس فيه عارُ

ومنها دلالة الكلام بعضه على بعض اذا وفّاه القائل قسطه من الصنعة وقد سمع ابن عباس رضي الله عنهما قول ابن ابي ربيعة

تشطّ غدًا دار جيراننا

فقال : وللدار بعد غد ابعدُ

وكذلك قال عمر ومايبنغي ان يكون الاّ هكذا . ومثله يروى عن الفرزدق حين سمع قول عديّ

تزجى اغنّ كأن ابرة روقه

فاكمله بقوله   قلم أصاب من الدواة مدادها

وكان يعرف قافيتها وكذلك كان البيت

ومنها اختلاس المثل من جملة بعينها واشتراك المعاني كأن تكون مستفيضة في المناقلات او واقعة لو شاء كل امرىء لوجد اليها مساغًا وكذلك التمهيد بلفظة تؤدى الى معنى لا يكون منها غيره اذا عرضت للحاذق بصناعة الكلام وغير ذلك مما مرجعه في الغالب الى ما تقدم ومثله لا يكون سرقة يعاب بها قائله ما دام على شريطة الشاعر فان التفاضل انما يكون في ابتكار الاشياء على طريقة الشعر لا على طريقة النظم . وقد قال امير المؤمنين لولا ان الكلام يعاد لنفد . وسئل ابن العلاء أرأيت الشاعرين يتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلقَ واحد منهما صاحبه ولا سمع شعره قال تلك عقول رجال توافت على السنتها . وقيل لابي الطيب مثل ذلك فقال الشعر محجة فربما وقع الحافر على موضع الحافر

اما السرقة فقد اجتمع اهل البصر بالشعر على ان أبا عذرة الكلام من سبك لفظه على معناه وهم يريدون بذلك ان يكون ما بين قلبه ولسانه انفاسًا تتردد شعرًا . وقالوا انه ليس لاحد من اصناف القائلين غنىً عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم ولكن عليهم ان يبرزوا ما اخذوه في معارض من تأليفهم ويؤدوه في غير حليته الاولى ويزيدوا في حسن تأليفه وجودة تركيبه وكمال حليته ومعرضه فاذا فعلوا ذلك فهم اولى بها ممن سبق اليها . وهو كلام لا يُمترى فيه ولكن شرطه ما ذكرناه لك من قبل

واعتبره بمثل قول سعيد بن حميد

يا ليل لو تلقى الذي ... ألقىَ بها أو أَجدُ
قصر من طولك او ... أضعف منك الجلد

فقد اخذه المتنبي وهذبه في قوله

أَلم يرَ هذا الليل عينيك رؤيتي ... فتظهر فيه رقة ونُحولُ

واكثر ما يبدع ابو الطيب في مثل ذلك من الزيادة والتهذيب والتمهيد لمعنىً يأخذه بما يدخل منه اليه كقوله

كريم نفضت الناس لما بلغته ... كأَنهم ما جفَّ من زاد قادم
وكاد سروري لا يفي بندامتي ... على تركه في عمري المتقادم

فانه من قول الوابلي

وتركته يبكي بقية عمره ... اسفاً لماضي عمره المتقدم

واعجب شيء في امر السرقة انه قد وجد من قبل من كان يقول لصاحب الكلمة الرائعة « اياك واياها لا تعودنَّ فيها فاني احق بها منك » وما كان يروى لغير ابي النواس معنىً بديع يسمعه في الخمر وهو حيّ وانما هي شهادته على نفسه . ولم يزل الناس من قديم ينظرون في وجوه المعاني من بنات غيرهم فيجد الآخر مما تركه الاول ما لو علم انه تركه لاوصى بدفنه معه ... حتى قال بعض العلماء ان ابن الرومي كان ضنيناً بالمعاني حريصاً عليها يأخذ المعنى او يولده فلا يزال يقلبه بطناً لظهر ويصرفه في كل وجه والى كل ناحية حتى يميته ويعلم ان لا مطمع فيه . ثم تجد من بعده قد اخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ووجد له وجهة حسنة لا يشك البصير بالصناعة ان ابن الرومي مع شرهه لم يتركها عن قدرة

ومن المعاني ما ينبه بعضه على بعض مما يكون وراء لفظة او تحت نادرة حتى لقد تجد في بنيات الطريق ما تستخرج منه المعنى الفحل والخاطر الرائع والشاعر من ذلك فضل لا يغمط فيه حقه . وكثيراً ما كان الطائي ينحو هذا القصد كما قال عنه ابن الرومي « انه يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لأتى بها (١)

---

(١) وجدوا هذه الكلمة في تسطيرات ابن الرومي في بعض اعتداره عن ابي تمام وقد قال بعضهم ان المراد معنى الصنعة البديعية لا معنى الكلام

ومن تلك المذاهب طريقة كان يذهب اليها حكماء الشعر كابي العتاهية وابن عبد القدوس والمتنبي والمعري وافراد هذه الطبقة وهي ايداع الدر في الصدف او خلقه فيه فكان الواحد منهم يقع على قول الحكيم فيقتطفه ومنهم من يحوزه بما يستفرغ فيه من جهده كقول المتنبي

انّا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

قالوا اخذه من قول الحكيم « من لم يقدر على فعل الفضائل فلتكن فضائله ترك الرذائل »

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

من قول الآخر . « اذا كانت الشهوة فوق القدرة كان هلاك الجسم قبل بلوغ الشهوة» وكذلك قوله

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تكون جبانا

ذكروا انه لبعض الحكماء في قوله « خوف وقوع المكروه قبل تناهي المدة جور في الطبيعة وذلة » وما اراه الا من قول جرير

قل للجبان اذا تاخر سرجه هل انت من شرك المنية ناجي

غير ان ابا الطيب رحمه الله كان يدبّ الى عرائس المعاني في غير ظلام ، ويستيقظ لها والقوم غير نيام ، ولذلك وجدها معه كما في قوله « قلق المليحة وهي مسك هتكها » وكان يأخذه من هيبة الكلام احياناً ما يسيء معه الاتباع او يبالغ به الى افساد المعنى . وكذلك كان البحتري في بعض سرقه من ابي تمام وكثير غيرهما ممن اذهلته المعارضة فلم يتنبع على نفسه

وجملة ما انتهى اليه الباحثون ووقف عليه الحافظون مما هو في معنى السرقة انواع منها الاصطراف وهو ان يعجب الشاعر ببيت لغيره فيصرفه الى نفسه ويسمى اجتلاباً واستلحاقاً اذا صرفه على جهة المثل كقول النابغة

وصهباء لاتخفى القذى فهو دونها تصفق في راووقها حين تقطب

تمززتها والديك يدعو صباحه اذا ما بنوا نعش دنوا فتصوّبوا

فقد استلحق الفرزدق البيت الاخير في قوله

واجانة ريّا السرور كأنها اذا غمست فيها الزجاجة كوكب

تمززتها البيت ..

فان ادّعى القائل شعر غيره جملة فهو انتحال (١) فان كان الشعر لشاعر حيّ غلب عليه فتلك الاغارة والغصب فان اخذه « هبة » فتلك المرادفة والاسترفاد . وقد استرفد نابغة بني ذبيان زهيرًا فامر ابنه كعبًا فرفده . فان كانت السرقة فيما دون البيت فهو اهتدام كقول النجاشي

وكنت كذي رجلين رجلٌ صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثان

فاخذ كثير القسم الاول واهتدم باقي البيت فقال

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

فان تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الاخذ فذلك هو النظر والملاحظة وكذلك ان تضادّا ودل احدهما على الآخر . فان حوّل المعنى الى غيره فذلك الاختلاس . فان اخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة . فان جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك العكس . قالوا وان « صح » ان الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا في عصر واحد فتلك (المواردة)(٢) فان الف البيت من ابيات قد ركب بعضها على بعض فذلك الالتقاط والتلفيق . وامثال هذا النوع كثيرة اليوم بين ايدينا لا ينفك يلعن بعضها بعضًا وقد ضربوا له المثل فيما سبق بقول يزيد بن الطثرية

اذا ما رآني مقبلا غضّ طرفه كأن شعاع الشمس دوني يقابله

فأوله من قول جميل

اذا ما رأوني طالعًا من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير

---

(١) ذكروا انه لا يقال منتحل الا لمن ادّعى شعرًا لغيره وهو يقول الشعر فاما ان كان لا يقوله فهو مدّعٍ

(٢) حصروها كما ترى بوجود الشاعرين في عصر واحد لما كان من شأنهم في الحفظ والرواية وهو مشهور بحيث لم يكن يخفى عليهم شيء من شعر الفحول فاذا وجدوا معنى لمتأخر يشبه معنى لمتقدم حكموا بانه السرقة . وذلك لا ينطبق على كل الاحوال كما قدمناه في التوارد

فغضّ الطرف انك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة بن الاخرس

اذا ابصرتني اعرضت عني كأن الشمس من قِبَلي تدور

ومن تلك الانواع ضرب يسمونه كشف المعنى كقول امرئ القيس

نمشُّ باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهبِ

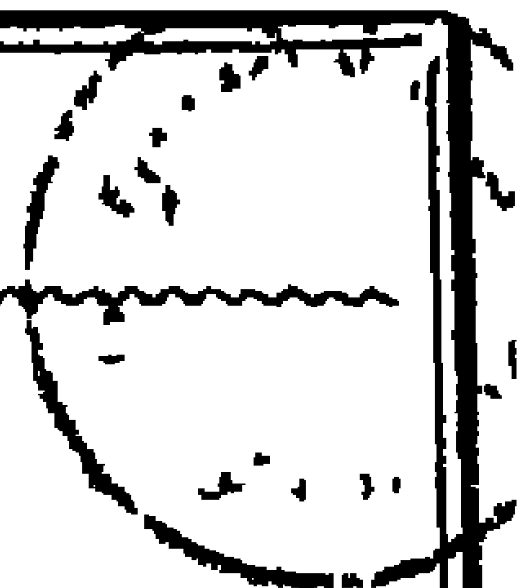
كشفه عبدة بن الطيب وابرزه في قوله

ثُمتَ قمنا الى جُرد مسوَّمة أعرافهن لايدينا مناديلُ

وذكروا ان من السرقة ما يكون مجدودًا في الشعر كقول عنترة « وكما علمت شمائلي وتكرمي» رزق جدًا واشتهارًا على قول امرىء القيس

وشمائلي ما قد علمت وما نبحت كلابك طارقاً مثلي

والتنقيب على مثل ذلك في الكثير من شعر اليوم كحرارة الشمس في الوحل لا تنضجه آجرًا يُبنى به حتى تكون قد بردت الشمس واستحالت فحمة سوداء وطويت الارض بمن عليها . فلو نطقت المدافع بسرقات هؤلاء الشعراء ما سمع احد ومن ُفتق مسمعه فهيهات ان يعي وان وعى فمبلغ ما يكون منه ان لا يزيد على الاسف : ولو ان الحسرة تورث شيئًا لانقلب الجو نارًا ولكننا ننصف القوم من انفسهم وهذا كتابنا ينطق عليهم بالحق وهم لا يظلمون



كلمة للشارح

بسم الله الرحمن الرحيم

ولله الحمد وصلاته وسلامه على نبيه المصطفى الناطق بالحكمة وعلى آله وصحبه (اما بعد) فهذا هو الجزء الثاني من (ديوان الرافعي) وان كان الاول هو القمر فان هذا هو الشمس وكم في الفضاء بعدهما من شمس ومن قمر

طلع ذلك الجزء على الناس بخاتمة وله تلك المقدمة التي لم يَتمَارِ احد في انها فصل الخطاب في الشعر والشعراء فانتبه ادباء العربيَّة لامر سيكون وانتظروا من شاعرنا روحاً عالية تنطق المتقدمين بلسان قلمه ، وتُحيي انفاسهم في روائع كلمه ، ولكن اكثرهم مع ذلك ممن لا يعرف الشاعر انكر على ابن ثلاث وعشرين تلك الحكمة الكهلة وذلك الديوان النفيس ينظمه في سنتين هما اول قوله بعد سنة قبلهما حتى خاطبه بعض امراء القلم في هذا الامر فقال له (شاعر الحسن) اذا اكبر الناس نظم جزء في سنتين فساءَتْ لهم القمر . وشاء الله ذلك فنظم هذا الجزء فيما دون السنة وهو يكفينا ان نشهد له بما يشهد لنفسه

وقد زعم قوم اننا اطربنا الشاعر فيما كتبناه مقدمة للشرح وشرحاً للجزء الاول واخذوا علينا من ذلك هفوة بزعمهم ولكننا نردهم الى ما كتبه احكم العلماء واعلم الحكماء في هذا الزمن وهو فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حفظه الله فقد جاء في خاتمة كتاب بعث به اليه بعد صدور ذلك الجزء هذه الكلمة « اسأل الله ان يجعل للحق من لسانك سيفاً يمحق به الباطل ، وان يقيمك في الاواخر مقام حسان في الاوائل ، » وهل

كان يطاول مقام حسان في الاوائل مقام وهو هو المؤيد بروح القدس ؟ على انا لو شئنا ان نحيلهم على شيء لاحلناهم على اقوال اشعر شعراء الوقت وافاضله من كل كاتب وحكيم والكل مجمعون على ان (الرافعي) ان لم يكن (شاعر الشرق) اليوم فهو شاعره غداً وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها

وانما مثل اولئك الذين (يقال) انهم ادباء في جمودهم على ما لهم من رأي وفيما ينفسون على (الرافعي) مثل رجل قال الجاحظ انه كان بالبصرة وكانت له جارية تسمى ظمياء فكان اذا دعاها قال يا ضمياء بالضاد فقال له ابن المقفع قل يا ظميا فناداها يا ضمياء فلما غيّر عليه ابن المقفع مرتين او ثلاثا قال هي جاريتي او جاريتك . . . . ونحن بعد ذلك لا نلومهم على شيء

بقي اننا ما زلنا نجد من قصور بعض الناس في النفوذ الى مسالك الشعر الحق ما الزمنا ان نتولى شرح هذا الجزء ايضاً . ومن اللطائف ان كاتباً شهيراً قال لشاعرنا مرة ان خمسة وتسعين من كل مائة قارىء لا يفضُون الى هذه الحقائق فاجابه الشاعر بهذه الكلمة الحكيمة : اوليس خيراً للناس ان يرتقوا الي من ان انزل اليهم ؟

وقد ألح عليه كثير من اخوانه ان يضع في هذا الجزء رسمه وكلمة في ترجمته فكان يقول لهم (ان في كل عين انساناً) يريد ان الناس ما زالوا مع الاهواء فكل ينتصر لواحد ولا يبصرون الحق كما قال الاول ولكن ملء عين حبيبها

فعسى ان يعرف القوم ان بعض الفلاسفة كان يخالف صديقاً له فيلسوفاً في كثير من رأيه فقيل له كيف تخالفه وهو صديقك فقال (الحق اولى بالصداقة منه)

محمد كامل الرافعي



الباب الاول

« في »

التهذيب والحكمة

اللغة العربية والشرق

أمٌّ يكيد لها من نسلها العقبُ ... ولا نقيصة الا ما جنى النسبُ (١)
كانت لهم سبباً في كل مكرمة ... وهم لنكبتها من دهرها سببُ
لاعيب في العرب العرباء ان نطقوا ... بين الاعاجم الا انهم عربُ
والطير تصدح شتّى كالانام وما ... عند الغراب يزكى البلبل الطربُ (٢)

(فائدة) أول من فسر الشعر تحت كل بيت أبو الخطاب الاخفش وما كان الناس يعرفون ذلك قبله وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها . ثم اخذ المتأخرون عن الفرنجة طريقة جمع التفسير في اسفل الصحائف مبيناً بأرقام العدد وطريقة الاولين أوفى بحاجتهم لما كان في كلامهم من الغريب الذي يسأم الانسان تكرار النظر الى اسفل الصحائف للمراجعة عن كل كلمة منه

(١) العقب الولد وولد الولد . والنقيصة الخصلة الدنيئة وكذلك المرء على ما ينشأ ويشب فهو يكيد لاصله حباً في منشاءه كما ترى في بعض ملوك اليوم

(٢) تختلف الطير في اصواتها والوانها فمنها المليح والقبيح وما يقوى فيها يكون عدواً لما يضعف وكذلك لغة العامة على قبحها تغلبت على الفصحى لقوة الاولى وضعف الثانية فمثل لها الشاعر بالبلبل لايمدح صوته الغراب وان طرب له كل العقلاء . ومن غريب تفاضل الطير في اصواتها ان عصفور الكناري الموجود في (جرمانيا) يغير اربعين نغمة في اغنية واحدة تستمر دقيقتين

اتى عليها طوال الدهر ناصعةً كطلعة الشمس لم تعلق بها الريبُ (٣)
ثم استفاضت دياجٍ في جوانبها كالبدر قد طمست من نوره السحب
ثم استضاءت فقالوا الفجر يعقبه صبح فكان ولكن فجرها كذبُ (٤)
ثم اختفت وعلينا الشمس شاهدة كأنها لعنة في الجو تلتهبُ (٥)
سلوا الكواكب كم جيل تداولها ولم تزل نيّراتٍ هذه الشهبُ
وسائلوا الناس كم في الارض من لغةٍ قديمة جدّدت من زهوها الحقب
ونحن في عجبٍ يلهو الزمان بنا لم نعتبر ولبئس الشيمةَ العجبُ
ان الامور لمن قد بات يطلبها فكيف تبقى اذا طلابها ذهبوا
كان الزمان لنا واللسن جامعة فقد غدونا له والامر ينقلبُ (٦)
وكان من قبلنا يرجوننا خلفاً فاليوم لو نظروا من بعدهم ندبوا

---

(٣) طوال الدهر المدد الطويلة منه ٠ والناصعة شديدة البياض يقال ابيض ناصع واصفر فاقع واحمر قانٍ واخضر مدهام واسود حالك

(٤) الفجر عند العلماء فجران كاذب وصادق فالاول يضيء آخر الليل ثم لا يلبث ان يظلم والثاني يشرق من بعده ثم ياخذ في الاستنارة حتى يكون النهار

(٥) حكى في هذا البيت والابيات الثلاثة قبله تاريخ هذه اللغة من يوم كانت الى عصرنا هذا على طريقة ليس غيرها من الشعر في شيء ٠ فقد مضت عليها ازمان الى ما بعد الاسلام وهي سالمة نقية ثم دب فيها اللحن على عهد علي كرم الله وجهه وفي ايامه وضع النحو على ما هو مشهور ٠ ثم استضاءت بعد ذلك في زمن الامويين وطائفة من العباسيين ثم اخذت في الضعف بعد ذلك حتى اختفت اليوم او كادت ٠ وكيف لا تكون جمرة الشمس لعنة ولا وطن بعد اللغة ولا مجد بعد الوطن ولا فائدة في الحياة بغير مجد

(٦) اللسن جمع لسان وهذا كما قدمنا من انه لا وطن بعد لغة الخ ٠ وانما الزمان على من لا مجد له يعتز به

أَنترك الغرب يلهينا بزخرفه ومشرق الشمس يبكينا و ينتحب(٧)
وعندنا نهَرٌ عذب لشاربه فكيف نتركه في البحر ينسربُ(٨)
وأيما لغةٍ تنسي امرءً لغةً فانها لعنة من فيه تنسكب
لكم بكى القول في ظل القصورعلى ايام كانت خيام البيد والطنبُ
والشمس تلفحه والريح تنفحه والظل يعوزه والماء والعشب
ارى نفوس الورى شتى وقيمتها عندي تأثرها لا العز والرتبُ(٩)
أَلم ترَ الحطب استعلى فصار لظىً لما تاثر من مس اللظى الحطبُ
فهل نضيع ما ابقى الزمان لنا وننفض الكف لا مجدولا حسب
انا اذًا سبة في الشرق فاضحة والشرق منا وان كنا به خرب(١٠)
هيهات ينفعنا هذا الصياح فما يجدي الجبان اذا روَّعته الصخَب

(٧) لا يعنى بالزخرف كل ما يصل الينا من الغرب وانما يعنى باطل الامور والسفاسف التي يسمونها (تمدنًا) وهي التي جلبت الخزي على الشرق واهله وصارت بهم الى ما تراه اليوم

(٨) شبه اللغة بالنهر و يعني بالبحر جانب الغرب وقد وضعوا للنهر الحق في خزانًا يحفظ لنا ما نحن اولى به من البحر الذي كان يصب فيه فهل يضعون لذلك النهر المجازي ما يسد ذلك المسد . حاولوا ذلك ولكن اتفقوا بعد على ان لا يتفقوا . . .

(٩) من القواعد الثابتة ان الاحتكاك يوءثر في الطباع ومن لم يتاثر لما يصيبه فليس بذي نفس حية . وقد جهدت حكومة الانكليز ان تمحو لغة الشعب المالطي لتحل مكانها اللغة الانكليزية فكانت كالذي يطفيء النار بالهواء . . فقد نهض الشعب جملة حتى ان النواب الثلاثة الذي كانوا يداهنون الحكومة استقالوا من وظائفهم لاضطهادها اياهم وفتح باب الانتخاب لاختيار غيرهم فاتفق الشعب على انتخابهم انفسهم فاستقالوا مرة ثانية وفتح الباب فانتخبوا ايضًا في المرة الثالثة ثم استقالوا دفاعًا عن انفسهم وهذه هي الحياة .

(١٠) السبة بالضم العار ومن يكثر الناس سبه وكلاهما منطبق على الشرقيين وتاريخهم غير مجهول

ومن يكن عاجزًا عن دفع نائبة   فقصرُ ذلك ان تلقاه يحتسب(١١)
اذا اللغات ازدهت يومًا فقد ضمنت   للعُرْب اي فخار بينها الكتبُ
وفي المعادن ما تمضي بروبقه   يد الصدا غير ان لا يصدأ الذهب

﴿ وقال ﴾

الفقر والغني

زمانٌ عيشنا فيه اضطرارُ   كما تحت الثرى دُفن النضارُ (١)
نحاذره ومن يخش الرزايا   فاصعب من رزاياهُ الحذارُ(٢)
ويلهو بعضنا كالشاة ترعى   وقد حُدت بجانبها الشفارُ
واطراق الزمان يغر قومًا   وما اطراقه الا افتكار
يظن المرء ان قد فر منه   ولكن كان منه له الفرار

---

(١١) احتسب الرجل ابنه او ابنته اذا مات احدهما كبيرًا اي اعتده اجرًا ينوي به وجه الله فاذا مات احدهما صغيرًا قيل افترطه . ومن آيات العجز بين الشرقيين ان الانكليز لما زحفوا على (تبت ' وهي مقر الدين البوذي اجتمع كهنة بوذا وعقدوا مجلسًا منهم ثم اصدروا « لعنة » ووجهوها الى الحملة الانكليزية وسألوا الاله ان تحل هذه اللعنة عليها ثلاثة ايام فاخلد اهل البلاد الى الراحة وتيقنوا ان (اللعنة) ستنسف المعسكر بمن فيه فلا حاجة لقتال . . .

(١) النضار الذهب وهو يكون دفينا في عرق الثرى مع ان بين الذهب والتراب من الفرق بين الناس ما تنعدم معه النسبة

(٢) حذار الرزية رزية مثلها واصعب . وقد قيل ان عليًا كرم الله وجهه سئل بمَ تظهر على الاقران فقال : ذلك لاني القى الفارس فاقدر اني ساقتله ويقدر هو كذلك فاكون انا ونفسه عليه .

اذا وسعت في قفصٍ لطير فكيف يفر واقفص المطار(٣)

ارى ما تمنح الدنيا هموماً فاهنى العيش امن وافتقار(٤)

وكيف يسر ذو دين تراه يزيد ديونه هذا اليسار(٥)

لعمرك انما الاموال حزن فان العمر ثوب مستعار(٦)

وما مات الغني بغير هم وأية حسرة هذا الخسار(٧)

كأن المال اقلام فنها بسفر العمر حذف واختصار(٨)

(٣) المطار اسم مكان من طار . يريد انه مهما وسع للطير في قفصه ليطير فيه فلا يزال كما كان من قبل حبيساً في القفص وان طار وكذلك المرء في الدنيا وسع عليه او قتر فهو في سجنه الى ان تنطلق روحه .

(٤) قيل ان اسكافاً كان جاراً ليهودي متمول فتسمع عليه اليهودي ذات ليلة فاذا هو يتغنى مائة دينار فطرق عليه بابه ودفعها اليه ولم يكن عند الاسكاف سراج لنقره فبقي ليلته يمر يده على الكيس ويعد ما فيه ويرفعه ويضعه ويتلذذ بسماع وسوسة الدنانير والنوم يدفعه ويجذبه ولكنه خائف على ما في يده حتى طلع الصباح ولم يكن عادته الارق لخلو باله فما اشرق النهار الا وهو في مثل سكرة الموت من الاعياء فذهب الى جاره اليهودي وقال له خذ مالك ورد علي نومي فلا خير في غنى تضيع معه الراحة

(٥) يريد ان غنى المرء كالدين يتعب الفكر ويجلب الهم لانه مستعار الى الموت فكلما زاد يسار المرء زادت في الحقيقة ديونه وهي هموم كلها .

(٦) قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان فلاناً قد جمع مالاً فقال عمر: فهل جمع له اياماً . .

(٧) الفقير اذا دعاه ربه اسرع اليه غير آسف على شيء لانه لم يترك شيئاً والغني يرى انه خسر تعب العمر كله في لحظة . وقد قيل ان بعض الخلفاء راى في ساعة احتضاره قصاراً يغسل الثياب فقال يا ليتني كنت قصاراً فسمعه رجل من الصوفية فقال الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه

(٨) تشبه العمر بالكتاب والاموال بالاقلام فهي تحذف منه وتختصر فيه والغني لا يشعر بلذة الحياة فكأن عمره وان طال قصير غير ما يقاسي من العال والهموم التي يسببها الترف

كأن خزانة الاموال قبرٌ ... ففي نفس الغني بها انكسار
ويا عجباً من الاقدار تجري ... وبعد وقوع ما تجري تدار
رايت الفقر للفقراء حظاً ... وفي اهل الغنى لهم اعتبار
وان نال الفقيرَ الهمُّ يوماً ... فأهون من لظى النار الشرار(٩)
يذل له الزمان فلا يبالي ... بما يأتي المساء ولا النهار
فيا كوخ الفقير غدوت دنيا ... وكل الارض للفقراء دار
على تلك القصور ارى دخاناً ... اخف عليك منه ذا الغبار
وفيك سلامة من كل هم ... وفيها من هموم الدهر نار
عليك الشمس تاجٌ لم ينله ... سواك ومن حلى الظل السوار
وان يكن الزمان له امير ... فمن فيه لذا الدهر احتقار
كأن الدهر البس جلد هر ... وكل مملك في الناس فار(١٠)
وما يغني كبارَ الاسم شيء ... وانفسهم وان كبروا صغار(١١)

(٩) قال عمر (رضه) ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه اربع خصال فقر لا يدرك غناه وهمٌ لا ينقضي مداه وشغل لا ينفد اولاه وامل لا يبلغ منتهاه

(١٠) يشير الى الخوف الذي يحرم الملوك من لذة الحياة وكلهم في ذلك سواء بعد ان ظهرت عصابة الفوضى وما نعيم قصور هي والسجون سواء ؟

(١١) يريد بذلك اهل الفخفخة الباطلة فترى المرء يشرف نفسه بما لو ظهر الناس عليه لكان مسبة له وانما هم كما حكى الوليد البندار قال : حججت معُ الوليد بن يزيد فقلت له لما اراد ان يخطب الناس ايها الامير ان اليوم يوم يشهده الناس من جميع الآفاق واريد ان (تشرفني) بشيء قال وما هو قلت اذا علوت المنبر دعوت بي فيتحدث الناس بذلك وبانك اسررت الي شيئاً فقال افعل فلما جلس على المنبر قال: الوليد البندار فقمت اليه فقال ادن مني فدنوت فاخذ باذني ثم قال « البندار ولد زنا و الوليد ولد زنا وكل من ترى حولنا ولد زنا » افهمت ٠٠٠؟ قلت نعم قال انزل الآن فنزلت ٠

فيا كوخ الفقير اذاً سلاماً   فانت لبهجة الدنيا وقار
وما تلك القصور سوى ذنوب   وانت لها من الدهر اعتذار

﴿ وقال ﴾

في طغيان الاغنياء، والنعي على اهل الكسل من الفقراء

ارى الانسان يطغي حين يغنى   وما ادني الهبوط من الصعودِ
يظن الناسَ من خلقٍ قديمٍ   ويحسبه اتاهم من جديدِ
كما تعمى البهائم حين ترعى   عن الشوك الكثير لاجل عودِ (١)
متى كانت «جيوبك» من نضار   فقد صارت جنوبك من حديدِ
ومن عجب يكون المال تاجاً   وحب المال اشبه بالقيودِ
فيا اسفاً على الفقراء امسوا   كمثل العود جفف للوقودِ (٢)
دموعهم دنانير ولكن   تعامى الناس عن هذي «النقودِ»
اليس من التغابن وهو ظلمٌ   جزاء السعي يكتب للقعودِ
ومن يحصد فان الويل ان لا   يذود الطير عن حب الحصيدِ
ومن يحمل على عنق حساماً   فقد ظمئ الحسام الى الوريدِ
وما زال الورى بعض لبعض   حسوداً يتقي شر الحسودِ

يقول الناس ان المال ماء   به يحيي الجد مع البليدِ

(١) يريد ان في احتمار الفقراء ضرراً على الغني فهم كمثل الشوك وهو كالبهيمة تطلب من بين ذلك الشوك الكثير عودها الذي تمضغه فاذا لم تحذره لا تسلم منه . وهذه بزرة الفوضى التي اصبح لها في كل بلد فرع .

(٢) تجيفهم في الامتهان بالخدم ثم يموتون بعد ذلك مرضاً وهما كالعود يجفف فلا يكون مع مواد حية تدعه حتى يوضع في النار

أكاء المرء ما تراه حوى الكدرين من طين ودود
وان البحر يضطرب اضطراباً من المستقذرات على ركود
كذا خلق الانام فمن شقي يلازمه الشقاء ومن سعيد
ومن يسخط على زحل فلم لا يدر بكفه نجم السعود (٣)
وكم بين النحاس وان جلوه وبين توهج الذهب الشديد
نواميس جرت في الكون قدماً ليتضح الفناء من الخلود

﴿ الحرب والسلام ﴾ (١)

هم الناس حتى يروي الارض مدمعٌ وتالله يروى آكل ليس يشبعُ (٢)
ظماءةُ جوف أجَّ شوقاً الى الورى وبعض الظما قد يلتظي حين ينقعُ
ومسغبةٌ لا يبلغ الحلق دفعها وان بطنَ الاحياء في الارض اجمعُ (٣)
فيا باريء الدنيا حنانيك انما طغى الناس جهلاً بالذي كنت تشرعُ

(٣) زحل في الخرافات القديمة كوكب النحوس كما ان المشتري كوكب السعد وهكذا خلق الناس ليتم نظام الكون فمنهم شقي وسعيد

(١) من الخرافات الموضوعة ولا تخلو من حكمة ما قيل ان السماء ارادت ان تقع على الارض فقالت لها هذه وما ذنبي اليك قالت ان فيَّ نيراناً كثيرة واريد ان ارجم بها هؤلاء (الشياطين) الذين تحملينهم فخافت الارض على نفسها فطلبت من السماء ان تجعل لها زمناً تفني فيه اولئك الشياطين من غير ان تتساقط عليها الشهب فجعلت لها ميعاداً الى يوم القيامة فعهدت الارض بهذا الامر الى الشيطان الاكبر (ابليس) فوضع في كل صدر جمرتين وقال هما سيفي ورمحي افني بهما الخلق وهما (الحرص والطمع)

(٢) قد يحذف حرف النفي بعد القسم بالتاء كما هنا والتقدير وتالله لا يروى

(٣) اجيج النار والتظاؤها توهجها والمسغبة الجوع وبطن في الشيء صار في باطنه وابطنه هو جعله فيه

لكل فؤادٌ غير ان طبيعةً من الشر بين انقاب واقاب تقطعُ
وكلٌّ جرى فيه دمٌ غير انني ارى الحرص طفلاً من دم الناس رضعُ
وبين المنى والنفس للشر موقف فان لم تزعه النفس اقبل يسرعُ
وكل ضعيف الراي منفتل الهوى عن الحزم يُمنى بالهوان فيخضعُ (٤)
وتالله ان الذنب للمرء اهلهُ ففي اي شكل تطبع الطين يُطبعُ (٥)
واعجب ما في الناس ان يتألموا اذا اوجعتهم نكبة ثم يوجعوا
وان يخدع الانسان غير مجامل ويجزع ان امسى كذلك يُخدعُ
وفي الناس حق ما يزال وباطل ولكنهم للحق بالباطل ادعوا (٦)
لحا الله دهرًا شدَّ بالقوة الهوى فكل قوي شاء ما شاء يتبعُ
وهب أن هذا الظلم كان سياسة فمن قال ان الظلم في الظلم يشفعُ (٧)
لعمرك لو تبنى السياسة حجرةً بغير قلوب الناس باتت تزعزعُ
ولو رفعوها فوق غير ضعافهم لما وجدوها آخر الدهر ترفعُ
اذا لم يكن للضعف حول فمن اذًا بتلك القوى غير الضعيف يجمّعُ
حنانيك يارب الضعاف فهم كما تحمل قيدَ الارجل الضخم أصبعُ
وويلاه ماهذي الحروب ومن ارى فقدماً بهذا الوحش في الوحش يطمع
معايب الا ان كم من فظيعة لها مصدر ان ينكشف لك افظع

(٤) انفتل عن موضعه انحرف

(٥) كل مولود يولد على الفطرة فابواه ينشآنه على الخير او الشر ولكن امرئ ما تعود

(٦) الحق والباطل موجودان ولكن كل انسان يريد ان يكون في الحق ولو بالباطل وقد قال بعض الحكماء لوسكت من لا يعلم لسقط الاختلاف

(٧) يشير الى فساد مذهب القائلين بان الغاية تبرر الواسطة

فويح الورى هم سعّروها وبعضهم لماحطبٌ والبعض فيها موقع

ونقع دجوجيٍّ ترى السحب فوقهُ لما راءها من برقه تتقطع
اذا انفرجت للريح فيه طريقة نجت وبها حمىّ تئز وتسطع(٨)
وان طالعته الشمس تذهل فلا ترى امغربها في النقع ام ذاك مطلع
وقد كشفت تلك العجوز نقابها وقالت لاهليها قفوا ثم ودعوا
والقى الردى صيحاته دافعاً بها لذاك فم الموت اسمه اليوم « مدفع »
على عصبة لم يظلموا غير انهم مفاتيح انّما قيل اغلق موضع
تعاطوا كؤوس الموت في حومة الوغى وذاك رنين الكأس بالكأس تقرع
ولله ما اشهى الردى بعد ضيقة تكون طريقاً التي هي اوسع
كأنهم والموت جلّ جلاله سجود يخافون العذاب وركع
كأن ثياب الموت كنّ بواليا عليه وبالارواح امست ترقع
كأن الردى اذ حجل الجند حوله وقد عطشوا حوض من الماء مترع
كأن فم الميدان اصعد زفرة من الجيف الملقاة لله تضرع
زلازل ويل ماتني الارض تحتها تهزهزُ حتى اوشكت تتصدع
اذا نفعت ضرت وما خير نعمة تضر الورى اضعاف ما هي تنفع
كذلك ارى الدنيا فتاةً شنيعةً فان ولدت جاءت بما هو اشنع
كأني بهذي الارض قلباً معلقاً وما ملك الا له الحرص اضلع
كأنْ قد غدا الانسان وحشاً فلا ارى يعزز الا المرء واديه مسبع(٩)

(٨) ازيز القدر صوت غليانها والحمى تئز اي تكاد لحرارتها ان يكون لها صوت .
(٩) ارض مسبعة كثيرة السباع وكنى بها عن قوة الجند والاعوان

وان يأمر الملَكُ الذي ليس تحته سرير من اقلى فهيهات يسمع
ولن تصبح الدنيا سلاماً ورحمةً على اهلها ما دام في الناس مطمع(١٠)

﴿ وقال ﴾

في شأن الشرقيين اليوم

كلٌّ يقول شقينا وكلنا فات امسهُ
هذا يُحيل على ذا وآفة الكل جنسهُ
وبعضنا يتسامى فليس يسمع حسه
يرثي لمن ليس منه وموت اهليه عرسه
من كان ضرس سواه فليس يعنيه ضرسه (١)
والله لو عقل الشرق لاختفت عنه شمسه

(١٠) من عجيب شأن الناس ان القوي يطمع في غيره ويدعي ان غيره هو الطامع فيه وما دام هذا شأنهم فالرحمة بعيدة عنهم . ومما يتنكه به ما كتبته احدى الصحف الالمانية عن الحرب الدائرة اليوم وهو من قبيل الخرافات الحكيمة قالت : ان القديس بطرس رئيس الحواريين دخل على المولى فقال اي رب اعرفت ما في الارض اليوم قال وما هو قال ان الروس في حرب مع اليابان ودخل حينئذٍ ملك الروس فقال رب انصر الروس واخذل اليابان فانها اعتدت علينا فدخل ملك اليابان وقال رباه اكسر الروس امامنا لانهم اشرار فدخل ملك فرنسا وقال الهي اخذل اليابان وانصر الروس لان اموالنا في روسيا فاذا سقطت بتنا بلا مال فدخل ملك الانكليز وقال مولاي اخذل الروس وانصر اليابان فانها حليفتنا واذا سقطت سقط مجدنا فدخل ملك الصين وقال يا رب اسحق الدولتين معاً لانهما طامعتان في بلادنا . فلما سمع المولى ذلك كله التفت الى بطرس وقال له اذا كان الامر كذلك فنحن نبقى «على الحياد» . . . .

(١) يعني بضرس سواه من يكون آلة لغيره يطحن بها ما يصير الى معدته وهي حال الشرقيين

وقال

في المال والعلم والدين وذكر ادلتنا

هي الافلاك لاشم اقباب ِ — ولا كالفلك تجري في العباب ِ
تدور بما تدور ونحن منها — مكان الظل من فوق التراب ِ
ولو أن الورى كانو عليها — لباتت كالسفينة في الضباب (٢)
يد الانسان آثمة ولو في — ذرى الافلاك من فوق السحاب
ولو أن الملائك عاشرته — لكنت ترى الحمامة كالغراب
ضعيف وهو اقوى من عليها — قويٌّ وهو اضعف من ذباب
وليس الناس اجساداً تراءى — ولكن كل نصل ٍ في قراب ِ (٣)
تفاوتت النفوس فرب نفس — على فلك ونفس في ثياب ِ (٤)
فلا عجب اذا الانسان امسى — لدى الانسان كالشيء العجاب
يعد الناس ضعف الناس ذنباً — لذا خلق القوي من العقاب
فذ والمال استبد بكل نفس — وذوا العلم استخف وذو الكتاب
لدُنْ ركبوا سفين الدهر ظنوا — بني الدنيا متاعاً للركاب
وليس «المال» غير الدين امّا — غدت سود الحوادث كالنقاب

(٢) العباب البحر ومراد الشاعر من هذه الابيات ان الافلاك تجري على نظامها ما دام نوع الانسان بعيداً عنها فلو صاروا عليها ضلت لخبثهم فكانت بما يأتون من ذلك كالسفينة في الضباب لا تدري اين تذهب

(٣) الاجسام كالاغماد جعلت لتمسك السيوف ولا فائدة لغمد لا سيف فيه ولا في جسم لا نفس له وانما النفس بما يظهر عنها من الآثار

(٤) يريد ان من انفس الناس ما يرتقي الى الفلك وهو مدى الارتقاء ومنها ما لا يبرح ثياب صاحبه عجزا وخسة

فلا يفخر بصير عند اعمى ... فما خير المصاب سوى المصاب
سلوا من ظن امر المال سهلاً ... أكان السهل الا بالصعاب
لعمرك انما الذهب المندّى ... نفوس لم تعد بعد الذهاب
هم اكتسبوا لغيرهم فامسى ... عليهم الاكتساب بالاكتئاب
وصيغ شبابهم ذهباً أليست ... على الدينار زخرفة الشبابِ (٥)
يرون السعادة وهي منهم ... منال الماء في بحر السراب
وان خزانة الآمال ملأى ... لمن تلقاه مهزول الجراب (٦)
ومن يغتر بالاقوى يجده ... كنصل السيف يغمد في الرقاب
متى صاح الدجاج بثعلبان ... فليس سواه من داعٍ مجابِ (٧)
يظن الاغنياء الفقر ضعفاً ... وكم من حيةٍ تحت التراب
ولا يخشون من جاع بأساً ... وليس اضر من جوع الذئاب
الم تكن السفينة من حديد ... فما الماء يخرقها بناب
اذا شمخت على الامواج تعلو ... فما بعد العلو سوى انقلاب
اما «للعلم» سلطان على من ... يرى ان الفضائل في الحلاب

---

(٥) ما ينقضي عجب الناس من هذا البيت ولا ينقضي (الا اذا فضلوا على الدينار شيئاً آخر)

(٦) يقال الاماني راس مال المفاليس والخزانة بالكسر (ولا تفتح)· ومن احسن الاجوبة ان اليزيدي سئل عن الحب (بمعنى الحبيب) هل هو بالكسر او بالضم فقال هو بالكسر ويستحسن فيه (الضم) وعن الجفن اهو بالكسر او بالفتح فقال هو بالفتح ويستحسن فيه (الكسر) والزمخشري عن العثير (التراب) اهو بالفتح او بالكسر فقال هو بالكسر (ولا تفتح فيه العين) وابو السعود المفسر عن الخزانة والقصعة فقال (لا تفتح الخزانة وتكسر القصعة)

(٧) الثعلبان ذكر الثعالب وامر الثعلب مع الدجاج مشهور

وما ذو العلم بين الناس الا — كمن كبح البهيمة لاحلاب
يظل بها يمارسها شقياً — وحالبها يمتع بالوطاب (٨)
وكم بين الطروب وذي شجون — اذا ابصرت كلاً في اضطراب
ارى العلماء اذ يشقون فينا — نعيماً كامناً تحت العذاب
كقطعة سكر في كأس بن — تذوب ليغتدي حلو الشراب
ومن اخذ العلوم بغير خُلْق — فقد وجد الجمال بغير سابي
وما معنى الخضاب وانت تدري — بأن العيب من تحت الخضاب
اذا الاخلاق بعد العلم ساءت — فكل الجهل في «فصل وباب»
ولولا العلم لم تسكن نفوس — على شيء الحياة الى الصواب
ولولا «الدين» كانت كل نفس — كمثل الوحش تسكن للوثاب
رايت الدين والارواح فينا — كما صحب الغريب اخا اغتراب
فلا روح بلا دين ومن ذا — رأى راحاً تصب بلا حباب
ليجحد من يشاء فرب قشر — يكون وراءه عجب اللباب
ولله المآب فكيف يعمى — اخو الاسفار عن طرق المآب
وما ظمإي وفي جنبيَّ نهر — تدفق بين قلبي والاهاب

(٨) الخلاب الخداع وذو العلم يشقى ليسعد بعلمه الناس كالذي يكبح البهيمة ليحلبها من يشرب لبنها فانه يذوق المر وصاحبنا يكرع الحلو والعلم في اهله صفة لا يعمون علماء الا بها وهي الصبر على الشقاء وطلبه بانفسهم وما احسن ما يروى عن الحسن البصري قال : اذا رأيت من هو اعلم مني فذاك يوم استفادتي واذا رايت من هو دوني فذاك يوم افادتي واذا رأيت من هو مثلي فذاك يوم مذاكرتي واذا لم ار احداً من هولاء فذاك يوم مصيبتي

﴿ وقال ﴾

ليتلوها تلميذ اتم الدراسة في بعض مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية

ارى عقلي كساقية تُدارُ   وانواع العلوم لها بحارُ
ولي فكرٌ كبستان نضيرٍ   شهيٌّ معارفي فيه ثمارُ
تناولت العلوم وكان جهلي   كمثل الليل فانشق النهارُ
ولاح ليَ الورى شيئاً عجيباً   وكل فتى رأى عجباً يحارُ
فما الدنيا كما كنا نراها   مصغَّرةً ونحن اذاً صغارُ(١)
وان الجهل يستر كل حسن   كنور الشمس يحجبه الغبار
ارى لي موقفاً حرجاً كأني   ضللت وليس في بحري منار
سأفعل فعل اجدادي فامّا   كما نالوا واما حيث صاروا(٢)
وما انا بالصغير العقل حتى   تعز على يدى الهمم الكبارُ
ولا انا بالضعيف القلب حتى   تقيّدني المنازل والديارُ
ساضرب في البلاد فاي فجٍّ   تلقاني فذلك لي قرارُ(٣)

---

(١) كل الدنيا عند الصغار البلد الذى يوجدون فيه وكل الناس في اعينهم اهلهم ومن يلعبون معهم وهم في سعادة بجهلهم لا يحلم بها الملوك فان زاوية الطريق التي يلعب فيها الطفل تقوم لديه مقام ملك الارض وكلما انفتق ذهنه زال عنه الغطاء حتى يصبح والعالم في نظره شيء جسيم والهم عنده بلاء مقيم

(٢) ليت هذه الكلمة تنقش في افئدة النشء المصري ولو باطراف السكاكين وقد قال الحسن البصري ان امرءاً ليس بينه و بين آدم اب حي لمعرق في الموتى

(٣) نظن والله اعلم ان هذا مجرد قول والا فالمصريون لا يضربون في البلاد

ولا عار على الساعي لمجد ولكن التزام الدار عارُ
وما قدر اللآلىء وهي درٌّ اذا لم ينفلق عنها المحارُ(٤)

﴿ وقال ﴾

وتلاها تلميذ صغير السن جداً

عدت على اقوامنـــا النحوسُ
وضلّلتهم هـذه الكؤسُ
فانقلبت في الارجل الروسُ
وخرب العقل بهـا والكيسُ
فكلهم بين الورى بئيسُ
الصحو يا قومي هو النفيسُ
والغي تعمى عنده النفوسُ
فبصّروها فالمدى مطموسْ
وقد ضربنا مثلاً فقيسوا (٥)

الا اذا تحركت الاهرام قبلهم وأرغات في مهامه افريقيا اما ما دامت فهم اثبت منها في (ارض اجدادهم) لا يبرحون البيوت الا الى القبور ولا القبور الا الى الموقف ولا الموقف الا الى حيث يكون الخلود ...

(٤) المحار ما يسكن فيه اللؤلؤ ولا قدر للدر الا اذا خرج من صدفه ولكنه ما دام فيه فالدرة والبعرة سواء

(٥) ضرب لهم المثل بالخمر التي سمعنا الشاعر يقول عنها : « ان المصريين صهروا ذهبهم فسال خمراً » يريد ان كل من عنده ذهب منهم يبذله فيها . وترك لهم الطفل امر القياس ... وهنا موضع العجب

﴾ وقال ﴿

في علماء ينفعون الناس ويؤدي بهم العلم الى الجحود والعياذ بالله

مشى الجهال في طينٍ ولكن   أكفهم على حجر صلودِ
كما يمشي الجبان وعن يديه   صفوف الحارسين من الجنودِ(٦)
وكم في العالِمين أخي ذكاء   يجر به الذكاء الى الجحودِ
ارى للعقل حدًا في التسامي   كمرمى الباصرات الى حدودِ
وان السيف ان لم يلف غمدًا   كساه من الصدا اشبه الغمودِ(٧)
وكل تطرف العلماء جهل   وبعض الجهل بالعلماء يُودي
اذا انحرف «القطار» براكبيه   فقد وجدوا «المحطة» في اللحودِ
وسيان البصير وكل اعمى   اذا نظرا الى شيء بعيدِ(٨)

﴾ وهذه شذرات من الحكمة الحقناها بهذا الباب ﴿

(قال يعني نفسه)

تعلق القلب بآماله   ومن يؤمل قلبه يعلقِ

---

(٦) انما يخاف على من يمشي في الطين ان زلق وما دامت يده على حجر صلد فقد أمن ذلك كما يذهب الفزع عن الجبان بقوة الحارسين

(٧) المعنى ان لكل شيء حداً واذا ترك تلف وقد قيل كل ما جاوز حده جاور ضده ·

(٨) البصير اذا نظر الى شيء بعيد عن مرمى نظره لا يراه فهو والاعمى من هذه الوجهة سواء وكذلك العالم اذا اراد ان يخرج بعقله الى ما وراء الغيب فلا فرق بينه وبين الجاهل في شيء · وقد قال بعض كبار الكتاب العماء عندما قراء هذا البيت « اشهد ان المعري لم يقل احسن منه في زمنه »

يانفس بعضَ اليأْس لا تقنطي من رحمة الله ولا تحنقي

ان كان ما مرَّ من العمر لم يحقق الظن فنيما بقي

والناس في الدنيا دلاء فذا يهوى الى القاع وذا يرتقي(٩)

﴿ وقال ﴾

في مثله

لا اعذل الدهر على ما افسدت لي يدُهُ

يسوءُني اليوم لكي يعرف قدري غدُهُ

كالذهب الابريز من ينقدهُ يبردُهُ (١)

﴿ وقال ﴾

لا تغترر بالناس فيما ترى فهم مع الفائح في كل بابْ

رأيتهم يُعلون قدر الفتى للسحب كي يستمطروه سحابْ(٢)

وما اعتلى الميت من عزةٍ اعناق من يرمونه في الترابْ

---

(٩) الدلاء جمع دلو . وبعض الياس منصوب بفعل محذوف اي ايأسي بعض الياس ونحوه . وفي هذه القطعة يبين لك معنى الابتكار فان كل امرىء يرى الدلاء في الابار تصعد وتنزل ولكن لم تسمع قط ان شاعراً جاء بهذا المعنى (وستسمع بعد اليوم على ما هي عادة القوم

(١) الذهب الابريز الخالص وعادة الصائغ اذا اراد امتحان الذهب برد قطعة منه فلا يعرف قدره الا بعدان يؤذيه بما يخدش منه

(٢) سحاب في الاصل منصوب وانما سكن للقافيه ومثله شائع في كلام العرب والمراد انهم يتملقون الرجل فيقولون انه سحاب ليمطرهم بنداه

﴿ وقال ﴾

ان الانام وحوش   وانما الاسم ناسُ
تخاتل وزحام   وقسوة ومراس
فاخش الضعيف وان لا   ن كم من الضعف باسُ
والماء ألين شيءٍ   لكنه لا يداس

﴿ وقال ﴾

في النفس الامّارة بالسوء

اقلُّ الاعادي اذًى   لك الصاحب الاعوجُ (٣)
وللمرءِ بين الأنا   م مُتسعٌ يفرجُ
ومن يَغْنَ عن غيره   فما غيره الأحوجُ
واعدى اعادي الورى   نفوس بها أُحرجوا
وذا عالَمٌ مظلمٌ   يحارُ به المدلجُ (٤)
فيا من سعى للدنا   وا كفـانه تنسجُ
طبخت ولكنما   طعامك لا ينضجُ
حياتك كالطيب لا   يدوم متى يأْرجُ (٥)
وكم نَفَس في الهوا   بنفْس الفتى يخرجُ

(٣) ليس اشد اذى للمرء من الصاحب الاعوج فما يستقيم امر صاحبه قط وهو مع ذلك اخف بلية على الانسان من نفسه

(٤) المدلج السارى ليلا والعالم ظلمات يتخبط فيها الاحياء بين فتنة واخرى من النفس والناس

(٥) الدنا الدنيا وحياة المرء كالطيب كلما أرج اي فاحت رائحة فني لان الارجه من المادة الذاهبة منه في الهواء وقد قيل ان حبة المسك تبقى سنين لا تنقطع رائحتها من الموضع الذي تكون فيه ولا ينقص من وزنها مع ذلك شيء ومثلها بعض الناس الذين يتطاول عليهم الامد ومصير الكل الى الفناء

﴿ وقال ﴾

يا طالب العليا احترس ... ان تصطفي عذالها
ان الامور رجالها ... فاطلب لملك رجالها
والزم يمينك فطالما ... وقت اليمين شمالها
واجعل لنفسك غاية ... تهب النفوس كمالها(٦)
وأمت امورك في الفؤا ... د فموتها احيى لها
واخش الدسائس من عدا ... تك واحذرنّ فعالها
تجد القنابل كالحجا ... ر وقد ترى اهمالها
والماء يطفي النار لكن ... لا يطيق خيالها(٧)

﴿ وقال ﴾

في تغير الاصحاب

لا ترق مدرجة الصعو ... د لاجل مهواة الهبوط

(٦) ان من لا يسعى الى غاية لا يصل الى شيء والعمر اضيق من ان يبذر منه فمن لم تكن له غاية يطلبها من هذه الحياة

فذاك الذي ان عاش لا يعتنى به ... وان مات لم تحزن عليه اقاربه

(٧) ان مكيدة العدو ان يظهر بمظهر من لا يضر كالقنبلة تراها في شكل الحجر ولكنها اذا اطلقت من موضعها فعلت الافاعيل ولا يستخف بالضعيف الا ضعيف الرأي فان القبرة اعمت الفيل وردته في هاوية فهلك والبعوضة ادمت عين الاسد والماء يقوى على النار فيطفئها ولكن اشعتها تنزل في قلبه كالسهام وتظهر فيه ولا يستطيع ردها . ولا بأس من ذكر فائدة يتعلم منها (هؤلاء الشعراء) . كان سبب نظم هذه القطعة ان الشاعر مر وبعض اصحابه بنهر تنعكس عليه اشعة المصابيح المنارة على جانبيه فقال له صاحبه شبه هذا فنظم البيت الاخير على البديهة ثم بنى عليه القطعة . والموضوع لا يخرج منه ذلك ولكن شرط الشاعر كما ترى في المقدمة (الانتباه الى ادق المناسبات)

واجعل علاك عليك شر — طاً حين تؤخذ بالشروط
واستفد من خزر السحا — ب فكم لآلٍ في السموط
ان السفينة كلما — صغرت نراها في الشطوط
والعنكبوت اذا بنت — بيتاً فاهون بالخيوط (٨)

﴿ وقال ﴾

في التوثيق والجد

لغيرك الدهر سلم — وعندي الدهر حربُ
وقد عييت بسعيي — ان السوابق تكبو
وكل نار اذا لم — تصادف الريح تخبو
وكل عضب اذا لم — يقع على الأين ينبو
وكل سهل اذا لم — يوفق الله صعبُ
هذا شراعي ولكن — من لي بريح تهبُّ

﴿ وقال في مثله ﴾

يا من سعى لعلاه — وعاد بعد فقيرا
ان لم يكن لك حظ — كان اليسير عسيرا
أنّى تطاول من طا — ل ان خلقت قصيرا
نعبت نحلك لكن — سواك ذاد الطيورا

﴿ وقال ﴾

كففت يدي عن الشر — واصغيت له اذني
لاعلم ان بذت مني — سفيهاً كيف ينبذني
فلا بالمكر آخذه — ولا بالمكر يأخذني

---

(٨) العنكبوت تبني بيتها لنفسها ولكن النسيم الخفيف يحملها وما بنت وانما الصاحب للصاحب يد لا سيما اذا كانت شلاء وكلما صغرت النفس زادت الى معاشرة السفلة كالسفينة التي ضربها مثلا ولا حاجة بنا ان نبين مبتكرات الشاعر عند كل موضع فانها ظاهرة للعاقلين

﴿ وقال ﴾

تعلم من الختل ما تتقي — به كيد كل فتى خاتل ِ
وحذ لمتيبك مكر الشباب — ومن حادث العام للقابل ِ (١)
وان كان كل الورى في جنون — فما انت وحدك بالعاقل ِ
فكن عالمًا جاهلاً بينهم — فهم خدم العالم الجاهل ِ (٢)

﴿ وقال في اختبار الاصحاب ﴾

اصبح كلٌّ منظرا — فاترك له منظرَهُ
واغضب الصاحب ان — اردت ان تخبُرَهُ
وكل ماء كدر — من هاجه عكَّرَهُ

﴿ وقال ﴾

(في حديث جرى بينه و بين بعض اصحابه في ساعة هم)

قد اتعب [illegible] — [illegible] الحزن نومي
وسامي [illegible] — [illegible] بعض ما سام قومي
وقد ارى العيش [illegible] — الى اتقا الله صومي
يجنني الناس [illegible] — [illegible] ما على الناس لومي
وكيف يجنى [illegible] — من مات في كل يوم ِ

﴿ وقال ﴾

نشأت ولست اعرف لي عدوا — وها انا لست اعرف من معيني

---

(١) قيل احمق ما يكون الشيخ اذا عمل بظنه . وقد اصبح الشيب عند شبان اليوم موضعاً للسكات ولا حول ولا قوة الا بالله . ومن الاجوبة المسكتة ما حكى بعض الاصحاب قال : رايت عبدًا اسود شابًا وقد نظر الى شيخ كأن لحيته الثمر بياضا فقال لمن معه ما اقبح هذه اللحية وهي كالعين البيضاء من العمى فقال الشيخ على الفور « و لعمى خير من رؤية وجهك الاسود » فافحمه

(٢) من العلم ما يضر في بعض مواطن الجهل فسياسة الناس ان تعرف ما ينبغي مما لا ينبغي

كأن الناس ليس لهم قلوبٌ　　تحركهن انفاس الحزينِ
اذا ما أبصروا ذا الهم فروا　　فرار الروح من وجه المنونِ
واكثر من تصاحبهم ديونٌ　　ويا ويل الفقير من الديونِ
دع الدنيا ترفع كل وغدٍ　　فان الخمر قد سُدت بطينِ (٣)

﴿ وقال ﴾

دعوني ان ،رى البو　　م انى ليس لي مرُّ
وما يعجب من امري　　سوى ان ليس لي امرُ
فعُوا ما قرأت عيني　　فان كتابها الصدرُ
لقد عُلمت امر النا　　س مذ علمني الدهرُ
وعندي ان جهل الشر　　في الناس هو الشرُّ
وترك الفكر فيما تنـ　　ـتهي النفس هو الكرُّ
حلا الموت لمن لم يد　　رِ ان مذاقه مرُّ

﴿ وقال ﴾

لقد انحل الهم جسمي فهل　　لذا الجسم من همه مخرجُ
ولم تك تسقمني الحادثات　　ولا كنت قبل بها أرعجُ
اذا طبخ الدهر جسم امرىء　　بنار سوى الهم لا ينضجُ

﴿ وقال ﴾

قالوا جنونٌ قلت اي والذي　　يقدر الهم لمن يعقلونْ
انقلب الدهر بابنائه　　لذا ترى العقل غدا في البطونْ
جنوننا ما دام في رأسنا　　عقل وهم من عقلهم في جنونْ
وما على الناس من الناس يا　　ليت اذا لم يعرفوا يعرفونْ

(٣) يختم دن الخمر بالطين اذا تركت فيه تختمر فيعلوها وهي اكرم جوهرا وكذلك شأن الزمن في الاغبياء

﴿ وقال ﴾

(في احتفال الناس بأمواتهم في مواسمهم المعروفة بمصر)

يعزى الناس بعضهم ولا يجديهم شيا

فذاك طوي وهذا سو ف يطويه الردى طيا

يمين الله لو عقلوا لعزى الميت الحيا



الباب الثاني

في النسائيات

ربة الحسن والقلم

مدادك في ثغر الزمان رضابُ — وخطك في كاتا يديه خضابُ
وكفك مثل البدر قد لاح نصفه — فلا بدع في أن اليراع شهاب
كلحظك او امضى وان كان آسياً — جراح اللواتي ما لهن قراب
يمج كمثل الشهد مجته نحلة — وان لم يكن فيما يمج شراب
ويكتب ما يحكي العيون ملاحةً — وما السحر الا مقلة و كتاب
فدونك عيني فاستمدي سوادها — وهذا فوءادٌ طاهر وشباب (١)
ارى الكف من فوق اليراع حمامةً — وتحت جناحيها يطير غراب
كأن اديم الليل طرس كتبته — وفيه تباشير الصباح شتاب
كأن جبين الفجر كان صحيفة — كأن سطور الخط فيه ضباب
كأن وميض البرق معنىً قدحته — كأن النباع الافق منه صواب
كأنك اما تنظري في كتابةٍ — ذكاءٌ واوراق الكتاب سحاب

(١) استمد احذ من المداد والفوءاد في سويدائه والشباب والمداد لون واحد

اراك ترجين الذي است اهله ... وما كل علم إبرة وثياب (٢)
كفى الزهر ما ندى به راحة الدبا ... وهل للندى بين السيول حساب
وما احمق الشاة استغرت بذنبها ... اذا حسبت ان الشياه ذئاب
فحسبك بلا قالة الناس انجبت ... وحسبك نفرازية ونك باب (٣)
لك القاب من زوج وولد ووالد ... وملك جميع العالمين رقاب
ولم تخلقي الا نعيما لبائس ... فمن ذا رأى ان النعيم عذاب
دعي عنك قوماً زاحمتهم نساؤهم ... فكانوا كما حف الشراب ذباب
تساووا فهذا بينهم مثل هذه ... وسيان معنى يافع وكعاب
وما عجبي ان النساء ترجلت ... ولكن تأنيث الرجال عجاب (٤)

(٢) قال الدكتور (تيلبر) احد مشاهير الاطباء في الولايات المتحدة والطبيب الخاص لمدرسة (فاسال) المخصوصة بتعليم الجنس اللطيف : انه لم يجد بين الف فتاة تعلمن العلوم العالية كما يجب اكثر من عشرين لم يخسرن صحتهن وان كثيرات منهن لا يعدن صالحات للولادة وباقيهن لا يلدن اكثر من اثنين الى ثلاثة وبعضهن يكن سبباً للشقاق في العائلات لانهن يصبحن ذوات آراء لا يتنازلن عنها ولا يسلمن بها ازواجهن وان العلم يجعلهن متكبرات غير مستعدات للخضوع اه ومعلوم ان التي تتعلم هذه العلوم لا يكون زوجها في الغالب الا من الاغنياء الذين يرون لذة الحياة كلها في الولد وكثرة النسل فاعلم ايها القراء ان للاغنياء في بيوتهم مصائب على قدر غناهم . وقد قال الامبراطور غليوم لابنته : انك وان كنت بنت امبراطور لا تزالين امراة وان انفع شيء لك ان تعرفي اعمال المطبخ « وترقيع » الاجربة جيداً . وهي كلمة كبيرة من رجل كبير .

(٣) القالة والمقالة بمعنى . والنفرازية للشاة كالحامر للفرس .

(٤) نذكر هنا رأي شاعرنا في تعليم النساء . فانه يرى ان المراة خلقت على غير تركيب الرجل في اكثر اجزائها فلا يصلح لها الا ما يناسبها وهو يقول انه لا يناسبها شيء من العلوم قط الا ما كان عليه حرف من احرف هذه الكلمة (البيت) . اما اذا خرجت عن معنى المرأة (في نظر الناس) لها ما ...

بنت الزي

أو حسناء «الموضه»

ما بال هذا الجسم يافتنتي ... من سرق الديباج في حبس
وبعضه في كفن واسع ... وبعضه في ضيقة الرمس
لكل شيءٍ حسن زينةٌ ... وزينة الخمرة في كأس
والبدر في ديباجةٍ يجتلي ... وانت في عشر وفي خمس
شريعةٌ تنسخ في يومها ... كل الذي قد شرعت امس (٥)
ولو تزيد الحسن اثوابه ... لبان نقص الحسن في الشمس
اهانت الغادات اهل الهوى ... وهنّ قدهنّ على نفسي (٦)
فاين القوم واذيالها ... «مصلحة» للرش والكنس (٧)

الحسناء والمرآة

بدتْ قمراً له حظي ليالي ... وجسمي في هواها كالهلال
ولاحت في المراة فقل سماءٌ ... تولتها الملائك بالصقال

---

(٥) اصبحت هذه الكلمة المشؤمة التي تسمى (الموضة) سبباً لخراب البيوت والابدان وقد بلغ من تفنن نساء باريس ان الرجل يبتاع لامراته شيئاً مما تلبسه ثم يعدو الى البيت خائفاً انه اذا ابطأ في مشيته فربما لا يصل حتى تكون قد نسخت هذه (الموضة) بغيرها ويرى شاعرنا ان مثل هذا التبرج لا يكون في امراة طاهرة القلب قط

(٦) هن الاولى ضمير والثانية فعل مسند الى نون النسوة ·

(٧) لو شئنا ان نشير الى مبتكرات المعاني في كل مواضعها من هذا الجزء لما خلت صحيفة من ذلك ولخفنا ملل القراء ولكنا نريد على كل حال ان يتعلم ادباؤنا كيف يكون الابتكار لعل الشعر يطهر ولو من الحدث الاصغر · · · ·

ترقرق حسنها فيها فمالت | وفي الطاووس طبع الاختيال
وكانت كالغصون اصبن نهرًا | فدانين انظلال على الزلال
وكنت لها بواحدة قتيلاً | فكيف بها اثنتين على قتالي (٨)
دعوها تدر منها ما درينا | وتنظر ما نظرنا من جمال
فما مرآتها الا كتاب | يعدُّ لها جنايات الدلال (١)
وما اتهمت محاسنها ولكن | يكون لحجة مرح الغزال
عساها صدقت ما اخبروها | بان الطيف يسمح بالوصال
فلازمت المراة كما اراها | تحاول ان تظفّر بالخيال (٢)
وللحسناء امال وماذا | يؤمل في (السما) غير المحال (٣)
فيا مرآتها وصفاء قلبي | وعصر طفولتي وخلوّ بالي (٤)
ويا حظي وحاجبها ودهري | وطرتها وعينيها وحالي
تقلبت الليالي بي ولما | يرعني ان تقلبت الليالي
كاني صرت مرآة لدهري | يرى فيها محاسنه البوالي

(٨) يعنيها وخيالها بالاثنين لان الحسن هناك صورتان

(١) لو تدبرت وهذه هي العلة التي ذهبت بارواح العاشقين فلو ان الجميل يعشق نفسه كما يعشقه غيره لرحم غيره كما يرحم نفسه

(٢) يريد انها علمت بان الطيف يزور عاشقها وحسنها يأبى الا ان يمتنع فهي تقف امام المرآة كثيرًا لترى هذا (الخيال) الذي يزور عاشقها فتقبض عليه ليتم بذلك عذاب المسكين والمعنى انه لا عيب عليها في ملازمة المرآة فانظر كيف اصبح الكلام سحرًا

(٣) المرآة تشبه في صفاتها السماء ومن يؤمل شيئًا في (السماء) يؤمل المحال فكذلك يكون قبض الحسناء على خيالها محالا ايضًا

(٤) كلها نظائر بيضاء وما بعدها في البيت الثاني نظائر سوداء

فلم ينظر جبيني قط الا تنفس فيه بالهم العضال (٥)
فديتك ساعة المرآة طولي امدك من ليالي الطوال
فما احلى اذا وقفت اليها تبالي بالجمال ولا تبالي (٦)
و بانت في الحلي طريق سبق لتستبق اليمين مع الشمال
واعيى كفها الشعر اختلافاً كما تعيى الهداية بالضلال
ولاحت في لواحظها سماة كما تجري المنية في النصال
فلو نطقت لنا المرآة عنها اذاً قالت تبارك ذو الجلال (٧)

﴿ حلي النساء ﴾ (٨)

رأت الملاح على السماء كواكباً فجعلنها فوق الصدور عقودا
ورأين نور الشمس يضحك في الضحى فلبسن منه اوجهاً وخدودا
ورأينها تبدو وتغرب لانني فجعلن ذاك تواصلاً وصدودا
اني لطب بالنساء وقد رأيـ ـت لهن قلباً لا يزال حسودا (٩)

(٥) المعنى كأن دهره ذهبت محاسنه (وانما محاسن الدهر اهله) وهو مرآة هذا الدهر فكلما نظر في جبينه تفجع على حسنه الزائل فتنفس نفسة الهم فكانت في جبينه تجعدا وهو انما يكون من الهموم والافكار

(٦) هذه الكلمة من الكلام الجامع فكل ما تفعله الحسناء وما لا تفعله يقال فيه (تبالى بالجمال ولا تبالى)

(٧) تبارك الله احسن الخالقين يؤتى الحكمة من يشاء

(٨) كان لعلي بن الجهم جارية بارعة الادب ولها كلمات مأثورة فكانت تكره الحلي وتقول (تستر المحاسن كما تغطى القبائح)

(٩) الطب بالفتح الحاذق الماهر

فلوانهن رأين عودا قد تحلّى بالثمار حسدن ذاك العودا (١٠)

واذا غضبن جعان اسباب التوا | صل اصبعاً او معصماً او جيدا
وقلوبهن على الحلي كذى الليا | لي ان عدمن البدر كانت سودا
ان النساء خلائق ان فنها | فهي الأسارى والحليّ قيودا

﴿ المرأة المصرية ﴾

اني عليك وان لم تشعري الامد | وانت انت مضى امس وحل غدُ
فهبك عيناً فما في الناس ذو نظر | الا و يؤلمه في عينه الرمدُ
وهبك قلباً فما في الخلق من رجل | الا و يوجعه في قلبه الكمدُ
وهبك من كبد في جنب صاحبها | اليس يحمل ما تغلي به الكبد (١١)
عجبت لامرأة هانت وما اعتبرت | ومن رجال اهانوها وما رشدوا
كلاهما رجل في الناس وامرأة | ولا مميزَ الا ذلك الجسدُ

---

(١٠) نذكر هنا بعض النساء اللواتي يتحرن حلياً . فلقرينة مستر « استور » من الجواهر ما يزيد ثمنه على ١٥٠ الف جنيه ولها عقد لؤلؤ ثمنه ٢٤ لف جنيه ولزوجة مستر ا جورج غولد) عقد الماس ثمنه ٢٧ الف جنيه ولزوجة مستر (ستوان) عقد الماس ولؤلؤ ثمنه ٣٤ الف جنيه ولزوجة مستر ا برادلى) عقد لؤلؤ ثمنه ٦١ الف جنيه ويحيط به من الاحجار الكريمة ما يبلغ ثمنه وحده ٨٠ الف جنيه وكلهن في اميريكا وليس هذا بشيء في جنب تاج الملك فيكتوريا فان فيه حجر الماس كبيرا لا يوجد مثله في الارض واسمه (قوه نور) اي جبل النور وكان حلية لتاج الراجا (رادنجيات سنك) صاحب مملكة لاهور ويقال ان من اجله حدثت حرب الانجليز معه في سنة ١٧٤٩ وزنته ١٦٢ درهماً وفي التاج غيره ٢٧٨٣ حجرًا من الالماس غير الجواهر التي منها ياقوتة كبيرة كانت لهنري الخامس ولا يوجد في تيجان الملوك مثلها وكذلك زمردة كبيرة لا تقوم بثمن

(١١) المرأة عين زوجها وقلبه وكبده ولكن الجهل فيها كالرمد والكمد والمصاب الذي تغلي به الكبد

وكل ما حولهم في الذل مثلهمُ ... يُستعبد الكل حتى النهر والبلد
يا بنت مصر ولا قوم تعز بهم ... ولا بلادٌ ولا اهلٌ ولا ولدُ
زاغت عيون بني مصر وضلَّ بها ... غيُّ النفوس وهذا الجهل والفند
فانت في نظر الراقين سائمةٌ ... وفي نواظر فلاحيهم وتدُ (١)
وانت بينهمُ في كل منزلةٍ ... صفر اليسار به يستكمل العدد (٢)
اقام في راسك الجهل الذي سلفت ... به الليالي وفي اضلاعك الحسد
وما يحلان بيتاً كان في رغدٍ ... الا وهاجر منه ذلك الرغدُ
(فالسحر والزار والاسياد) جماتها ... لأَهلها نكدٌ ماثلة نكد (٣)
ما انت في الصين والاوثان قائمةٌ ... وللشياطين في كل الامور يد (٤)
تالله لو كان من علم وتربيةٍ ... شيء يمازجه ذا الصبر والجلدُ
اذاً لما سخرت من بنت جمعتها ... من يومها السبت او من يومها الاحد (٥)

(١) السائمة البهيمة التي ترعى وكذلك المرأة المصرية في نظر الشبان المتعلمين اليوم ولعمر الله انهم لاحق بانوثتها منها

(٢) الصفر الذي يوضع الى جهة اليسار لا يعمل شيئاً ولكنه يكمل منازل العدد بحلوله في المنزلة الخالية

(٣) يريد (بالاسياد) امور المتخرقين ممن ياكلون من وراء الجن والشياطين ومصيبة المصائب هي بدعة الزار وسيرى القراء شرحها في الجزء الثالث انشاء الله لان قصر المدة منع من ذلك في هذا الجزء

(٤) لا يعمل عمل في الصين الا بعد ان يشير به المنجم وهم يعتقدون ذلك اعتقاداً يخالط اللحم والدم ولهم نوادر عجيبة تدل على سخافة عريقة

(٥) هذا من بديع الكناية فان بنت الجمعة هي المسلمة و بنت السبت اليهودية و بنت الاحد الافرنجية وصبر المصريات وجلدهن ليس بعدها صبرٌ ولا جَلَد حتى كأنهن مخلوقات من (الرمل والسمنت)

فهل ارى رجلاً فينا او امرأة　　بعد الجود وطول الذل يتقد

يا قوم لو نام ليث الغاب نومكم　　لاستنكف الفار ان قالوا له اسد

الرجل عندنا والمرأة عندهم

لأمرٍ فيه يرتفع السحاب　　ولا يسمو الى الافق التراب

وما استوت النفوس بشكل جسم　　وهل ينبيك بالسيف القراب

وما سيان في طمع وحرصٍ　　اذا ما الكلب اشبهه الذئاب(٦)

رأيت الناس كالاجساد تعلو　　لعزتها على القدمِ الرقاب

فليس من العجيب سمو انثى　　على رجل (ترجله) الثياب

ولو نفساهما بدتا لعيني　　لما ميزت ايهما الكعاب

وان لباطن الاشياء سرًا　　به قد اعجز الاسد الذباب

فيا لرجال قومي من شموسٍ　　اذا قرنوا بها انقشع الضباب

نساء غير ان لهن نفساً　　اذا همت تسهلت الصعاب

فان تلق البحار تكن سفيناً　　وان تردِ السما فهي الشهاب(٧)

ضعاف غير ان لهن رأياً　　يسدده الى القصد الصواب

وما من شيمة الا وفيها　　لهن يدٌ محامدها خضاب

وقومي مثل ما ادري وتدري　　فهم لسؤال شاعرهم جواب

---

(٦) بلغ من حرص الذئب على ما يقال انه ينام مغمضاً احدى عينيه وناظرًا بالاخرى حذرًا على نفسه وترقبًا لما يساق اليه

(٧) اذا كانت الامور التي تريدها كالبحار انقلبت سفينة وان كانت كالسماء دارت فيها كالشهاب وكل ذلك على المجاز

رجال خير ان لهم وجوهاً ... احق بها لعمرهمُ النقابُ
غطارفةٌ اذا انتسبوا ولكن ... اذا عدوا تصعلك الانتساب (٨)
جدودهم لهم في الناس مجدٌ ... وهم لجدودهم في الناس عاب
ومن يقل الغراب ابن القماري ... يكذبه اذا نعبَ الغرابُ (٩)
عجيبٌ والعجائب بعدُ شتّى ... بأنا في الورى شيء عجاب
نقدمنا النسا ونفوس قومي ... من اللائي عليهن الحجاب
وما خير النفوس هي البرايا ... وانثاها او الرجل الاهاب (١٠)

﴿ حكم الهوى ﴾

ابى الجهل الا ان يكون نساؤنا ... رجال سوانا والرجال نساء
فتلك نساء الغرب ساوين نيرةً ... وفُقنَ رجال المشرق الجهلاء
وكل نساء الشرق ساوين في الرضا ... بذاك رجال المغرب العلماء
وآية ذل النفس ان يحكم الهوى ... وقد اصبح الشرقان فيه سواء

﴿ الشرقية والغربية ﴾

للحسان الدلال والخيلاء ... ولك الامر بعد يا حسناء
فاطلعي كيف شئت بدراً او نجماً ... وصباحاً ما دام فينا الضياء

---

(٨) تصعلك صار صعلوكا ونسب المصريين الى اجدادهم الاولين نسب فخم ولكنهم اذا نظروا الى انفسهم راوا من العار ترابا

(٩) القماري جمع قمري وهو طائر حسن الصوت يقال الذكر منه ساق حر ومن العجيب على ما قيل ان بيض القماري يجعل تحت الفواخت وبيض الفواخت تحت القماري

(١٠) لا عاب لها وهو التمايز بالذكورة والانوثة

كل بدر له سماءٌ ولا يعـ — رف للحسن كالبيوت سماءُ (١)
لا تغرنك من ترين من العجـ — م فما الشرق والشمال سواءُ
كل بيتٍ له قطين وان كا — ن تساوى في كلهن البناءُ
هي في قومها وانت لدى قو — مك والنفس بعدها اهواءُ
ان ظرف اللسان في لغة الاهـ — ل وعنوان قومهن النساءُ (٢)
واذا الامهات احببن شيئاً — ورثت حبها له الابناءُ
واذا ما الفتاة شبت على اللهـ — و فبا اللهو بعد ذاك تساءُ
انما البنت زوجة ثم امٌّ — ثم يبقى الحديث كيف تشاءُ
وهي كالماء كلما تطروه — زاد حسناً ورق بعدُ الماء (٣)
لست ادري وليتني كنت ادري — نحن بين الاموات ام احياءُ
اي هذين في الرجال اهن الا — مهات النسا ام الآباء (٤)
صورة الغرب والنفوس من الشر — ق فهم في ديارهم غربا[illegible]
اين حق البلاد اين ذكاء الا — لباب اين النفوس اين الدماءُ

(١) نذكر هنا راي الشاعر في الحجاب فهو يقول « اخرجوا القلوب من الصدور ثم ارفعوا الحجاب » ويقول ان كل ادلة اعداء الحجاب التي يحتجون بها باطل في باطل وضلال في ضلال .

(٢) يخبط الناس كثيراً فيما يعبرون به عن حسن الاعضاء وانما يقال الصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة والحلاوة في الانف والملاحة في الفم والظرف في اللسان واللباقة في الشمائل

(٣) يريد بذلك تعليمها ما يناسبها كما ان الماء لا يقطر بوضع ما لا يناسب المراد منه

(٤) قد يقال ان لفظة النساء لغو لان الامهات لا يكن الا نساء ولكنه لما كان في معرض دهشة ومقام استغراب حيث قال « اي هذين في الرجال » ثم جعل احدهما الامهات اضطر الى توكيد قوله فذكر لفظة النساء ومثله قوله تعالى « وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد »

انما ضيّع البلاد واهليها قديمًا نساؤنا الضعفاء (٥)

خير النساء

رأيت نساء الزمان كثارًا — وحسبك واحدةٌ في الزمانْ
فان رمتها فالتمس وصفها — فقد مُيزت بصفاتٍ ثمانْ
بوجه الجمال ورأس الذكاء — وعين العفاف وصدق اللسان
وقلب المحب وصدر الصبور — ونفس الكمال ودمّ الحنانْ
وتلك هي السعد من نالها — فقد صار من بيته في الجنان
ومن لم يكن حسنها هكذا — فسخرية عدها في الحسان (٦)

وقال

ياقوم لم تخلق بنات الورى — للدرس والطرس وقالٍ وقيلْ
لنـا علومٌ ولهـا غيرها — فعلموها كيف «نشر الغسيل»
والثوب والابرة في كفها — طرس عليه كل خط جميلْ

(٥) انما الولد على ما تنشؤه امه ومما قيل : ان بعض الضباط في دولة من دول اوروبا قتل في حرب وكانت زوجة حاملا فوضعت ذكرًا فاخذت تحدثه عن ابيه من يوم فقه الحديث وتغرس في نفسه حب الدفاع عن وطنه الذي قتل من اجله ابوه وارثه سيفه فكان ذات ليلة نائمًا فسمع الرعد وتلاه وميض البرق فنهض فزعًا وهو لا يزال طفلاً وقال اماه : علي بالسيف نقدها جما الاعداء . . وهكذا تكون التربية

(٦) يجمع هذه الصفات لفظة امراءة قال لها شعيب وقد اراد ان يتزوج بها انني سيء الخلق فقالت اسوأ منك خلقًا من احوجك ان تكون سيئه . تريد من لم تقم بارضائه حتى لا يجد موضعًا يسيء فيه خلقه

﴿ الرجل والمرأة ﴾ (٧)

الارض للناس بحرٌ والمرءُ فيها سفينهْ
والمرأة النار والريـ ـح شدة ثم لينهْ
والعمر نهر ترى من حوادث الدهر طينهْ
وشاطئاه قرينٌ قد قابلته قرينهْ
ولم تزل علم اللـ ـه مرأة المرء دونهْ
هـذا تشاد به الدا رُ وهي للدار زينه(٨)

﴿ وقال ﴾

فيمن يسلمن اولادهن للمراضع والخدم

يداك ِ ابر بهذا السوار فان صار في يد اخرى انفصم
وصدرك اولى بمن هو منه فؤادًا ونفسًا ولحمًا ودمْ
ومن فيك ِ تبعث فيه الحياة ويسقمه غيره كل فمْ
وما الطفل الا زيادة بطن لجد واب ٍ وخال وعمْ
فان تعط طفلك للخادمين فمازدت الاعديد الخدم(٩)

---

(٧) في خرافات اليونان: ان نوحا ويسمونه (ديكليون) كان بعد الطوفان اذا رمى الارض بحجر صار رجلاً وكلما رمت زوجته بحصاة صارت امرأة ولا جرم ان الفرق بين الرجل والمرأة كالفرق بين الحجر والحصاة . وقد عمل بعض العلماء في سنة ١٩٠١ احصاء للجنس البشري فوجد ان النساء تزيد تسعة في كل مائة عن الرجال

(٨) ليس يريد من زينة الدار ان تكون المرأة متاعاً ولهوًا بل يريد ان تكون زينة بيتها بمعنى ما هو بيت

(٩) كان ابو امام الحرمين رضي الله عنهما قد اوصى امرأته ان لا ترضع ابنها من غير لبنها فدخل عليها ذات مرة فاذا به يرى ابنه في حجر جارية سوداء وهي ترضعه فكان

﴿ وقال ﴾

فيمن يستعملن الدهان والطلاء تطرية وتحسيناً

دعي عنك الطلاء فليس حسناً   واسيء حقيقة كانت مجازا
ومن ذا غره التحسين اني   رايت الشمس لا تحتاج غازا

﴿ وقال ﴾

والبيت الاول معرب معنى فرنسوي

أُجث خضوعاً واحتراماً لمن   امك في حواء من امها (١٠)
الا ترى الجنة فيما رووا   مطلوبة من تحت اقدامها

الارض رجفت به فوضع اصبعه في فم الطفل حتى تقايأ كل ما رضع وكان الامام بعد ذلك اذا غضب قال هذا من بقية تلك الرضعة

(١٠) اصل المعنى المعرب « أُجث باحترام تحت قدمى الجنس الذي منه امك »



الباب الثالث

في الوصف

التاز (١)

بنوه على تلك اللحاظ الفواتك   وصاغوه من نور الثغور الضواحك
ومنذ طووا فيه شبابك لم يزل   تلوح عليه مسحة من شبابك
بناه لك الباني فلم يلبث الموت   أن اقتاده حتى توسد في جوارك
سليه أهذا قلبه صار مدفنا   وقبرك في السوداء أم غير ذلك
وتلك لآلٍ أم أماني نفسه   وذاك ظلام ام هموم المهالك
سليه فلو هشت عظامك نحوه   لردت اليه روحه من سؤالك

(١) هو بناء من اعظم مباني الدنيا اقامه السلطان شاه جهان مدفناً لزوجته ارجمند الملقبة بممتاز محال على ضفة نهر جمنا قرب مدينة اكرا سنة ١٦٢٩ وهو صاحب العرش المعروف بذنب الطاووس الذي غنمه نادرشاه ملك الفرس وكانت فيه الماسة الشهيرة المسماة (بقوه نور) وهي التي تقدم ذكرها في تاج الملكة فيكتوريا في باب النسائيات • وكانت زوجته تلك قد توفيت نفساء فحزن عليها حزناً مدنفاً وعزم ان يبني لها مدفناً يكون اعجوبة الزمان فبناه ممثلاً به جمالها وكمالها حتى ان الذين انتقدوا هذا البناء العظيم قالوا ان فيه نحافة نسائية • وقد بلغ ما انفق عليه اكثر من مليوني جنيه فان قاعدته ١٨٦ قدماً مربعة وارتفاعه مئتا قدم وهو مبني بحجارة حمراء ورخام ابيض ومرصع من الداخل بجواهر

وضعت بيمناه فوءادًا فلم يجد ... سوى ملكه من حلية لشمالكِ
فلا مابنى «كسرى» ولا قصر «جعفر» ... ولا قصر «غمدان» ولا للبرامك(٢)
كأني ارى افقًا تجلت نجومه ... كأنك فيه بعض تلك الملائك
كأن قلوبًا في غرامك احرقت ... فذوبها الصّياغ بين السبائكِ
كأن اللآلي المشبهات ازاهرا ... فرائداها بعض الدموع السوافكِ
كأن ظلام القبر في لمعانها ... شعور الغواني بين حال وحالك
كأن سناك في دياجيه نيّة ... تردد في قلب طهور مبارك
كأني ارى تلك المآذن ايديًا ... تشير الى الافلاك انك هنالك
بدائعُ نالت من يراعي ولم يكن ... يراع يباريه بتلك المسالكِ

كريمة وفي جدرانه عضائد من المرمر الاسمر والبنفسجي كأنها حواش لما تحيط به من النقوش وعلى زواياه غرف اربع قد صفحت بصفائح كبيرة من الرخام الابيض وعليها زهار مصنوعة من الحجارة الكريمة المختلفة الالوان والاقدار وهي محكمة القطع والوضع حتى تظنها ازهارًا طبيعية وربما كان في الزهرة الواحدة مائة حجر كريم او اكثر . وكان للتاز بابان كبيران من الفضة الخالصة وقد نزعا لما نهب الجاث مدينة اكرا وقبر الملكة وزوجها تحت القبة الوسطى من سبع قباب وحوله درازون كان من الذهب الابريز مرصعًا بالجواهر وهو الآن من المرمر والقبران مغطيان بالازهار المصنوعة من الجواهر الثمينة وعلى زوايا التاز اربع مآذن عظيمة من الرخام

(٢) ما بناه كسرى هو الايوان المشهور . وجعفر هو الخليفة المتوكل وكان قد تأنق في بناء قصر سماه الجعفري والبحتري اشعار فيه وغمدان بالضم من قصور اليمن قال المجد : بناه يشرخ باربعة وجوه احمر وابيض واصفر واخضر وبنى داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقفين اربعون ذراعًا . والبرامك هم البرامكة وزراء بني العباس المشهورون

افضن على قلبي الجلالة والتقى فاصبحت منها بين ناس وناسك (٣)
وان بناني للفوءاد سنابك فاطلق جوادي ينطلق بالسنابك

﴿ وقال ﴾

يصف الليل وغروب الشمس

الليل في الافلاك مثلي آمالُ فيظلم ام هذي الحنادس اهوالُ
تبوّاء عرش الشمس غصباً وردّها لها الغرب والاظلام سجن واغلالُ
وشدّ على هذا النهار فلم يقف واطلق من ساق النعامة اجفالُ (١)
وشُقّ له في الافق فانساب هارباً كما انساب في بطن الجداول سلسال
وهاب الدجى ان تفزع الشمس فزعةً تثير لها من بعدما اسودّت الحال (٢)
فاوصد ابواب السماء وانما عليهنّ من هذي الكواكب اقفال
ولو كان ذا قلب شجيٍّ لظنها الهاً له في هيكل الحسن تمثال
وما خلت هذا الكون الا كوجنة عليها الدجى فيما اشبهه خال
فيا شمس هل مزّقت ثوبك عندما نكبت وهذا الغيم في الافق اذيال
ام انتثرت منك الحليُّ لعثرة وهذا الهلال الساقط النصف خلخال
وهل نال منك الوجد فازددت صفرةً وحولك من هذي النسائم عذال
لئن صرت معطالاً فكل مليحة كذلك تمضي للكرى وهي معطال (٣)

---

(٣) ناس اسم فاعل من نسي والناسك الزاهد والجناس في البيت ظاهر وكذلك في بيت (حال وحالك) ولم نتكلف في هذا الجزء بيان انواع البديع

(١) اجفل الظليم (وهو ذكر النعامة) اسرع وذهب في الارض

(٢) اذا فزعت الشمس اثار الوجود فالظلام بعض احوالها

(٣) المعطال بكسر العاطل من الحلي ولا يدام النساء بحليهنّ

تودعك الدنيا وتستقبل الدجى ... كما ودع الام الرحيمة اطفال (٤)
وما الليل الا ظلمة الهم عند من ... اقام واوفي من يحبهم زالوا
علامَ يطيل الليل بي من وقوفه ... فهل انا مما شفني الحب اطلال (٥)
كاني بهذا الليل قد كاز وجهه ... لاهل الهوى فلا وقد صدق الفال (٦)
مساكين يحتالون فيما اصابهم ... وفي امرهم دهرٌ كذلك يحتال
اذا نقضوا او ابرموا عكس القضا ... وما كل ذي قول لما قال فعال
فيا ليلُ خلّ الصبح يهدِ نفوسنا ... الينا فارواح الورى فيك ضلاّل
ولست بمكسال تدل وان تكن ... فما اقبح الوصفين سوداء مكسال (٧)

﴿ وقال ﴾

يصف قطار السلك المعروف (بالترامواي)

كوكبٌ ابدلته ايدي الليالي ... من سماء العلى سماء المعالي
مشرق بيننا نهارا وليلا ... مذ امسى نهارنا كالليالي

---

(٤) اذا ودع الام اطفالها فانهم لا يستقبلون بعد وداعها غير الهم وهو الذي بينه في البيت بعده

(٥) لا تجد قط ابدع من هذا التعليل ولم يجيء به متقدم ولا متأخر فقد كان من عادة شعراء العرب ان يقفوا بالاطلال ويبكوا ويستبكوا الى آخر ما هو معروف عنهم واحسن ما تسمى به هذه القصيدة « حسن التعليل »

(٦) في الحديث احسن السيرة الفال وهو ان تسمع الكلمة الطيبة فتتيمن بها وتقول العرب « دون الغيب اقفال لا يفتحها الزجر والفال »

(٧) المكسال ذات الكسل وهو ممدوح في النساء عند العرب ولكنه غير الكسل الذي نعرفه من نسائنا بلا ريب

هو حلم وان شهدناه فالغفـ لة نوم لاعين الجهال (١)
ان قومي في الناس قومٌ نيامٌ فلذا يحلمون بالآمال
لم نزل عاشقين للغرب حتى زارنا اليوم منه طيف الخيال
ايها الغرب علم الشرق ان الـ علم لا شيء فيه صعب المنال
كل شيء يجوز لكن على قد ر العقول اختلافنا في المحال (٢)
ويح قومي حتى جماد «اوربا» نال من رزق خيلنا والبغال (٣)
ايهذا (الترام) انت دليل الا فق في الارض شرقها والشمال
قيل فوق المريخ ناس فلما انكروا جاءهم بهذا المثال (٤)
قرأتْ من حديدك الناس سطرًا ان قول الرجال في الاعمال
وله القضب احرف فوقها الا سلاك تشكل لموضع الاشكال

---

(١) مما يذكر في ذلك ان بشارًا دخل على المهدي وعنده خاله يزيد بن منصور وكانت فيه غفلة فانشده قصيدة فلما اتمها قال له يزيد ماصناعتك ياشيخ فقال « اثقب اللؤلؤ » فضحك المهدي وقال أتتنادر على خالي (اي تنكت) فقال يا امير المؤمنين فما يكون جوابي لمن يرى شيخًا اعمى ينشد شعرًا فيسأله عن صناعته (٢) كلما ارتقت النفس وسما الفكر قلت المستحيلات فان الجاهل يرى صناعة الشيء البسيط كالتلغراف مثلاً من المحال بخلاف العلماء فانهم لم يقفوا عند حد وانظر الى قول نابليون الاول صاحب تلك النفس الكبيرة « ان كلمة مستحيل لا توجد الا في قواميس المجانين » (٣) تقدم « الرامي » كل الشعراء في الجزء الاول بقوله في قطار البخار

ليس في (قلبه) سوى الشوق لكن كتم الدمع فاستحال بخارا

وهي هناك في باب النسيب ويتقدمهم في هذا الجزء ايضًا بقوله في قطار السلك (ويح قومي البيت . .) ولم نعرف شاعرًا قط وصف الترام وهو يجري بيننا ويقتل منا في كل يوم (٤) المريخ احد الكواكب السيارة وقد ذكر بعضهم انهم اكتشفوا فيه على اناس كأهل الارض وما زال ذلك موضوع جدال الى اليوم

كل دار تدور فيها اراها   غضة ذات بهجة وجمال
فبنوها الغذا وتلك عروق ا   جسم تجري به الى الاوصال

•••

ليت شعري أكانت الارض افقاً   سودوا وجهه من الاهوال
وهو فوق اقضبان بعض الدراري   عكسوه فسار فوق الهلال
ام هو النفس والخطوط خيوط العمر تمضي بها الى الآجال
فهي مهما يمد فيها سواء   تنتهي من قصيرة وطوال
ام هو القلب فوقه كهرباء الوجدان ان مسها جرى من خبال
طائفاً ينشد الذي ضل منه   واقفاً كل لحظة لسوءال
ذلك الجد وهو عند رجال التبر   ق شيء كلعبة الاطفال

﴿ وقال ﴾

في فنون من الوصف وذكر الليل

تقادم عمر الظلام الطويل   ولا بد من اجل للعليل
وضاق به الافق ضيق القبور   فزم الكواكب يبغي الرحيل
وراح تخفت هموم القلوب   كما سار بعد المقام الثقيل
لقد كدت ابغض لون الظلام   لولا شفاعة طرف كحيل
طوى الشمس فاختبأت اختها   نفور الغزالة من وجه فيل (١)

(١) الغزالة الشمس وانثى الغزال ففيها التورية وقد غلطوا الحريري في قوله (فلما ذر قرن الغزالة ، طمر طمور الغزالة) وقالوا انه لا يقال الغزالة للظبية ولكن بعضهم اعتذر له

وكانت اذا احتجت قبله — تجاذبها نسمات الاصيل (٣)
ترى البدر غار فاغرى بها — وكل جميل يعادي الجميل
ام الحظ ارسل لي ذا الدجى — فكان الرسالة وجه الرسول
ام الليل قد قام في مأتم — فمنه الحداد ومني العويل
ولم انس ساعة ابصرتها — وجسم النهار كجسمي نحيل
وقد خرجت لتعزي السماء — عن بنتها اذ طواها الافول
على مركب اشبهته البروج — تمر به كالبروق الخيول
اذا قابلته لحاظ العيون — سمعت لاسيافهن صليل (٣)
وان قاربته ظنون النفوس — رأيت النفوس عليه تسيل
وقد اخرجت نفحات الرياض — زكاة الرياحين لابن السبيل (٤)
وقد عبث الدّل بالغانيات — فذي تتهادى وهذي تميل
كأنّ الحواجب قوس فما — تحرك الا جات عن قتيل
كان القلوب اضلت قلوباً — فكانت لحاظ العيون الدليل
حمائم في حرمٍ آمنٍ — بهذا الضلوع نباة الخليل
وما راعها غير لون الدجى — يصدّىء لوح السماء الصقيل

(٢) يريد بذلك خروجها وقت العصر كما هي عادة المتفرجات اليوم

(٣) المراد بالصليل صوت العجلات وان كان في الاصل صوت السيوف الا انه لما علم بانه قراع اللحظ باللحظ جاز ذلك

(٤) ابن السبيل عابر الطريق وهو احد من تجب لهم الزكاة ولا احسن من هذا المعنى في موضوعه

فيا قبح الليل من قادم | بوجه الكذوب ومرأى العذول
بغيضٌ الينا على ذله | وشرٌّ من الذل بغض الذليل
وكم عزني بالاماني التي | ارتني ان زماني بخيل
ومن امل الناس ما لا ينال | كما ان في الناس من لا ينيل (٥)

وقال

مرتجلا في القمر وقد رآه بين نجمتين ينزلان عن صفحته قليلا

يا طلعة البدر اذا ال | نجمان يكتنفانها
أذكرتني حبيبة | كنت على سلوانها
ذا وجهها وذا وذا | قرطان في آذانها

وقال

في الخمر (١)

ذهبا هاتِ والاَّ لجين | ان هذي الراح بنت الخمرين (٢)
هاتها كثيرها ثم اسقني | وكل الاقداح لي بالقدحين
هيَ في العينين نورٌ ساطعٌ | وهواءٌ منعشٌ في الرئتين
اخرجوها من حشا الدن وما | دروا حنينا ليرى بنت حنين (٣)
ثم لفوها بكاس وغدت | كالصبي من يدين ليدين
يا حبيبي انها نرجسة | وارى في وجنتيك وردتين

(٥) واحدة بواحدة ولا يظلم ربك احداً

(١) اعتذرنا عن الشاعر في انه ينظم في الخمر عن ذكرها في باب الوصف من الجزء الاول فليراجع هناك فقد ذكرنا فيه نادرة بديعة ونقول هنا انه ينظم هذه المقاطيع بلسان غيره ومن عادته انه متى تكلف شيئاً لا يظهر فيه التكلف مطلقاً

(٢) الراح منها في لون الذهب ومنها في لون الفضة لا تخرج منهما في المشهور

(٣) يريد بحنين الخمار وهي مداعبة

ما عليك ان شممت هذه | او قطفت هذه بالشفتين
هاتها ثمت خذها واقرع الكا | س بالكاس وهز المنكبين
انما يعلمنا الكاسان ان | ساعة الافراح دقت دقتين
واسقني حتى ارى الناس على | اربع يمشون لا على اثنتين (٤)
انهم والله لا ينقصهم | في الجبر غير طول الاذنين

﴿وقال فيها﴾

نعس النجم ولم انم | فدعوا لي لذة الحلم
ليت شعري هل انا ملك | حاكم في النور والظلم
ما تراني ان قعدت لها | وقف الليل على قدم (٥)
يا نديمي عد لنذكرنا | عودة الارواح للرمم
لم يدع فيَّ الغرام دمًا | وارى في الكاس مثل دمي
راحة في دنها انعدمت | وكذا الاشياء من عدم
واذا رقرقتها سطعت | نفحة الرقاد في الضرم
وكأن المزج يفرعها | شيبة في عارضي هرم
وهي والكاس على شفتي | قبلات من فم لفم
حاربت الآلام عصبتها | وكم يشكون من الم

(٤) هذا من سخطه على الناس وقد قرأنا من قريب في بعض الصحف ان نفرًا من حذاق الاطباء قد انشاوا في برلين مستشفى يداوون فيه بعض الامراض كفقر الدم والزائدة المعوية بمشي المريض على اربع كالبهائم يفعل ذلك كل يوم اربع مرات وتكون مدة التمرين في كل مرة نحو عشرين دقيقة بشرط ان تبقى الركبتان قائمتين وقد ذكر في تاريخ الرومان ان ارسطو عالجه بعض اطباء زمنه بهذا العلاج وهو لزائدة المعوية مشفي

(٥) الضمير عائد على الخمر وهي فائرة بدلالة القرائن والتشبيه انه يكون وقت السرور فوق الليل على قدمه كناية عن تاهبه للذهاب وهي استعارة بديعة ومنها قول الحسن بن وهب في الخمر ايضاً «شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت فما عقلت حتى لحفني قميص الشمس»

فلهم في كل آونة ضجة من خلف منهزم (٦)
يارجال الشعر لست فتى ان انا لم يطوكم علمي
كيف لا تعيي مناظرتي وهي صبري والهوى قلمي
وانا في وصفها غرد ترقص الدنيا على نغمي

﴿ وقال فيها ﴾

ايضا

الا عاطني الخمر ان الزمان على ميمها وعلى رائها (٧)
وانعش بها زهرات السرور فقد نبتته قبل من مائها
لعرش السماء ارتقت امها وفي الارض (اعراش) آبائها (٨)
فليست لغير ملوك الكلام وبنت الملوك لاكفائها
ولا غرو ان زاد اعداءها فقدر النفوس باعدائها
أليس من الظلم للخمر ان تذم باحسن اسمائها (٩)

﴿ وقال فيها كذلك ﴾

رحيق كماء الشباب من وجنة يقطر
بكأس كبدر الدجى ظلامي بها مقمر

---

(٦) يضج الشاربون مرة بعد مرة في سكرهم فكأنهم يصيحون بالتهزم من آلامهم الذي هزمته الخمر على ما ذكر في البيتين ومن كلمات المامون النبيذ صابون الهم ومعنى شاعرنا مبتكر له

(٧) اي مر

(٨) يعني بامها الشمس لانها تغذيها نباتاً وتخمرها عصيراً واعراش آبائها هي اعراش الكروم

(٩) لا نجد من يذم « الخمر بغير هذا الاسم ولا يتفق ذمها بغيره ولم ترد في القرآن مذمومة قط الا به وهي احق بالذم الا انه معنى عرض للشاعر فلم يتركه ومن هذا الفرق كيف يتنبه الشاعر الحق لكل شيء على ما اشترط في المقدمة

وساق على ساقه يرجرجه المئزرُ
تحجبها كفهُ وسيفي خده تظهرُ
اراه لنا قائدًا ونحن له عسكرُ
كأن صفاء الرحيق نافسه الكوثرُ
فمن ربح اليوم ذا فذاك غدًا يخسرُ

وفيها ايضاً

منى النفس لو بقيت لي المنى ومن للشقيّ بيوم سعيد
تعيد الينا السرور القديم كأنا خاقنا بها من جديد
وتذكرنا الازمن الخاليات كذكر العظيم ليالي المهود
فهات اسقني بالكؤوس الكبار فما احسن الفم فوق النهود
نضار لمن يده كالنحاس ونار لمن قلبه كالحديد(١٠)

وقال

يذكر امانيها وما تعد من الغرور

هو الدهر آتيك او ذاهبُ وصادقك الوعد او كاذبُ
فدعه لمن شاء من ذا ترى يجد ومن حوله لاعب (١)
وان كنت في امل فاقتصد فمعطي النفوس هو السالب
لقد علمتني تجاربها بان القنوع هو الواجب
فدعني بربك لا تسقني فان التمني لها صاحب
وإما ابيت فمهلا اذًا انا ذلك الملك العاصب (٢)

---

(١٠) يسمى النحاس صفرًا بالضم ويقال يد صفر اي خالية والمعنى انها غنى في يد المعدم ولين في القلب القاسي

(١) يقال احمق ما يكون السكران اذا تعاقل

(٢) قيل لرجل ترك الخمر لم تركتها وهي رسول السرور الى القلب فقال ولكنها رسول يا س يبعث الى الجوف فيذهب الى الراس

ولي الارض مشرقها والمغيب ... هنا جانبٌ وهنا جانب
فهاك وهات وخلِّ الانام ... يحدثهم عني الحاجب
اذا ما شربنا ارى الارض تمشي ... وكل امرء فوقها راكب
طرحنا غمام الاسى للسماء ... فراس السماء به شائب (٣)
ومن عنت الراح تدني المنى ... وتحضرها واما (تذهب)
لها رقة كدبيب الكرى ... ولا غرو ان يحلم الشارب

﴿ الخمر والهوى ﴾

قال في معنى عرض له

رأيت والخمر سيين قدرة ... وايسا على قلبي الحزين بسيين (٤)
اذا اتوارى يطلبان يجيني ... فنظهر في وجهي وتظهر في عيني

﴿ وقال ايضا ﴾

نظروا الكأس فقالوا ... انها دمعة صب
قلت بل ذاك فؤادي ... ذاب من نيران حبي
فاعذروني في هواها ... انها اقرب قربي

﴿ وقال فيها ﴾

ان كنت قاتلها وبالامداء ... وكنت دافنها في الاحشاء
واحمل جنازتها على عنق الصبا ... وتقطع لها كفنا من الظلماء
وادعُ الحمام ينوح ساعة دفنها ... وارسل زجاجتها تنساء بكاء
ولها عليك وصية مرعية ... ان لا تشيعها سوى الندماء

---

(٣) كأنه عرض عليه انه شرب دون تجنبا الآمال الكاذبة التي لا تعقب في النفس الا الحسرات والتمني ابن الراح فلما احضر من عرض عليه انطاق في المنى كما ترى وقد قيل ان عبد الملك بن مروان قال يوما للاخطل ماذا يعجبك من الخمر واولها دوار وآخرها صداع قال نعم ولكن بينهما ساعة نشترى بها ملكك . ولا شك انها ساعة التخيل الفارغ

(٤) ترى السماء بيضاء فكأنها شابت من هول الاسى الذي طرحه عليها

عذراء باركها المسيح كأنها نفس تنفسها فتى العذراء
بينا تعيد الروح للاموات اذ ثي تجدد الارواح في الاحياء
واذا ادرت صحونها نظروا لها فكأنها في دعوة الجلاء
خذها بثاري انها شربت دمي ودمي عزيز يفتدى (بدماء)
فتانة بمزاجها فكأنه لمع السراب تلوح في الرمضاء
يا وجنة الحسناء ضرجها الحيا لم ادر ايكما من الحسناء
يا رقة الماء تلعب بالنهى لم ادر ايكما من الصهباء
راح وروح كاسها ام تلك من نار ونور ام شهاب سماء
ومدامة ام لوعة ام دمعة حمرا جرت من (اعين بيضاء)
اسماء خصص علمهن بآدم يا ليت لي علما من الاسماء(٥)

﴿ وقال ﴾

يصف رقص بعض الغادات

يا للهوى والغزل من العيون النجل
من الظبى لا كالظبى من مرح وكسل(٦)
من المهى لا كالمهى في الحدق المكتحل
من الدمى لا كالدمى في حسنها المكتمل
اقبلن يختلن فلم يكن غير الاسل
ثم نظرن نظرة معقودة بالاجل
ثم انسربن من هنا ومن هنا في سبل
منفردات وجلاً يا طيب هذا الوجل
مبتعدات خجلاً يا حسنه من خجل

---

(٥) يشير الى الآية الكريمة « وعلم آدم الاسماء كلها » الى قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم

(٦) من الظبا في مرحها وكسلها لا كالظبا ستيقة ومتله ما بعده والمهى بقر الوحش جمع مهاة والدمى تصاوير العاج جمع دميه

ثم التقينا كالتقا ء امل باملِ
موءتلفات جزلاً وهنَّ بعض الجذلِ
مختلفات جدلاً والحسن اصل الجدلِ
هذي تغير هذه بحليها والحللِ
وتلك من زينتها زينتها في العطلِ
تنافسا والحسن لا حسان مثل الدولِ
ثم انبرت فاتنة تميل ميل الثملِ
تنهض خصرًا لم يزل من ردفها في مللِ
تهتز في كف الهوى هزَّ حسام البطلِ
قائمةً قاعدة جائلة لم تجلِ
كالشمس في ثباتها وظلها المتنقلِ
دائرةٌ في فلكٍ من خصرها والكفلِ
وصدرها كالقصر شيد فوق ذاك الطللِ (١)
وخصرها كزاهد منقطع في الجبلِ
يهزها كل انيس من شج ذي علل
فهي لنوح العود ما زالت ولمأ تزلِ (٢)
كانه من اضلعي فان بكى تضحك لي
كانها عصفورة وانتفضت من بللِ
ترتج كالطير غدا في ربقة الحبلِ
تهتز لا من خجلٍ وكلنا ذو خجلِ
تلهو ولا من شغلٍ وكلنا ذو شغلِ
ناظرةٌ في رجلٍ مغضية عن رجلِ
من حاجب لحاجبٍ ومقلة لمقلِ

(١) يريد بالطلل الخصر وهو يمدح بالنحول ليظهر ما فوقه وما تحته . وتشبيه الخصر في البيت الثاني فضلاً عن كونه مبتكرًا فانه مما يتبين به

(٢) اي ما زالت تهتز

كالشمس للعاشق والشعر له كزحل
باسمة عابسة مثل الضحى والطفل
واثبة ساكنة مالت ولما تمل
بينا تقول اعتدلت تقول لم تعتدل
وقد تظن ابتذلت فينا ولم تبتذل
تمثل الذي درت شفاهها من قبلي
تعجل في مهل ومهل في عجل

وقال

في روضة باكرها يوم النيروز المعروف (بشم النسيم)

روضة باكرها في فتية خصصوا للهو ما قد خصصوا
طربت اعضاتها حتى انثنت عندما قام النسيم يرقص
وذكاء كحمام رفرفت حينما افرج عنها القنص (١)
والغواني كالظبا في حرصها غير ان القانصين احرص
فلهونا ثم عدنا وكذا كل شيء بالتمام ينقص
وكأن الصبح كان فرصة وسريعاً ما تمر الفرص

وقال

يصف الزهر والغصون في معنى عارض

الا ترى الزهر في رباه كأنه قلبي السليم
كأن اغصانه الحواني هذا ولي وذا يتيم
تعاشقت مثلنا ترانا هذا صحيح وذا سقيم
وكلما تنثني غضاباً يصلح ما بينها النسيم

(١) ذكاء بالضم الشمس ولا تدخله اداة التعريف

وقال

في البحر والسماء

على السماء وفوق الشمس اشعاري ... وتحت اصداف هذا اللج افكاري
وبين تلك وهاتا جرى قد قلبي ... بعجز الوصف من در وانوار
ارى جمالا تعالى ان الم به ... وجل خالقه من مبدع بارئ
كانما الكون غيداء محجبة ... تطل مشرفة من خلف استار
فالبحر مقلتها والبر حاجبها ... من فوقه جبهة زينت باقمار
او كان ذا البحر ديباج السما وقد اند ... حل الوشاح فبها صدر السما عاري
او هذه لبست من ليلها حللا ... ومن كواكبها زرت بازرار
او انما الشمس ظنت انها خطفت ... بالحسن ابصار قوم دون ابصار
وحالت الارض دارا للسما فلذا ... اقامت البحر مرآة بذي الدار
يا مسكن الشهب الزهراء كم عجب ... تعدن الدرر الغرا واسرار
ان تحلي فلكا قد دار دائره ... فدونك اللج دوار بدوار
كلاكما حسن والحسن بينكما ... كالروض يارج من انسمات ازهار
اني ارى الشمس تحت البحر مطفأة ... والماء ما زال ذا باس على النار
كانما هو كف الارض قد بسطت ... الى السماء تجددتها « بدينار »
او غاصت الشمس تحت اللج هاربة ... مما على الناس من ثم وكدار
الست تبصرها صفراء جازعة ... وقد خبا زند تلك الشعلة الواري
تشبه الناس طهرا بالملائك من ... خبث الضمير وكانوا غير ابرار
والبحر افقهم من افكهم وكذا ... لا تحمل الارض الا كل غرار
لو انصفوا لراوه في تججه ... على البسيطة كانت اسد الضاري
لكن من الف الانغام مسمعه ... يخال كل زئير ثم مزمار
ما للخضم اراه كاسرا فزعا ... يخدش الارض من ثم بضفار
مجردا في تدجيه صفيحته ... مستوفز بين تجدار وتيار
تقيمه الموج حردا ثم يقعده ... ما بين مسحب منه وجرار

والافق مكتئب حيناً ومبتسم ما بين ليل دجوجيٍّ واسحار
يا ايها الناس ان البحر موعظة وضجة البحر ليست غير انذار
فكم عليكم به لله من حجج والذنب يُغفر الا بعد اعذار
البحر الين شيء ملمسا فاذا خاشنتموه بلوتم اي جبار
ولو تساند كل الخلق ما قدروا ان يحبسوا موجةً من موجه الجاري
فكيف يجحد رب البحر قدرتهُ وذلكم اثرٌ من بعض آثار
آمنت بالله ما شيء اراه سدى لكنها حكمٌ تجري باقدار

﴿ وهذا ﴾

فصل كتبه في رمل الاسكندرية يصف به ساعة اقامها هناك يوم الاحد وانما ذكرناه في هذا الموضع لمناسبة ما جاء فيه من وصف البحر والسماء وهو نموذج من كتاب ﴿ ملكة الانشاء ﴾ (١) الذي يضعه الان قال

يوم الاحد ما يوم الاحد ، كأن بنات الارض قد حسدن بنات السماء فلا تزال كل مليحة تنظر الى نفسها ، وتنتظر ما بعد امسها ، حتى تقوم سوق الحسن فيه على ساقها ، وتشتبك انجم السماء والارض باحداقها ، فتدور رحى القتال ، بين ربات الجمال ويقف الحسن والهوى بين السماء والارض ، وقفة الملكين للشهادة في يوم العرض ، ولو خلق الشهر انساناً لما كان موضع عينيه ، وبين جنبيه ، غير اربعة ايام الآحاد

هبَّ النسيم وتوارت الشمس عاصبة الجبين صفراء من الجزع على بناتها وكأنما ارادت ان تحتجب عن الارض حتى تضع تلك الحرب اوزارها ، وتفضح نسمات الصبح اسرارها ، فانكفأت الى الغرب وغادرت من اشفاقها على الافق شفقاً ، ونثرت اقداحها التي تحسو بها النور على السماء كواكب حدقاً . (١) وكأن الغواني خفنَ على جمالهنَّ من الليل ، خوف العيار على الذيل ، واشفقنَ ان تزهر في ظلمته نجوم السماء وتتبين بغدها الاشياء ، فسخنَ آيته بآية الكهرباء ، واوحينَ الى الافق بالسنة الضياء . وقلنَ لقمر اين انتَ من ذكاء ،

---

(١) انظر الاعلان عنه في غلاف هذا الجزء

وللنجوم ابن خراف « الخضراء » من الظباء

واذا كان في يوم الجمعة ساعة تُستجاب فيها الدعوات ، فان في يوم الاحد ساعات ، يدعو فيها العشاق ، ويضرع بنو الاشواق ، فمن ساق تلتف ، وعين تلتفت ، ومن نحر على نحر ، وبنان رخص على خصر ، وغنيّ يميل على غانيه ، وعان يشكو بثه الى عانيه ، وقد كفى البحرُ العيونَ اذا كان لا بدّ في الهوى من عين تدمع ، وطالع القمر اذا لم يجد العاشقان مفرًّا من رقيب يمنع ، ونمّ النسيم ، بجنات النعيم ، ان لا لغو فيها ولا تأثيم

ولقد رأيتني بين الحور والولدان ، في « جنان » ، انقلب من يمنة الى يسره ، بين غصة وحسره ، وان كان لي من ذوات الدلال ، جنتان عن يمين وشمال ، وهكذا الشاعر ينظر ، ولا يقدر ، و يشتهي ، ولا ينتهي ، و يعف ، حين يقف ، وعليه الوصف ولغيره ما يصف

اما السماء فقد اسفرت عن بدرها ، وهي كالفكر تلألأت فيه المعاني ، وكشفت الارض عن صدرها ، وهو كالقربة ارتفت فيه من ثديها الامواج كالمباني ، فاقبل البدر ، يضحك من البحر ، وما كاد يفترّ ثغره حتى ضاءت بنوره الافق ، وظهر وجهه حسنة في صحيفة الغسق ، فان كانت الملاحة في الاعين السوداء ، فقد جمعها البدر في عينه البيضاء ، ووعاها البحر في مقلته الزرقاء ، ولكلّ حسن ، وكل طائر على غصن

وحرج بعد ذلك صدر البحر فهو يقوم و يقعد ، و يرغي و يزبد ، يضرب موجة بموجة ، و يلف لجة بلجه ، يحاول ان يولد منهما كهرباء يصفرّ لها وجه القمر ومن السفاهة ان يناظر « الملح » السكر وان كان كلاهما ابيض ، وكم بين المسك والفحم وهما من جلدة سوداء

ثم حنقت عليه السماء فما برحت ترسل من انجمها الى كبده سهامًا تحاول ان تخرج الشمس التي ابتلعها ، وترد الى تاجه الجوهرة التي انتزعها ، فتستكمل بذلك جمالها ، وتسحب على هامة الارض اذيالها ، والماء يطفىء النار لكن لا يطيق خيالها

ولقد وقف الليل ، وهو يحدجنا بمقلة سهيل ، فلا يرى الا قلبًا يرف على حسن ، « وطائرًا » يقف على غصن ، وفرحًا يبعثه فرح ، وقدحًا يمشي به قدح ، فما زال يتميز حتى كاد ينشق ، وحينئذ زفر زفرة غادرت الهناء ، كالهباء وعصفت بها ريح شاب لهولها رأس البحر ، وقذيت برمالها عين البر ، فانتشرت هنالك اذيال الغانيات كالطواويس ، ودقت قلوب العاشقين كالنواقيس ، وانفلت القنص من حبالة القناص ، وتبدد الدر من يد الغواص وتحتم الفراق فنادوا ولات حين مناص

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ في المديح ﴾

﴿ وقال ﴾

﴿ يهنيء صاحب الجلالة الخليفة الاعظم مولانا امير المؤمنين السلطان ﴾
﴿ عبد الحميد خان ﴾ ايده الله ورعاه
وذلك بيوم جلوسه الميمون لسنة ١٩٠٣

يومٌ بهذي الليالي يشبه القمرا ... فان رأى حلكاً في افقها سفرا
نخالها ورقا ان خلتها ثمرا ... والعام غصنها والازمن الشجرا
ما زال فيه بريق التاج من قدم ... واللحظ يزداد سحرًا كلما فترا
يوم جلا غرة في المجد سائلة ... تناظر الشمس ان قاسوا بها الغررا
مرآة فكر مليك فوقها انعكست ... انواره كغديرٍ مثّل القمرا
يضاحك التاج منها لمعة سطعت ... من الجلالة يغشى ضوءها البصرا
« عبد الحميد » بهرت الخافقين فما ... ندري أوحياً ترينا ام نرى فكرا
ان تغرس الرأي فالتسديد زهرته ... وان هززت القنا اجنينك الظفرا
ما بين سلمٍ وحرب انت ربهما ... تركت هذا الورى في ماءمن حذرا
فلو تشاء امرت النار فانطفأت ... ولو تشاء زجرت الماء فاستعرا

تصرف الامر تصريفاً كأن على ... امر القضاء الذي نقضي به اقدرا (١)
ومن يكن قلبه في كل حادثة ... عيناً افكرته لا يخطيء النظرا
ياضاربا بشبا السيف الذي ارتعدت ... له الممالك اطعم سيفك الجزرا
لا تخشَ زلزالها ان عصبة رجفت ... فمن يكن معولا لا يرهب الحجرا
اذا سيوفك ظنوها صواعقة ... فان اروءسهم كانت لها اكرا
غرست عندهم نعماك في سبخ ... ومن يلوم على ري الثرى المطرا
وزارع الحب لا ينفك يبذره ... وليس في وسعه انبات ما بذرا
ارى على الارض جرارا له لجب ... تخاله الارض اطوادا اذا انحدرا (٢)
كأنه يوم يرتج الوغى شهبٌ ... تساقط الجو منها رجم البشرا
من كل ليثٍ اذا حفزته قطرت ... انيابه واستطارت عينه شررا
يلقى صدى الموت في الاذان من فزع ... كأنما ثار يدعوه اذا زأرا
ارى العناية صفت جيشهم كلما ... حروفها قرئت ما زال منتصرا (٣)
اراه في الارض معنى لا نظير له ... فما اكذب ان ادعوه مبتكرا
يا ترش (يلدز) انت النجم لا عطيت ... منك السماء التي املاكها الوزرا

(١) يريد ان جلالته يقضي الشيء على مقتضى الحكمة فلا يخطىء ما يراه حتى كأن القدر قائم على قضائه لما يكون بينهما من المطابقة بعد فيقع الشيء بتقدير الله وبذلك السبب · وجلالة مولانا السلطان الاعظم اكبر اهل السياسة في الارض كما تشهد بذلك العالمون

(٢) يصف الجيش التركي العظيم والاطواد الجبال

(٣) تصف الجيوش على اشكال هندسية بحسب حركات العدو فكان الجيش العثماني المظفر اذا صف كان على شكل هذه الكلمات «ما زال منتصرًا» ولا حاجة ان نقول ان المعنى مبتكر لشاعرنا فلم نلتزم ذلك في كل ما مر

غدا بك الملك وجنات موردة ... واعينا ملأت اجفانها حورا
لازلت تشرق بالنور الذي اقتبست ... منه العروش نجوم الحكمة الزهرا
كذاك يلقي شعاع الشمس بهجته ... على القوارير حتى تشبه الدررا

وقال

وقال يهنيء الجناب العالي الخديوي بعيد جلوسه السعيد لسنة ١٩٠٣

عرش يطول مدار السبعة الشهب ... والشمس في تاجه لا حلية الذهب
حيّى الزمان بكف العز مالكه ... فصافحت منه كف المجد والحسب
على جوانبه نور تلألأ من ... نور الامير واجداد له وأب
يدني النفوس ويقصيها مهابته ... كزخرف الشمس في المندية القضب
وما رأى وجه «عباس» يقابله ... الا تهلل بين التيه والعجب
مولاي ان يوم قد رقيت له ... من رحمة الله سرا بأن للحقب
يوم تمنته مصر قبل سوغها لك ... ه المنى وغدت موصولة السبب
«عباس» اسعدها والله ايدها ... والدهر تجددها بالعلم والادب
فامتد جانبها واشتد صاحبها ... وارتد حادثها عن ذلك الارب
والنيل مذ نسبوه للامير جرى ... ينازع «السين والتاميز» في النسب (١)
مثل العروس اذا زفت تجتر في ... استبرق عجب او سندس قشب
او كالقصيدة في مدح العزيز اذا ... ما امتد في الارض مد الشعر في الكتب
يا صاحب النيل يحميه ويحرسه ... من كيد ذي غلل في الصدر ملتهب
لو يستطيع بنو مصر لقد خبأوا ... ذ النيل في كل جفن غير منتحب (٢)
فابسط يديك ليجري لائذا بهما ... اني ارى الروع في آذيه الصخب

---

(١) السين نهر باريز والتاميز نهر لندرا والنيل نهر مصر ولا شك ان في جمع هذه النظائر نكتة

(٢) ما احسن احتراس الشاعر بقوله غير منتحب لانهم لو خبأوا النيل في الاجفان المنتحبة اي الباكية لاضاعوه

هذي القلوب احلتك الشغاف فلم | تخفق وانت بها الآمن الطرب
وكنت في مخض لم يأتها وجأ | واليوم طرت ولولا انت لم تطب
اقوت مصر على ريح تكنفها | كب السفينة في التيار والعبب
وفيتها حين لا امن ولا رغد | وجئتها بحياة وهي في العطب
فكنت جُنتها من كل طارقة | وكنت جَنتها في ربعها الخصب (٣)
انت النجابة من آبائها ظهرت | فلست اعجب ان قالوا ابو النجب
سموت بالصاعدين الجَد والحسب العا | لي وبالساعدين الجِد والطلب (٤)
قدم لمصر فلم يثبت سواك لما | صدق العزيمة والايام في كذب
ان الزمان لمن جدوا على صبر | بالرأي وهو على الساهين في اللعب

﴿ وقال ﴾

يمدح امام الشرق وفيلسوفه العظيم مولانا الحكيم الشيخ ﴿ محمد عبده ﴾
مفتي الديار المصرية اعزه الله وبعث بها اليه في عيد الفطر سنة ١٣٢١

فلك يطل فهل له عينان | ان الكواكب فيه كالاجفان
نظر الانام فلم يزل مترنحا | اتراه يعجب من بني الانسان
وجرى ولو بلغته انفاس الورى | الهاه ما حملت عن الدوران
اني ارى الانسان سرا غامضا | والكون ما ينفك في كتمان
شيء اراد الله فيه ارادة | حجبت حقيقته عن الاذهان
هذا لذاك اخ فان يعرض له | امل تناكر عنده الاخوان
بئس الزمان ترى بنيه كانما | للمرء في نياته قلبان
ان السرائر كالوجوه اما ترى | هذي الوجوه كثيرة الالوان

---

(٣) الجنة بالضم الوقاية وبالفتح ما يصغره العامة بقولهم (جنينة) وهي الروضة
(٤) الجد بالفتح الحظ وبالجد الدأب والسعي

وكذا النفوس معادنٌ لكنما قيمُ النفوس ماثر الابدان
والمرء ان عُدّ امرءً بوجوده كان الجماد يعد في الحيوان
ما النطق في الانسان لولا عقله سببا يفضله على الاكوان
هذر الطيور لغاتها كلغاتنا ونعدها ضرباً من الهذيان
والناس مملكة العقول و بعضهم تجد العلوم عليه كالتيجان
والدهر ازمنة لكل عزة من اهله « ومحمد » لزماني
القائد الافكار في ميدانها والعلم زاوية من الميدان
والمنتضي سيف الهداية بعد ما قد كان في غمد من القرآن
يغرى بحديه الضلال ولم يكن حداه غير يراعة واسان
مولاي امسى الدين مما بدلوا فيه كرقعة من الاديان
والمسلمون لجهلهم قد اصبحوا طُرحوا بمطرح ذلة وهوان
ثقلوا وخف سواهم فاذا غدوا في الكفة السفلى من الميزان
والناس في عملٍ وهم في ضجةٍ مما فلان قد روى لفلان
فانض اليراع فان للسيف الجسو م ولليراعة انفس الانسان
يجري بكفك حيثما اجريته حكماً و يقطر من حجى و بيان
مرهوب هاتيك الشباة كأنها قدر تمثل في حديد سنان
وتراه مما امتص من مهج القلو ب يظل يحكي القلب في الخفقان
فادفع به عن امة قد هدها ابناؤها وطوارق الحدثان
ان الزمان على الجبان غضنفرٌ وعلى الغضنفر فيه نفس جبان
ولقد اراك وانت اكرم منزلاً في الناس مثل العين في الاجفان
وارى رجال العقل كالالفاظ تحـ ـت عقولهم مما افدت معاني

وحللت في قلبي فمدحك شيمةٌ | حملت عليه خلائق الايمان
هيهات تُنكر والحواسد يطرقو | ن لاحرف اسمك عند كل اذان
والشمس تظهر للعيون جليةً | وشعاعها رسل الى العميان
ذرهم فان محاسن الطاووس فيما | قيل اصل حماقة الغربان
واليكها (والعيد) يصقلها بما | اوليته من بهجة وتهاني
من شاعر هو والذي فضلته | ان عدت الشعراء عد اثنان
وهب اليراعة هزها كل امرئ | عرسٍ فمن ليراعة بيناني

وقال

وبعث بها الى صاحب السعادة احمد منشاوي باشا
ايام لهج اهل القطر بوقفيته

ضنت وما انا لو تشاء ضنينُ | والبخل الا في الحسان يشينُ
أهواكِ مانعةً وكل مليحةٍ | ليست ممنعة الوصال تهون
حسبُ المتيم منكِ وحي فؤاده | ان القلوب على القلوب عيون
والذُّ ما كان الخيال زيارةً | ان كان يخفى مرة و يبين
قالوا بخلتِ وما بخلتِ وانما | وصل المليحة في الجفاء ثمين
نسخت معاني البخل يسرى (احمد) | واتت بشرع الجود منه يمين
احيي الأُولى كنا نرى اسماءَهم | وغدا يرينا الجود كيف يكون
وسمت به مصرٌ على بغداد مذ | كانت وكان بقصرها هارون (١)

(١) هو هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور

ورأى لديه المال بحراً زاخراً فغدت انامله وهن سفين
والقوم ذو فقر يقلب كفه واخو غنى بنعيمه مفتون
هذا يُرنحه الانين وذاك في سكراته يهفو به التلحين
قل للذين استأثروا بكنوزهم ما كان بعد كنوزه قارون
انفوا مساعدة الضعيف وربما خدموا البهائم والجنون فنون (٢)
واستحجرت راحاتهم فكأنها صخر وان (فلقوه) ليس يلين
والمجد اقتل ما يكون هزاله اما رايت الكيس وهو سمين
ضلوا واحمد بينهم يدعوهمُ او بعد احمد للمكارم دين
نيلان في مصر فذلك قد جرى ماءً وهذا عسجداً ولجين (٣)
والنفس ان تعز الفضائل افلحت كالماء يسقاه فيحيى الطين
(يااحمداً) اقرضت ربك والسرا ة يئن تحت رباهمُ المسكين
والدهر اطماع وفيه حفرة سيان فيها الالف (والمليون)

---

(٢) اكثر من يسمون اليوم «عمدا و بكوات وبشوات» يعتنون بتربية البهائم اكثر مما يعتنون بتربية ابنائهم بل هم يعلمون بذلك ابناءهم ان يكونوا مثلها في الراحة والرياضة • ولا يريدون مما يفعلون الا الزينة والبذخ وقال الشاعر مرة في بعضهم : ان عقول هولاء في رؤس اولئك

(٣) اللجين بضم ففتح • الفضة وانما كسرت الجيم هنا لتستقيم القافية ومثله قول محمد بن الاشعث في زرقاء جارية ابن رامين وكان قد حج واخرج معه جواريه كلهن

ايـة حالـــ يا ابن رامين حال المحبين المساكين
تركتهم موتى ولم يتلفوا قد جرعوا منك الأمرين

(الخ وانما هي الامرين) بالتثنية و يقال ان الشعر لاسماعيل بن عمار الاسدي وقد رواه صاحب الاغاني فانظره هناك في ترجمة محمد ابن الاشعث

وبنيت من كل الضمائر منزلاً هو منك ما بقي الورى مسكون
كالشمس من فوق السماء محلها وشعاعها تحت الثرى مخزون
ورفعت صوتك بالمكارم جهرة تدعو الانام وللسراة طنين
والشرق ان خربت نفوس رجاله فارب كنز تحتها مدفون
قد كنت اخجل بالقريض وانني ليعزُّ عندي اللؤلؤ المكنون
فاريتني ديوان مجدك خالدا خلا لاشعاري به التدوين
شعرٌ افاض عليه نورك مسحة فكانه صور بها تلوين
ما ان يقاس به سواه وليس في سلك الزبرجد ينظم الزيتون
كثرت ظنون المادحين فقولهم ظنٌّ وهذا المدح فيك يقين

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ في الغزل والنسيب ﴾

﴿ وقال ﴾

حرَّمت يا ليل علينا المنامْ أما كفى الهجر وَبرْح الغرامْ
مهلاً ابث البدر وجدي وقف لا ينقلَ الواشون عنا الكلامْ
واملك سبيل الصبح فالحي ان ناحت حمامٌ حسبوني الحمامْ
يا ليل بي همي وظلم الورى وأنت والهجر وكلٌّ ظلامْ

أراكِ للعشاق قبرًا فهل ... فيك من العشاق الا عظام
رُحماك يا ليل ورُحماك بي ... وألف رُحماك ودعني أَنام
عسى يوافى طيفها مضجعي ... فتسمح اليوم ولو بالسلام
اوّاه من سقم الهوى والهوى ... إن قلت أَوّاه يزدني سقامْ

وقال

يعارض المتنبي في غزل احدى قصائده ونزع
فيها الى بعض امانيّ نفسه

تعالي وان لم تُجملي فترفقي ... فحسبيَ أَنا ساعة الموت نلتقي
وان شئتِ أَن أبقى وقد اهلك الهوى ... ذويه والا فأمريني أَلحقِ
فديتكِ أَحيي او اميتي فانها ... حياةٌ متى ما جدت بالوصل تُخلَقِ
وقد كنت لا أرضى بدنيا عريضةٍ ... فلما دنا يومي رضيت بما بقي
وما حيلتي ان لم تكن ليَ حيلةٌ ... وهل بعد ما ترمين لحظك أتقي
خفي الله ما اقوى على كل نظرة ... والا تخافيه فرحماك واشفقي
الم يكف ان كانت خدودك فتنةً ... لنا فتزينين الخدود « ببشمقِ »
وزدتِ فتون الجيد حتى تركتني ... اموت على نوح الحمام المطوّق
وقد بعثت عيناكِ في الحلي نسمةً ... فكيف انثنت عنه المعاطف ينطقِ
والقت عليه من غرامك مسحةً ... فما انفكّ مصفرًّا حذار التفرقِ
وتبعده ثدياكِ ثم تضمه ... كدأب الهوى في العاشق المتملقِ
تعلمت منه ما تُوشيّ يراعتي ... وما كل شعر بالكلام المنمقِ
وما القول الا الحظ اكثر من أرى ... يظل به يشقى وللما (يُوفَقِ)

فان يحسدوني شيمةً عربية | فيا رب فحل ان هدرت يُنوِّق
وما لهمُ هاموا وما عرفوا الهوى | فقولي لمن لم يعرف العشق يعشق
وذي عذلٍ لما مررتِ اشار لي | فقلت له ناشدتك الله فارفق
ارى الروح سهماً بين فكيك مودعاً | فان تتحرك هذه القوس يمرق
وداريته حتى اذا قال ابعدت | عن العين قلت الآن فاسكت او انهق
وما الليث اقوى مهجةً غير انني | متى أُبصر الغزلان يمرحن افرق
ولي قلم كالغاب ما زال مرهفاً | ولكن متى ما مسه الدمع يورق
وما انا من يطوي على الهم جنبه | ولكنَّ شيئاً ان عرى البدر يمحق
رُوَيدكِ لا تقضي علي فربما | رايت بريق التاج يوماً بمفرقي
وما اخرتني في بني الدهر شيمةٌ | بلى ومتى اطلقت للسبق اسبق
ومن كان ذا نفس ترى الارض جولة | فلا بد يوماً للسموات يرتقي
ومهلاً اتُضيء آفاقها ثم انطفى | كما اطفأت انفاس حبك رونقي
اليس ليَ القول الذي ان نظمته | او انثرت حباته يتالق
وحسبك قلب بين جنبيَّ شاعرٌ | متى هجست افكاره يتدفق
ولن تجدي غيري يقول اذا بكى | « لعينيك ما يلقىَ الفوءاد وما لقي »

﴿ وقال ﴾

في الشفاه اللعس ما يشفي الالمْ | ودوا القلب فمٌ من فوق فمْ
عقد الحب « شروطاً » بيننا | وفي « امضى عليها وختم »
وارى ذا الحبَّ سرًا فا اشفا | هُ على كتمانه تعطى القسمْ
بابي هذا الجمال وابي | لم يلدني لسواه لم ومْ

يا امير الحسن ما تأمرنا	كلنا في دولة الحسن خدمْ
اترى كُوّنت من كل دمٍ	فلذا حنّ اليك كل دمْ
ولِمَ الصد اما آن لما	شدّت الهجران مني ان يُلِمْ
نحمد الله فان الشمس لو	فعلت فعلك عشنا في ظُلَمْ

﴿ وقال ﴾

ايك العصافير والدنيا عليّ اسىً	أَما تُرَوّح عني بعض أَحزاني
لي فيك عصفورة لو أنها انطلقت	رأَيت كيف يعاد الميت الفاني
ما صوّر الناس في الاملاك أجنحة	الا غداة بدا منها الجناحانِ
فويح قلبيَ ما من مرة صدحت	الا شعرت بقلبي بين آذاني
وويح عذالها ما في جوانبهم	قلبي فمن أين يحكي شأنهم شاني
أنا اذا عذلوا عانٍ وان عذروا	فانٍ وان حكموالي او لها جاني
والحب روحٌ لاهليه فعندهمُ	هذي الحياة وهذا الموت سيّانِ

﴿ وقال ﴾

وقد استيقظ يوماً فاذا بجفنه رمد

زار الخيال فحيّاني وأَسندني	يدٌ على القلب والاخرى على الكبدِ
ومر ليل هوىً ما كان أَهنأَه	لو لم أُقم منه الى الأَبدِ
وحين ايقظت عيني في الصباح بكت	وعاقبتنيَ في جفنيّ بالرمدِ

﴿ وقال ﴾

يا من تباعد عني	حفظت في البعد عهدك
فكيف حالك بعدي	قد ساء حاليَ بعدَكْ

يا ليتني كنت خالاً وكنت الثم خدك
وليتني كنت ثوباً وكنت ألمس قدك
وليت طيفك عندي وليت طيفيَ عندك
ان كنت ترضى فهبني يا سيد الناس عبدك
فما لي الحب وحدي لكن لك الحسن وحدك

﴿ وقال ﴾

في معنى عرض له

جرحتني بالقول لكنني ارى شفار الجرح في الجرح
فكم شباب بين اهل الهوى يكون تنبيها الى الصلح

﴿ وقال ﴾

قاسوك يا شمس الضحى بالبدر ظلماً والهلال
ورأوا عيونك فاستهاموا بالغزالة والغزال
يأبى جمالك ان يقا س وانت مقياس الجمال

﴿ وقال ﴾

عذرت فؤاداً رآك فطارا كذا الطير اما تحن النهارا
ودمعاً على نح ذكراك يجري كما ماجت السحب انهمارا
نثرت على الليل منه شعاعا كما نثر الشمس منها انتثارا
تداعت ضلوعي وعند الحريق يهدم اهل الديار الديارا
ولما احست بذاك الدموع تبدت من رعب لا قرار
واجبرها العقل مستنفرات فمد جناحيه سوا وطار
ولا عجب ان تراني على تقلب حتى عدمت القرارا
ولو ان للارض قلبا يحب لدك بها الحسن فيها جدارا

(وهند) على ما بنا لا تبالي — وحبك يا هند ليس اختيارا
اذا ما هجرتِ عذرنا الدلال — فليس دلالك الا اعتذارا
وفي الحب شيء يسمونه — نفارا وما تترك بين النفارا
كأن الجمال باعارنا — بطول تجنبك منه قصارا
وما يربح الحسن ان لم يكن — محبوه يرضون منه الخسارا
لماذا تجافين يا هند عني — هبيني ظلا وراءك سارا
هبيني نسيما تلاطف يوما — فحرك من جانبيك الازارا
هبيني اشعة شمس الاصيل — نور يغادر خديكِ نارا
هبيني من قطرات الندى — اذا ما انتثرن عليك انتثارا
هبيني اخا (وهبيني طفلا) — هبيني فتى (وهبيني جارا)
هبيني من بعد هذا وذاك — غبارا على قدميكِ استثارا
واقسم اني لاطهر نفسا — واصفى غراما واسمى وقارا
ثقي الله اني رايت الجفون — تعلم نفسي لديك انكسارا
وعودتني ان اخاف الانام — وما كنت احذر الا الحذارا
وحملتني من خطوب الزمان — بما لم يدر فلك حيث دارا
اصيخي الى الحلي انى ارى السوار يناجى باسري السوارا
متى ما سمعت رنين الحليّ — فان لهن بشاني سرارا
ولا تفزعي من حفيف الثياب — يناديني اذ مللن انتظارا
على ان قلبي لها حاسدٌ — فيا ليته كان فيها (زرارا)
ويا ليتني وانا كالخيوط — نُسجت لهذا القوام ازارا
متى قلت (يا ليتني) مرةً — لامر توجعت منها مرارا
علمت من التدي ما تضمرين — فقد وقف التدي حتى اشارا
فحسبي انبعاد وحسب النجوم — اذا ما بدا صبحها ان توارى

وقال

أنا البريء ولم تبرح تعذبني — فليت لي بين ابناء الهوى فادي
اهكذا ظبية الوادي التي ذكروا — ام الظباء بواد وهي في وادي
رحماك يا ربّ عجل بالممات اذا — قدرت ان لهذا كان ميلادي

وقال
في النحول

لا تعجبي ان تري جسمي نحيلا يتلف
وكان ماء الصبى عن سقيه لا يكف
عرضته للهوى فماله لا يجف

وقال في مثله

لا تلوميني على السقم فهذا طرفك اسقم
انت علمت فؤادي فيك كيف يتألم
فرحمت الحب مني واراه ليس يرحم
ان هذا الحب ضيف وقراه اللحم والدم

وقال

قرّح الجفن وادمى كبدي ان تملي في الهوى [illegible]
فاذا اثبت اني عاشق لم يفدني عده ان [illegible]
ويلتا مما جنى الحب وكم من يقولون معي يا ويلنا

وقال
في المكاشفة

ان لم يكن عندك ما عندنا فمن رمى الخصر [illegible]
مالك تخفين الهوى والهوى يقول من عينيك [illegible]
وتلك انفاسك نمّامة وبين نهديك ارى [illegible]
حسبي ذا الوجه والوانه وما دليل الشمس الا [illegible]
كفي ظنون الناس واستكفي ان تجري الالسن [illegible]
الا ترين الطير في راحة من يوم امسي بالهوى [illegible]
وما كتمنا اذ كتمنا الجوى الا كما تخفى الغصون [illegible]
والحب في الصدر بخار اذا حبسته هذا جرى [illegible]
كلا فؤادينا امتلا بالهوى وفاض حتى ملأ الاعين
واي ذنب الاناء الذي يفيض ان [illegible]

لاتعجبي مما يُجَنّي الهوى ما في يد العشاق الا المنى
قد نالـــ بعد العشق اطاعه من نالـــ بعد الكيمياء الغنى

(وقال)

في دلال الحسان

نفرة ثم تعطف الحسناء وقصارى ابائهن الرضاء
وذوات الهوى يعلمن ولكن من حقوق الوصال هذا الجفاء
ناابي واتما لذة الحب اذا كان في الحبيب اباء
ما يشين الوصل ان التجافي فيه في حواشيه نقطة سوداء
واذا الخال كان في الخد حسناً فتمام الملاحة الخيلاء
غضب بعده الرضا وكما مر مذاق السقام يحلو الشفاء
ان في الحسن للحسان لعذرا فاسلبوا المال يسمح البخلاء
اوَ لا يعذر الجمال اذا ما نظرت في مراتها الحسناء
سائليها يا ربة الحلي عني الداء العوداد منها دواء
واذكري انما لي اليأس نرجو ومن اليأس قد يكون الرجاء
اوَ ليس السماء يأتي عليها كل يوم صبح ويأتي مساء
وضياء النهار فيها ابتسام وظلام المساء فيها بكاء

(وقال)

فتكت في الناس اعينها وعيون الناس تنهبها
ما يناجي اذنها نفس صاعد الا ويطربها
وانثنت عجباً فلست ترى عاشقاً الا ويعجبها
كل رجل في تنقلها تحتها قلب يقلبها

(وقال ايضاً)

قالوا جفنك ولا تنك تذكرها ان النصيحة سلوان بسلوان
فقلت عيني مني وهي ان رمدت فلا يكون دواها كحل عميان
ما دنت وصلت ثم نفت هجرت في كل ذلك اهواها وتهواني
و لحب كالدين يرضي المرء مذهبه وبعده الناس في كفر وايمان

﴿ وقال ﴾

ابيت وجنبي ليس يحويه مضجعُ ... وبعض لذي القى من النوم يمنعُ

تقلبني الاشواق وخزًا كانني ... بكف الهوى ثوب رديءٌ يرقعُ

ولي حاجة في السهد والسهد قاتلي ... بدمعي وبعض الموت في الماء ينقعُ

فيا ايها النوّام ما لذة الكرى ... اما لكم مثلي فؤاد واضلعُ

وكيف تنام العين والقلب موجع ... وانّى يصح القلب والحس يوجعُ

كأن الهوى نورٌ كأن بني الهوى ... كواكب اما جنها الليل تلمعُ

وما انفكّ نور الحب في كل كائن ... ولكن لامر بعضه ليس يسطعُ

وما كل مصباح بذي كهرباءة ... ولا كل انسان راى الشمس يوشعُ

ويا شدّ ما القى من الحب وحده ... فكيف وفي طمع الحبيب التمنعُ

هل الحب الا ما ترى من فضيحة ... وما المسك لو لا انه يتضوعُ

كأن فؤادي شعلة قد تعلقت ... بجسمي وطبع النار في العود تسرعُ

وما انا وحدي من يقولون عاشقٌ ... ولكنني وحدي الذي يتوجعُ

وفي كل عين ادمعٌ غير انني ... لعينيّ من دون المساكين ادمعُ

أعينيّ ما دمعي عليّ بهيّن ... فكم ذا وكم ذا تجزعين واجزعُ

كانك في كل القلوب فمن بكى ... بكيت له والحر بالناس يجدعُ

احاطت بيَ الارزاء من كل جانب ... كأن الرزايا تحت حبي مصرعُ

كانيَ في الآمال زورق لجة ... اذا خفضته كل خفض يرفعُ

وما كل من تحنو على الطفل امه ... ولا كل من تدنيه للثدي مرضعُ

فهل ترجع الدنيا كما قد عهدتها ... وهل ما مضى من سالف العمر يرجعُ

ولي في الهوى شمس اذا هي اشرقت ... رايت بها محو الاسى كيف يقشعُ

ولكن لحظي كان حظيَ ليلها ... ومن ذا يخال الشمس في الليل تطلعُ

كلانا به وجد ولكنه الهوى ... دلالٌ وهجرانٌ ويأسٌ ومطمعُ

فان استبن ما اصنع اليوم يأتني ... غد بالذي لم استبن كيف اصنعُ

﴿ وقال ﴾

عجبت لاهل الهوى انهم ... يعيشون موتى برمانهم

مكاري بكاس سقت آدما   وما انتقص الدهر من كاسهم
كأن السموم بانفاسهم   تكون ويا حرّ انفاسهم

﴿ وقال ﴾

أعرني عينيك يا عاذلي   لعلي أرى الحق كالباطل
فعيني قد انصبغت بالسواد   كمثل الزجاجة والسائل
كلاما يراها وهيهات ما   توجّع بالشكل كاثنا كل
ولو كان للصيد عين الذي   يصيد لما اغترّ بالحابل
هويت وطعمت جسمي النحول   فويلاه من شره الآكل
كأن ثيابي عليّ الربيع   كسا جانبي بلد ماحل
كأن عيوني بموج الدموع   خضمٌ له الجفن كالساحل
كأني ودمعي في مقلتي   ارى كفني في يد الغاسل
ليَ الله هل انا الا فتىً   اجد ودهريَ كالهازل
ومن ساد في قومه الجاهلون   اضرّت به شيمة العاقل
كأن الزمان قضايا دجىً   انا فيه كالقمر الآفل
نزلت على حكمه طاعةً   لوجي على مهجتي نازل
ومن كان قاضيه من يحب   رأى جائر الحكم كالعادل
يعيبون فيها نحولي ألمْ   يرى النجم في الأفق كالناحل
وكيف يعاب الحسام الصقيل   ارقّت شباه يد الصاقل
مهفهفة فكان الهوى   يحاربنا بالقنا الذابل
واعجب من املي وصلها   وبعض المنى قاتل الآمل
لها مهجتان تحب وتسلو   وما تحت ضدين من طائل

﴿ وقال ﴾

يبث الشوق ويخاطب الحبيبة وهي نائمة والقمر مطلع عليها
ويتخلل ذلك شيء من الوصف

مكانك يا بدر وان كنت واشياً   لعلك تروي عندها بعض ما بيا
مكانك يا بدر لاشكو حبها   وتشهد عند الله ان كنت رائيا
مكانك لا تعجل تحضر ساعتي   فاني ارى ساعات عمري ثوانيا

ويا بدر خذ عني [اليها] فذاك سريرها ... وذلك وان لم ادعها باسمها هيا
اغار عليها ان تقابل وجهها ... فتنقل عنه للوشاة معانيا
واخشى عليها من شعاعك مثلما ... يخاف على النفس الحب ان الموضيا
واني ارى جسماً لو ان مدامعي ... جرين عليه اصبح الجسم واديا
وما عجبي الا من البدر يدعي ... تمنع الى ثم القاه عاريا

فيا بدر في موضع الصنع فاتخذ ... يداً لك عندي تلقني الخير جازيا
وذي قبلة مني اليها فالقها ... على فمها وارجع بانفاسها ليا
وان لم يكن في الحسن الا عواذل ... فيا بدر كن خيراً عذولاً وواشيا
اذع حسنها في كل افق تنيره ... واحص علينا ما حيينا اللياليا
كأن الهوى قد خط قبل وجودنا ... كتاباً على ما يلبث الكون باقيا
له البدر عنوان وقد امست السما ... صحائف فيه والحروف الدراريا
قضى الله ان الى فصدت بحكمه ... ولو واصلتني لم اكن قط باليا
واني قسمت الروح شطرين واحد ... بجسمي وشطر عندها لا يرانيا
ولا بد من يوم تعود لاصلها ... فاما بوصل بيننا او تنائيا
ولم ار غيري بعضه خان بعضه ... فاصبح مشغولاً واصبح خاليا
بربك يا نفسي وربك شاهد ... اتهنئة كانت هوى ام تعازيا
وهل ذكرتني هند يوماً فاشفقت ... لما بي وحاكتني بكا و تباكيا
وهل حدثتها نفسها انني بها ... شديد الهوى او انني بت ساليا
يكاد يفيض القلب من ذكرها دماً ... لاكتب منه في هواها القوافيا
وتذهب نفسي حسرة ان رايتها ... واصرع وحدي كلما قلت «آه يا ...»
ولو انني ارجو لهات مصابي ... وكن منها بي نمت راضيا
فيا من تجير النوم مني جفونها ... اجيري اذن من ذي الجفون فواديا
تحرم عني ما لعينيك مثلما ... تجنب مولاها العبيد تحاشيا
واقسم لو تبكين يوماً من الهوى ... لما كنت اجزلا لجفنيك باكيا
اما لي عذر في الغرام واعيني ... ترى كل شيء فيك للحب داعيا
وقد رفعتك الناس حتى ظننتهم ... لاجلك يدعون النجوم جواريا

وكم اتعبني فيك حتى كأنما   وجدتك حتماً حلت تمائم
فهو سالوني عن اماني لم ازد   على ان قبيني وحلق ...

﴿ وقال ﴾

هذا الموشح في معني اقتصاه

الصبر لا يجديـ   من بعد دا البعدِ
مع الملال
وليس للصدِ   وحرقة الوجدِ
سوى الوصالْ
من الهوى ياما اشد الهوى
وذا الجوى ياما امض الجوى
قتلت نفسي والغرام انطوى
مذ نقضوا عهدي   واخلفوا وعدي
بذا المطالْ
وكنت ذا حدٍ   فصرت كالغمدِ
لدى النضالْ
وبي ظما ويلاه من ذا الظما
وقد ... ... وكما
قولي ... ليت وبه ...
دسعني كبدي   في الى قصدي
ولا ...

وحفرة اللحد ✦ انزلها وحدي

بكل حال

﴿ وقال ﴾

اخلوني واسمعوا حسبي الله ...
اسيء ذنب جيت حـ ... تى به اليوم ...
... حسرتي ... لم اكن قبل اعلم
كانت العين تاخذ ا... ...ر والقلب ...
و وهمت كل شي ... ...
قلت ذا الحب جنة ... فاذا هي جهنم
يا فؤادي ... ... لامر ...
مقلة ... ... ب ... ...
سيف ... ... لي ... ...
ولكم يحجب ... في القلوب التبسم
وعلى البحر يضحك ... موج ... ...
... هيهات ما ... تجرح العين ...
... يصب قط بالهوى ... ...

﴿ وقال ﴾

... ... لا ... فتى ... ...
... ...

وبنوا الغرام اثنان تلك حياتها ثمر تعلق في الموسى بحياته
كالزهر في اغصانه والنجم في آفاقه والدر في صدفاته
ان القلوب كاهلها ذكر وا نثى كل قلب فيه من شهواته
واذا تزاوجت القلوب رايتها مثل الانام تئن من حسراته
والقلب يحمل في النساء وانما ولد الفؤاد يكون بعض صفاته
ولذا تفاوتت الحسان فهذه اخت الوفا والغدر شيمة هاته
والحب اشهى ما يكون اذا الحبيب ابى عليك القطف من ثمراته
ان النفوس لما منعن شديدة ظماء وينسى الماء عند فراته
«يامري» زيديني هوى فهواك نور ازل اسرى على مشكاته
وارى الحياة علي ليلا دامسا ضلت نجوم السعد في طرقاته
احيي فوادي ليس مثلك من يدي عز القتيل فاهوني بدياته
ها انت مريم والهوى عيسى وعيسى كان رد الروح من آياته
قولي تكاهنك الذي قدسته قولا وعودي فاسمعي اصلاته
فلسوف يزعم انها في آية نزلت من الانجيل او توراته
يرجو ويامل ان تباركه يداك وكل قومك آمل بركاته
واذا دعي عند الوفاة لدعوة يدعو بان يلقاك عند وفاته
تشغلته غفلته فاست بلاثم والشيخ معذور على غفلاته
واها لهذا الحب لو عرف الوليد الحب لاستعصى على داياته
شيء يحار المرء فيه لانه من ذاته جلب الشقاء لذاته
ما كان ابعدني وقولي في الذي آتيه يوماً ليتني لم آته
لكن حالات القضاء على الورى شتى وهذي الحال من حالاته

اترى المريض اشتاق وجه اساته ... ام كان يشجي الميت صوت نعاته
يا قوم ما لي حيلة واليوم قد ... دنف الهوى والطير عند شتاته
هيهات ابصرها وابقى بعدها ... فالنجم نور الشمس من آفاته
ولأن ترى ذا الصب في الاموات خير ... ان يراها الصب بين وشاته

﴿ وقال ﴾

في القبلة المكتومة

بليت بهذا الحب احمله وحدي ... وكلٌّ له وجد المحب ولا وجدي
هي الحسن في تمثالها وانا الهوى ... فلا عاشق قبلي ولا عاشق بعدي
وفي كل واد للغرام بشاشة ... فشاني في ا باريس ا شاني في نجد
ولم انس يوماً جئتها ذات صبحة ... عليلا كما هبّ النسيم بلا وعد
وكنت وكانت والدلال يصدها ... فتبدي الذي أخفي وتخفي الذي ابدي
وما زلت حتى كلمتني قبلة ... على حذرٍ حتى من الحلي والعقد
وكنا كمثل الزهر يلثم بعضه ... ولا صوت للنسرين في شفة الوردِ
وكان فمي فيه اليها « رسالة » ... فسلمها فاها وحمّل بالردِ
اذا لم يكن عند الحبيبة لي جوى ... فقولوا لماذا لا يكون الجوى عندي

﴿ وقال ﴾

على الطرسين من خد وجيدِ ... ارى سطرين في معنى الصدودِ
وقد سدلت غدائرهـا تريني ... تبدلـــ بيض ايامي بسودِ
وقطعني الاسى و الدمع بحر ... فعاد بسيط همي في المديد

ولما امصدت قلبي بلحظ　　علمت بانه بيت القصيدِ
لها دينٌ ولي دين ولكن　　ارى القلبين في دينٍ جديدِ
وكم من ليلة مرت وافق النجوم　　كجيدها تحت العقود
وقد وقف الدجى فزعًا يصلي　　وظلمة ذنبه ملء الوجود
وانفاس النسائم كهرباء　　توصل بين قلبي والخدود
وقد سعت الالحاظ بما اردنا　　توكدٌ بيننا صدق العهود
فكم لحظ وكم نَفَسٍ ترا ذا　　« تلغرافًا» وذا « ساعي بريد»
فعدت ارى النعيم ولست فيه　　كمثل الغصن شبه بالقدود
فلا اهلاً بايام التجافي　　ويا ايام ذاك الوصل عودي

﴾ وقال ﴿

ليت اهل الغرام ما عشقوا　　بل ليتهم قبل ذاك ما خُلقوا
اني وجدت الحياة سائغة　　كالماء لكن لها الهوى شرقُ
ومن يجد عاشقا يعيش فما　　ينجو القتيل الذي به رمقُ
وكيف يبقى العود الذي علقت　　باصله النار وهو يحترقُ
يا قمرا في الفؤاد مطلعه　　ومن سُوَيدائه له غسقُ
ان تلق في مهجتي سواك فما　　يريك غير الكواكب الافقُ
كان زمان كليلة حلكت　　هواك عندي لصبحها فلقُ
وانت وردي فما يعيبك ان　　ينبت يا ورد قبلك الورقُ
انبتك الله مثمرًا شغفا　　وهذه اضلعي له طبقُ
يارب ان القلوب قد ضعفت　　عن فتنتين الخدودُ والحدقُ

وقال

لا يحمل الصدّ منها والهوى بدني ولا اطيق بلايا الحب والزمن
جسم تراه فلا تدري امشتمل بالثوب ام درجوه منه في كفن
يكاد يوم التناجي ان يطيّره مرُّ الهواء مع الشكوى الى الاذن
لولا الحبيب وقصدي ان يبين له يريه ما فعلت عيناه لم يبن

وقال

تعاتبنا كان القلب عند القلب في شك
والسننا صوامت والعيون لبعضها تحكي
فقالت انت كالاطفال خلو القلب من شرك
ففاض بمدحها دمعي ونطق الطفل ان يبكي

وقال

وشى العاذلون باني سلوت وان الجفون الفن الرقاد
فلما راتني من خدرها اشارت اقاسي لا البعاد
وهزت ستورتها باليدين تعلمني كيف خفق الفؤاد

وقال

ساترة والبدر لا يغيب وليس الا في القلوب تحجب
تغرب في القصر ومنه طلعت فقصرها مشرقها والمغرب
هو السماء وهي بدر حولها من كل قلب تالف كوكب
ولا أقول شعرها ليل وما تحت ليل صبح اشيب
ولا أقول وجهها شمس ومثل الشمس يعدي شمسه تلهب

ولا أقول خدها نار فان كل نـار تنطفي وترطب
ولا أقول ثغرهـا درٌّ فان الـدرَّ فـي ايديـ الرجال يُثقب
ولا أقول قدها غصن فان الـ غصن كيفما يكون حطبُ
تبارك الله الذي صورها عجيبة بحار فيها العجبُ
انبتها فينا نباتاً حسنا ومن أماني النفوس تشرب
فللهوى في كل قلب مورد وللهوى من كل نفس سبب
ابيت كالملسوع من قولي آ هِ انما قولي (آ ه) عقرب

وقال

في معنى

اقول لها اذ ساءات كيف حالتي أقل مصابي لوعة أكلت قلبي
وعندي وما عندي وهل تجهلينه وأنت التي علمتني شغف الحبِ
حنانك يا أخت العصافير خفةً ويا ضرة الطاووس في التيه والعجبِ
ويابانتي ميلي ويازهرتي انفتحي ويانسمة الاسحار في روضنا هبي
فالت تعاطيتي من الثغر كوثرا حسبت به حور الجنان الى جنبي
فيارب حسبي مـا مضى انمـا الذ.ب وهدي روح عبدك ياربي

وقال

نادت حرامٌ ان أقبل ثغرها فقلت اذاً فالدر يحرم لثمه
فقالت وخدي قلت ياحسن ما أرى متى حرم الورد الذكيُّ وشمه
فقالت وهل صار العناق محرما فقلت وهل غصن يحرم ضمه
داعي الحب يحكم في الدنا بين أهله ومن بعدها يا هند لله حكمه

وقال

بي حبيب مسُّ عقلي فاصاب العقل مسُّ
أترى يرجع قلبي ومتى يرجع أمسُ
ليت لي نفسين ان أهـ ـلك نفساً تبق نفسُ

وقال

اشكو لها الحب ظنًّا ان سيعطفها والحب يمنعها ان تسمع الشاكي
يا هند ما كان لي أمسى عليَّ اذنْ يا ليت ما كان لا هذا ولا ذاكِ
ولدهر جنبان ما ينفك منقلبًا حينا وحينا كما تغريه عيناكِ
يا هند حبك نهر العاشقين فمن راى اذنْ نهرًا من غير اسماكِ
رحماك قاتلةَ رحماك فاتنة فالناس في ذا الهوى ئيسوا بأملاكِ
يا هند ما نظرت عيناي في حسن الا تبيَّنت معناه بمعناكِ

وقال

اتاني بعد فرقتنا سلامٌ فكيف وعذَّلي حوني اتدني
تقول أانت لا تنفك حيا تعاني من هولك ما تعاني
كفى هجرا فقد اصبحت نضوا تمر بي العيون ولا تراني
ولو هب النسيم علي يوما لزحزحني وربكِ عن مكاني
وها انا حين انظم فيك شعرًا اكاد اكون فيه من المعاني
لو ان الحور مثلك في جفاء لصد الناس عن طلب الجنان

وقال

ما اوجب الاعراض بعد الذي قد كان من وصل وايناس

اراك في الهجر كأني ارى باعين ما كنّ في راسي
فهل لقلبي فيك من حيلة وهل على قلبك من باس
ان تشبه الورد فاني من الا هوى عرتني هزّة الآس
ينبئني لحظك ان الذي سبّب هذا قلبك القاسي
فانت تخفي السر لكنما تظهره عيناك للناس

وقال

ان تجد قلباً كقلبي تلق حباً مثل حبي
انت تصبيني فمالي لا أرى اول صب
تقاسمنا لك الجنا ت والنار لقلبي
مر بما شئت فغير الا حب عندي غير صعب
وتدلل وتمنع أول الوصل التأبي
انا في قربي وبعدي قاتلي بعدي وقربي
يا ترى كيف امنا ك وقد جئت لتسبي
رفع «الطربوش» في اهل الهوى راية حرب
والهوى القلب فخ يخدع الطير بحب
ما خطت رجلاك الا بان لي مصرع جنب

وقال

في مليح كان في روضة

رأيته يخطر في روضة كأن قد تعلم من بانها
فكنت به جنة العاشقين وكان فؤادي كرضوانها
وما سمي الروض باسم الجنان ولم يكن بعض ولدانها

(وقال)

واذا قرىء كل بيت شطرة كن من العروض الاولى
من المتدارك وهو (فاعل) اربع مرات

شفني بعد من لم يئن قربه
تادن لم يزل قاسيا قلبه
ان يقولوا له مضه حبه
قال عذرسيء الهوى والهوى ذنبه

وقاا

من الضرب الثاني من العروض الثالثة من الخفيف

ان يكن طبعا ان تميتوا فقدما منيت
او رأيتم ان لا تعينوا فاني عييت
او رعيتم ان لا تبا لوا ففيكم بايت
م اراني احيي كذا فسمحوا لي ا وت

وقل

ا ا عن مخطة العو ذل كالصلي قد نوى
لا م ذكرون سواه قلت جل عن السوى
ونه لولا مقـ . ـ ـه تعلم جوى
والقلب لايهوى سوى من كان عمله الهوى

ا وقل ا

في مليح كان في (شحطه ا

ارأت الحلة) العشقين . . . . . .

وقلبيَ مما تَمزق أَضحى   كان عليهِ يمرّ القطارْ
بربك ما ذا فعلت بنا   ومالك عند ذوي الحب ثارْ
قتلت وأحرقت حتى القطار   يسيروفي (قلبه) منك نارْ

﴿ وقال ﴾

أَشار لي بسلام   ومقلتاه بحرب
فما رفعت يميني   حتى هوت فوق قلبي

﴿ وقال ﴾

أَنا ان قلت أَنا   عبد هذا السيدِ (١)
ولهُ الأَمر فما   شاءَ مني يجدِ
ويرى قتلي لأني   صرت من ملاك اليدِ
كسليمان لهُ   حل ذبح الهدهدِ

﴿ وقال ﴾

شكوت ما بالقلب من لوعة   ومن جوى يا ما اشد الجوى
فمال باللحظ ولما رأى   وجدي ثناه في يديَ الهوى
والظبي إما كسَلت عينه   تنبه الجيد بها فالتوى

---

(١) لا يقول الانسان أنا من غير أن يسند اليها شيء الا في الفخر كأن يقول ها أنا وأنا أنا الخ وهدهد سليمان هو الذي فقده لما تفقد الطير وقال لأذبحنَّهُ أو ليأتيني بسلطان مبين فجاءه من سبإٍ بنبإٍ ولكن المفسرين قد خلطوا في مثل هذه القصص حتى ان بعضهم بحث فيما اذا كان هدهد سليمان ذكراً او انثى تجانبنا ايرادها والعلم عند الله

{ وقال }

يا غريب الدار إن الدر أعلاه غريبهْ
إن تكن غبت فان البدر قد طال مغيبهْ
فاطو أيامك وارجع يُبرئ القلب طبيبهْ
إنما حظ الفتى من هذه الدنيا حبيبهْ
وقد شطرنا الدهر لي ما مر لكن لك طيبه
ونصيب المرء مما قدر الله يصيبهُ

الباب السادس

في الاغراض والمقاطيع

(ول)

في معان مختلفة من الغزل والحكم

على الشمس من نسج الغمام ستورْ كما للغواني كلة وسريرْ
وتحجب ذات الحسن لكنّ حسنها بدور بأهل العشق حيث يدور
وبعض تكاليف الصبا يبعث الأسى فكيف وأسباب الغرام كثير
وفي كل حسن موضع الذكر للذي يحب فما يسلو الغرام ضمير
أراني اذا القيت للشمس نظرة كأني الى وجه الحبيب اسير
وما رقبتي للصبح الا تعللا لعل طلوع الشمس منه بشير
ولي زفرات لو تجسم حرها لاصبح شمسا في الفضاء تنيرْ

وإني ليرضيني على القرب والنوى إذا فاح منه في الصباح عبيرْ
هما خطتا ذل فإما ارقوى الهرى وإما صبرنا والكريم صبورْ
وأفئدة الانسان كثر طباعها وفي الناس أعمى قلبه وبصيرْ
واني وإن لم أحتمل أمر معشر فقلبي على كل القلوب اميرْ
وإن أكُ بين الواجدين ابن ساعتي فما احدٌ بعد القنوع فقيرْ
وسيان إما أبلغ النفس سؤلها كبير وإن أجللته وصغيرْ
وما دامت الافلاك في دورانها ففيهنّ من بعد الأمور أمورُ
وكم لي يوم دارت الشمس فوقه وسارت عليه في الظلام يدورُ
لبست جناح اللهو فيه ولم أزل أرفُّ به حتى اكدت اطيرُ
ونال الهوى منه عرائس لذة لها الراح ريقٌ والكؤوس ثغورْ
زمان كأن قد كان للهو منزلا فساعاته للملهيات خدورْ
أخذنا على الدهر المواثيق عنده فأيامه للنائبات قبورْ
وأحسن أيام الفتى يوم لهوه على فطرة الأطفال وهو كبيرْ
وإن هموم الدهر موت لأهله فما كان من لهو فذاك نشورْ

{ وقال }

بلاني الدهر بكل همهِ فصرت غير جازع لحكمهِ
وصار معنى الحلم عندي كاسمهِ وهمة المرء ترى في حزمه
والدهر ان مسّ سواي يدمه لكن في جسمي وقع سهمه
كعضة الصبي كفَّ أمهِ

﴿ وقال ﴾

في تعليل أن الدنيا لا سعادة فيها

كم أريد السعد لكن فوق آمالي إرادَه
كل من يطلب دنيا يعبد الدنيا عبادَه
ولهذا غضب الله — فكان النحس عادَه
وقضى في حكمه أن ليس في الدنيا سعاده

﴿ وقال ارتجالا ﴾

في غادة رآها في مرسح تمضغ العلك « اللبن »

فاتنة في أضلعي كالشمس في برج الحمَلْ
إذا أماتت بالجفو ن فهي تحيي بالمقلْ
كأنها لاعبة في راحتيها بالأجلْ
أردت أن أقول آ د فأشارت لا تقلْ
وجعلت في فمها لبانها من الحيلْ
تعللت بمضغه لكي تشير بالقبلْ

﴿ وقال ﴾

في صاحب مضطرب متقلب وكتب بها اليه واشار فيها الى مذهب « دروين » المشهور

اقام (دَرْوين) دعوى ولم يجئْ بشهودِ
ومرَّ قومٌ فقومٌ وكلهم في جحود
لكنني بعد أن صر ت لم تراع عهودي
وكل يوم جديد تبدو بشكل جديد
آمنت أنك في النا س نسل بعض القرود

﴿ وقال ﴾

في آخر بذيء اللسان يبطن غير ما يظهر

كان ذاك الصديق فيما رأينا　　سحباً فوقها سماً سوداء
خاب فيه الرجا وليس ببدع　　كل ميْت يخيب فيه الرجاء
يا سفيه اللسان إن انت لم تسـ　　ـتح مني ففي لساني حياء
عجبت لي الرواة أخلاقك السو　　ء ومن طينها يكون البناء
كم حفرنا التراب من ذلك الوجـ　　ـه فقل أليس في الوجه ماء

﴿ وقال ﴾

يداعب صديقاً رقيق الحال ذكر انه سيشتري (عربه)

حسبك ان تدري يا مفلسُ　　من عربات الاغنيا باسمها
والارض من رجليك مجروحة　　فما الذي فاتك من جسمها
إن ترد الدنيا ومن قسمك الـ　　ـفقر تكن روحك من قسمها

﴿ وقال في ثقيل ﴾

وثقيل بات في نعم　　واراني منه في نقمِ
قال ألقاك صباح غد　　يا غد عجّلت بالسقم
لو يقوم الميتون غداً　　لتكاسلت ولم أقمِ

﴿ وقال ﴾

تولى زمان بني آدم　　وهذا الزمان زمان القرود
وما الموت الا اصطحاب الثقيل　　ولولاه فاز الورى بالخلود

﴿ وقال ﴾

في جماعة من اصحابه

عِفْتهم اذ اصبحوا مطعماً غير مريءْ
فادعوا أن خنتهم وأنا منها بريءْ
يشتهي الجيّد من لا يرى الا الرديءْ

﴿ وقال أيضاً ﴾

نسيتم ودادي فلم تزوروا ولم تسألوا
وسيان عندي فلا أقول اهجروا أو صلوا
ومن كان بي جاهلا فاني به أجهلُ

﴿ وقال ﴾

في سفيه كتب اليه كتاباً يذمه فيه اسناداً له

يا أيها العائب من فوقه أنظر الى النجم فهل ينظركْ
أظمأت أقلامك فاضرب بها حوافر المزن عسى تمطركْ
وجئتنا بالحلو فيما ترى فكان ملحاً عندنا سكركْ
وقات لفظي جوهر نيّرٌ وعندنا أن الحصى جوهركْ
فقل لمن يقذف منشاره في الجو مهلا ربّ ينشركْ

﴿ وقال ﴾

في رجل طويل اللحية جداً

يطول لحيته كالحبال فيا ليت عمري من طولها
كمروحة الخيش في العارضين تطرى الهواء بتبليلها
وقد لقبوها بست اللحى لتعظيمها ولتبجيلها

ألست تراهـا تجر الذيول | فيحظى الصغـار بتقبيلهـا
وكم بحث الناس في أصلها | وأين الوبا كان في جيلها
وكم حكموا أنهـا علة | وما علة غـير تعليلهـا

﴿ وقال ﴾

في حادثة السرب المشهورة

قتل الحب يا ليالي الودادِ | فاسامي بالقـلوب والاكبادِ
مهجـة تلتظي غراماً ولكن | ألف قلب يغلي من الأحقـادِ
وصدور كالنار غطى عليها | من سواد الرياء شبـه الرمادِ
وهموم الحيـاة تخلق للقلـ | ـب وأي امرئ بغـير فؤادِ
ما أمنا الزمان الا كما يأ | من إبليس زاهـد الزهـاد
كل يوم يصيح بالناس صوتاً | كضجيج (الساعات) في الميعادِ
أين من يأمن العوادي والنا | س بأجناسهـم ثمـار العوادي
من تدعه فريثما يدرك النضـ | ـج ورب البستان بالمرصادِ
وقتيل من كان في الغاب حياً | تترلاه أعين الآسادِ
إنما الناس ما يخلده النا | س وإن كان أمرهم للنفادِ
ان ذكر الذين شادوا وسادوا | لم يزل راسخاً مع الاطوادِ
واذا المرء أودع الأرض سراً | نبشت سره يد الآبادِ
إن تشأ أن ترى حديثك بعد الـ | ـموت فانظر الى حديث العبادِ
كم ترينا الايام من عبر شتى | كأن الايام في استعدادِ
وأراها في عبرة قد طوتها | كانطواء «المليون» في الاعدادِ

في مليك كساه أمس جلالاً   فغدا اليوم باريَ الابراد
كان فوق السرير فانقلب الد   هر فأمسى به على الأعوادِ
وقضى العمر يوم عيد فلما   مات ضنت أيامه بالحداد
ومن الهم أن ترى عينُ باكٍ   أدمع الموت غير أدمع الميلاد
شدَّ ما يؤخذ الظلوم اذا ما   سار في الناس سيرة استبداد
إنما أنفس الأنام سيوف   إن تحرك سالت من الاغماد
أين من كان في الثغور ابتساماً   وهو اليوم مضغة الحساد
أين من كان للبلاد رجاء   وهو اليوم عبرة في البلاد
سطروا ذكره على صحف التاري   خ من سوء فعله بمداد
وأروه ان الفساد وإن طا   ل فمقبي أموره للفساد
لم يكن يجهل الرشاد ولكن   عي الحب عن سبيل الرشاد
وأضلَّ الهوى هوى ملكِ الأر   واح يبغي محاسن الاجساد
إن للتاج ربة لا تزين التا   ج إلاّ بطاهة الأولاد
لا كتاك التي هي الصدف الفا   رغ نحساً اطالع النساد
عذلوه فيها فكان مريضاً   ساخراً بالطبيب والعواد
وإذا كان للخطيئة عذر   أي عذر لمخطئ في التمادي
أبعدها عن القلوب فلم ير   ض وصعب تجاوز لاضداد
هوالى في النار قدماً فلما   أجّ لم يختطف سوى الرقاد
ليس للملك من يسرق هواها   حامل التاج مثل سوق الجياد
أنضجت بالحب حتى اذا ما   بلغ النضج أطعمته لاعادي

وأرته العينان ان بياض الـــــحظ قد شابه الهوى بسوادِ
جردت من لحاظها فاتكاتِ جرّأت كل تلكم الاجنادِ
ليتها حين لم تقده لمجد لم تخلّ الزمام « للقوّاد »
ليتها حين أسهرته عليها ما جزته بمثل هذا الرقاد
قتلته ببغيهـا وتلته وأرى البغي جامعاً كالودادِ
أي أيد قد بدلت ذلك الدر بحب الرصاص فوق الهوادي
أو ما خافت الكواكب ان تســـقط من غيرة على الاجيادِ
ما لتلك اللحاظ وهي حدادٌ أصبحت في العدو غير حداد
لم تؤثر في قلبه نظرات ربما أثرت بجسم الجمادِ
قتلوا ظبية القصور ولكن قتلة الصائدين حية وادي
حسبوها فأرا وهم قطط اليد ت فلم يأكلوه قبل الطرادِ
وكذا يقدم اللصوص إذا ما أبصروا الرأس مال فوق الوسادِ
ما أرى هذه الشهامة الاّ حمقاً من فظاظة الاكبادِ
عربدوا في الدم المراق وما الوحـــش اذا اغتال يترك الدم بادي
وكذاك اليهود من قبل عدوا يوم صلب المسيح في الاعيادِ

{ وقال }

في كتاب حبيب

بأبي الذي كتبت يداه تحيتي وكسا الكلام بنعسة الأجفان
وأرى محاسنه على الفاظه ودموع عينيه على العنوانِ
وكأنما كان اللسان يراعه ومداده من مهجة الولهان

فكتابهُ عندي وكتْبي عنده   غَنجُ الحبيب وآهة الثكلان

﴿ وقال ﴾

هذا كتابي قد جعلت مداده   عيني وأقلامي ضلوع تخفقْ
حمّلته شكوى اليك جمعتها   من كل قلب في البريّة يعشقْ
أولا تراه يئن من ألم الجوى   ويكاد بالشوق المبرّح ينطقْ

﴿ وقال ايضاً ﴾

بعثت قلبي بين السـطور حتى يراكا
عساه يلثم كفيْـ   ـك أو يقبل فاكا
فان تأخرت بالر   د ذقت منك الهلاكا

﴿ وقل ﴾

في المعنى الاول

قرأت الكتاب فكان الفؤاد   كأنك تلمسهُ باليد
وقبلتـهُ ثم أدنيتـهُ   من القلب كالعين والاثمـد
فطار به طيب أنفاسكم   الى أن تعلق بالفرقـد
وقلت لعيني انظري للفؤاد   وما فعل الشوق بي واشهدي
فقال لها القلب هـذا غرامي   وبعض غرامك أن تسهدي
فخذ مني اليوم قلبي وعيني   وذي الروح أسلمها في غدِ

﴿ وقل ﴾

يا نسيم الرُّبى وفيك التحايا   أنا ميتٌ من طول صد وهجر
وأرى هـذه التحية روحاً   فانفخ الروح يا نسيم بصدري

﴿ وقال ﴾

يا طويل الصد لا أعــــلم ما هـذا التمادي
جمع الله علينـا بين هجر وبعـادِ
فرماني في بلاد ورماكم في بلادِ
أترى تجمعنا الأ يام أم يوم التنادي
فتحت ذكراك مني كل جرح في فؤادي

﴿ وقال ﴾

أرى الهجر أن تذكر الهجر لي   فان القلوب بما تذكرُ
وإن السماء اذا ابرقت   غدت بعـد ابراقها تمطرُ
اخاف عليك وما إن تخاف   وأنت المُطاع بمـا تأمرُ
وما آفة النفس بعد المتاب   إلاّ الغرور بمن يغفـرُ

﴿ وقال ﴾

سَنّ الزمان شريعة البـــؤسي فدان الخلق أجمعْ
لكنني مع من أحـــب خرجت عما بات يشرعْ
وقضيت أياماً رأيـــت الشمل فيها كيف يجمعْ
وعرفت لذات الوصـا ل وكيف أن الحب يصرعْ
فتنبـه الدهـر الخؤو ن وغاظه ما كنت أصنعْ
وقضى علينـا ثم شتـــت ذلك الرسـل وقطـعْ
وأشـد ما يلقى الفـتى إن كان بعد العزّ يخضعْ

{ وقال }

يداعب صديقاً ينظر في وجه كل سيدة

أدرت عيونك في كل وجه ونطقت باللحظات الخصورا
وكدت تشك بهن القلوب وتلحم أسيافهن الصدورا
فلا عجب أن يصد الحسان وأن يتعامن فيك النفورا
تلثمهن بلحظ وقاح ويمنعهن الحياء السفورا
العلك تعلم أن الظباء ينفرن إما رأين (البعيرا)
وهبك (خفيرا) لهذي الطريق فلست على النيرات خفيرا
أرى نظراً كالطفيلي لا يوجه حتى يعود حسيرا
فلو خلق الله فيك العيون طيورا لما بت الا ضريرا

{ وقال }

في غادة صفراء

قابلت وجهها بوجهي فلاحت صفرتي فيه فاكتسى من سماتي
وبدت لي صفرا خلت فؤادي خبأت فيه جمرة الوجنات
قل لمن عاب وجهها أي ذنب في انطباع الألوان للمرآة

{ وقال }

يقص حادثة

بيَ الهوى إن كنت لم تعرفي يا أخت بانات الربى فاعطفي
أسألك الانصاف إن لم يكن يحرم في شرعك أن تنصفي
وكل ما تقضين أرضى به وانما يحسن أن ترفي
هل انا جانٍ يا عيون الظبا وأين سيفي عند ذي لأسيفي

أحلف بالله على أنني   لولا اتقاء الريب لم أحلفِ
لاضعفتني عين تلك التي   إن نظرت في حجر يضعف
واضلعي تشهد أني « بري »   أما تراهـا إن رنت تقصف
فما لها هل عرفوا ما لها   تفتك بالناس ولا تكتفي
أهكذا كل لحاظ الدمى   وكل قد للدمى أهيف
يا أُختها قولي لها ذا الفتى   يئن من وجد بنا مدنفِ
عديه وعدا إنّه هالك   وسَوّفي من بعدُ أو أخلفي

*
* *

قالت لها يا أُخت هذا الفتى   أَبر من يصفو لمن يصطفي
إن تمنعيه الوصل أو تمنحي   فليس يسلونا ولا يشتفي
وإنني أخشى على عرضنا   قافية كالصارم المرهفِ
« وشاعر الحسن » اذا قالها   قدسها العشاق كالمصحف

*
* *

قالت لها هذا الذي ضره   إني أُحب العاشق المختفي
العشق في القلب فما باله   يذيعه في هذه الأَحرف
سيان عندي أن يقولوا شقي   من بعد هذا أو يقولوا شُفي
وما على مثليَ من مثله   لو أنه كان أخا يوسف
قولي له « لا تمرض » ثم انظري   ما يصنع المسكين ثم اصدفي

*
* *

قالت لها يا أُخت لا تفعلي   إني لأَخشى بعدُ أن تأسفي

هبيه ما قلت فكم غادة مما شداه فيك لم توصف
وكم يداس الزهر لكنما لعزه زهرك لم يقطف
يحسدنا الناس على شعره وليس إلاّ في هواه وفي: ك
وما يكون الطير في أيكه ان طلع الصبح ولم يهتف

***

فاستضحكت هند وقالت لها إذن يوافينا الى الموقف
والسعد كل السعد فيما أرى عود غريب الدار للمألف
والحسن زيت لسراج الفتى إن جف منه لحظة ينطفي

{ وقال }

تعد الملاح وأهون الأ شياء أن تعد الوعودا
والحب إن زاد الحبيـــب أماني العشاق زيدا
والحسن اعلق بالقلو ب إذا تمنع أن يجود
من ذا يطيق يرى ذكا الاّ إذا كانت بعيدا
والعبد يرقبه الورى من أجل ذا سموه عبدا
لا ترج أن يرضى الحبيـــب اذا بدا لك أن تريدا
ان البخيل على غنا ه يعيش بالبخل سعيدا
ولو ان في الدنيا وفا ء كانت الدنيا خلود

{ وقال }

يا كاس ماذا أريد بعدي وقد أراني أمر وحدي
يا ليت عند الحبيب مني ماهو من ذا الحبيب عندي

فمثلي خده فإني رأيت ما فيك ماء (ورد)
يا كاس داوي جروح قلبي فإن داء الغرام يعدي
وثبتيني على زمان يرقص بالناس رقص قرد
فذي عليَّ الذي أراه من يوم مهدي ليوم لحدي

﴿ وقال ﴾

قد كان فيك غرامي كالنار في مقلتيا
وكنت لي في منامي كالمال في راحتيا
ومذ صحوت من الحب إذ كواني كيا
فتحت كفي ولكن لم ألف من ذاك شيا
وقد يموت هوى المر ء وهو ما زال حيا

﴿ وكتب ﴾

يستأذن على فضيلة الاستاذ الحكيم مفتي الديار المصرية لقوم ذهبوا في قضاء حاجة

ببابك العالي ذووا حاجة لولا التقى قلت ادخلوا سجدا
فأذن اهل القوم مثل الذي قادته تلك النار نحو الهدى

﴿ وقال ﴾

وكتب بها الى نجل عمه الاستاذ العلامة الشهير الشيخ صالح افندي الرافعي حفظه الله

أراها وقد جعلت تمطلُ ذكاء تضيء ولا تنزلُ
يضن الجمال بأربابه وأهل الجمال به أبخلُ
وسيان في الطير عصفورة اذا انفلتت منك والبلبلُ
فيا من جعلت له خاتماً متى تلبس الخاتم الأنملُ

تدوسين فرق الثرى مهجتي — وطيفك في أعيني يرفلُ
لئن منعوك فسلك المنام — ما انفك ما بيننا ينقلُ
فمنك اليَّ ومني اليك — كلانا لصاحبه يحملُ
وذو الشوق يسعى على عينه — اذا قعدت بالهوى الأرجلُ
سلي الصبح كيف اراق الكرى — وعيني ما أوشكت تثملُ
رمى الفجر فتفجرت عينه — دماً فأتى بالندى يغسلُ
وأضرم من شمسه شعلة — لجنت على حرها المقتلُ
كذاك أرى الناس في غدرهم — تساوى الأواخر والأولُ
(أصالح) قل لي متى نلتقي — فبعضي عن بعضه يسألُ
أراك تؤيدني في البيان — كما اتحد القلب والمقولُ
ولولا الفؤاد وميزانه — لمال (اللسان) فلا يعدلُ
ألا أنذر الفئة الحاسدين — سيوفاً متى ضربت تفصلُ
وقل للعصافير لا تبرحي — ولا تمرحي قد هوى لأجدلُ (١)
عجبت لهم وعجيبٌ اذا — عجبت لمن لم يكن يعقلُ
وما يستري الجفن فيه الغبار — ومن أشبه الكحلَ والأكحلُ
هم نخلوني فماذا رأوا — أأمسك نور الضحى المنخلُ
وثار الغبار فيا أفق هل — جلالك مرآتك الصيقلُ (٢)
وأقبل فارقا للجبال — لم يلق عاليها الأسفلُ

(١) الاجدل الصقر (٢) صيقل من صقل السيوف، ويعني ان السماء لا تحجب لمن يجوبها اذا ذر اليه غبار الارض

وكيف يخيف الهلال الدجى ويرهب عنترة المنصلْ
رأوا لي في حكمتي ثانيا كما ينظر الواحد الاحول(١)

{ وقال }

يهنئ صديقه الفاضل الاديب الياس افندي العجان بعيد رأس سنة ١٩٠٤

يا أخا الفضل شهدنا خلقاً لو يكون الدر كنت معدنَهْ
شيمة يا حسنها من شيمة وكمال رائع ما أَحسنَهْ
إن أيامك للدهر حلى وفتى مثلك يحلي زمنَهْ
فهو يهديك مع الأيام من كل عيد وسرور ايمنَهْ
وإذا العام غدت أطرافه عيد قوم فلكم « رأس السنَة »
دمت للمجد ودام معانا في الورى من فضلكم ما أَعلنَهْ
ولو اني اسطعت أنطقت لكم بمديحي كل هذي الألسنَهْ

{ وقال }

كذلك يهنئ صديقه الفاضل الاديب جورج افندي ابراهيم

لياليك عيدٌ وعيدٌ وعيد لنفسك والصحب والازمنهْ
فأنت تهنّى ونحن نهنّي وحتم على الدهر أن يعلنهْ(٢)
أرى العيد يأتي سواك بيوم ولما أتاك أتى (بالسنهْ)
فقابل بها السعد والق الزمان واحيِ الحياة به آمنهْ

(١) من عجيب الاشياء ان الاحول يرى الواحد اثنين والظبي يمضغ الحنظل فيستحليه والله يعلم وأنتم لا تعلمون

(٢) الضمير في يعلنه عائد على الهناء وهو مفهوم بالقرينة ومثله (اعدلوا هو اقرب للتقوى) اي العدل

﴿ وقال ايضاً ﴾

لصديقه الماجد أمين افندي الطحان وعيد طائفته بعد تلك بايام لاختلاف الحساب بينهما

سعدت لجاء عيدك شمس سعد ... تضيء لك الليالي والسنينا
وإن يسبقه عيد فهو أغلى ... كذاك اليمين لا تعلو الجبينا
كلا الاثنين در غير أني ... أري ما في الفم الدر الثمينا
فدمت بكل عيد للمعالي ... ودمت على خزائنها «أمينا»

﴿ آية العدل ﴾

وقال يهنيء نسيبه الماجد الامثل السيد محمد افندي عبد الرحمن البرقوقي عمدة (مينة جناح) وكان قد حكم عليه ابتداء في تهمة باطلة ثم برأه الاستئناف

(محمدٌ) مالك من خاذل ... فالحقُّ منصورٌ على الباطل
والناس إما غفلوا مرّة ... عنك فما ربك بالغافل
العدل والعقل اليفا هوى ... وليس كل الناس بالعاقل
والسيف إن يصدأ بكف الذي ... يحمله فالأمر للصاقل (١)
ان كان في الارض نبي فما ... أراهُ غير الحاكم العادل
فرحمة الله بهذا الورى ... منزلةٌ في قوله الفاصل
والحق إن لان ولكنه ... يودي بذاك الباطل الباسل
كالموج مهما همّ في وثبه ... تراه يخذلُ على الساحل

﴿ وقال وهي ساقطة من باب الغزل ﴾

دارت علينا للهوى راحة ... فبت أسقاهــا وأسقيــه
من مهجة تنساب في مهجة ... آخذهــا فيَّ الى فيــه

(١) يشير الى رجوع الامر للاستئناف

والقلب من ذلي ومن دله   كقوم اسرائيل في التيه
يا طول سقم القلب اما غدا   يمرضه من كان يشفيه

{ وقال }

لو تنصفون لقلت آهُ   مات العليل فما دواهُ
ما كاد يطوي جانبيـهِ على الاسى حتى طواهُ
ورأى الهوى ناراً فلم   يخف الهوى حتى كواهُ
شيء يسمى بالغرا   م وليس يدري الناس ما هو
بين السعادة والشقا   ء فكلما عرفوه تاهوا
يا مقلتيَّ اذا بقي   في الجفن دمع فاسكباهُ
واذا احتمى بكما الكرى   بعد التفرق فاطرداهُ
اخذ الحبيب عليَّ عهداً   أن أعذّب في هواهُ
ومن العجائب انني   راض واسأله رضاهُ
الحاظه كالنحل تحمى   ما اجنّته الشفاهُ
فاذا رنا لم يبق قلباً سالماً   الا رماهُ
واذا متى وقعت على   كبدي واحشائي خطاهُ
يا رب هل أبدعته   الا ليفتن من رآهُ
اطلعته قمراً فكا   ن سواد حظي من دجاهُ
وخلقته رشأ فكا   ن مراح اضلاعي حماهُ
وبريته غصناً فرو   ى دمع اجفاني ثراهُ
بعض الهوى عذ   بٌ وسائره العذاب لمن بلاهُ

{ وقال }

انا راضٍ بكل ما يرضيكا   فالى كم هذا التمنع فيكا
وكفاني ما قد لقيت فمن لي   ان ما قد لقيته يكفيكا
أتمنى لو تعرف الحب يوماً   غير اني اخاف ان يبكيكا

يا مليك الجمـال انت على عر   ش فؤادي قد استويت مليكا
ولعمري ما قست صاحب ملك   بك الا رأيته صعلوكا
سهد الحب أعيني وجفـاني   من يواسي الحزين الا الديكا
فهو ان قلت (أوْه) من الم الو   جد رثى لي فصاح (كاك وكيكا)
آه من هذه القلوب وهيها   ت أرى لي بين القلوب شريكا
قد تركت الانام اني متى احتج   ت اليهـم رأيتني متروكا

﴿ وقال ﴾

في مليح رآه نائماً

وبي من الانس ظبيٌ   رميتـه ورمـاني
جرى معي في هواه   كما جرى بي زماني
فنمت كيما اراه   ونام كيلا يراني

﴿ وقال ايضاً ﴾

يا مدني الجمرة من خده   صيرت قلـبي بين نارين
فما عجيب ان همت ادمعي   تجري بهـا عيناي نهرين

﴿ وقال فكاهة ﴾

قلت للشادن مـل لي   قال « دعـني ، مـلني »
قلت سل لي ذاك القلـ   ـب فقال القلب سلني
قلت خـل الروح تخرج   قال هـذا الجو خلي
قلت فابلل من غليـلي   قال « هـاهـا » من يبـلي
قلت مـا اعجب حالي   قال ما اعجب حالي

﴿ وقال ايضاً ﴾

شادن يفتن الورى   فتنة أيـة فتنـة
تنثر الحرب لم يخف   عنـدها ايـة دمنة
شينـه في تجول من   صمصير مبجنة

خده في تحول من نضار لفضة
ترك الناس والنسا بين « آه ودهوتي »
وأراني لحبه بين حي وميت
هو في الحب قبلة وجهت كل وجهة
ولقد فات عاذلي عصر تحويل قبلتي

﴿ وقال ﴾

في مسيح الهند غلام احمد القادياني

عثرت في مدارها الايام ام هو الدهر هكذا والانامُ
أهله بين ذي هدى وضلال ولياليه ذو سنا وظلامُ
وأرانا بعدة العمر نشقى وعدو المسوّمات اللحامُ
ليس كل الذين تبصر ناسا ان بعضاً من الطيور الحمامُ
ولكل لوى رؤس فمن لم يكن اعقل كنت لا هامْ
يه (يا هند) عن مسيحك ما زالـ ت زات بيك كذ ـام
كان في جسمك الوباء فقد د ب لى العقل بعد ذلك السقامُ
ضلة للفتى ومن تبعوه اشرق الصبح والقبور نيامُ
مسحته الجنان ام مسخته وتولاه « جاجلٌ ام عزامُ »
وأتته الاقوام تترى ولا غر وعلى الجرح للذباب ازدحامُ
واذا كان في الرؤس ضلال وقفت عند قصدها الاقدام
نسج السيف ذلة ورياء وجديرٌ بناسخيه الحسامُ
أيهذا المسيح ان الليالي في بنيها من الزمان سهامُ
وأرى الدهر كالوغى وقديماً كان بين الانام هذا الخصامُ
فارفع الارض فوق كفيك وأمر يملأ الارض بعد ذاك السلامُ
أو فعد للسماء ان الشياط ين عليهم باب السماء حرامُ
ومد الورى بسحنك وسجـ ـنك ان الكرى له احلامُ

لو سألت الحمار حين تراه   في نهيق لقال ذي أحكامُ

﴿ وقال ﴾

وقد ذكر له بعض من يدعي الشعر

الشعر في ارؤس من يدعي   كالدين في اوهام هذي العوام
محرمٌ الا على أهله   وكم من الجهل يؤتي الحرام
فانظر لمن أبصرت في كفه   منهم يراعا هل ترى (ذا جاه)
وما (ابن عمار) اذا قسته   بجمعهم في الشعر الامام(١)

﴿ وقال في بعضهم ﴾

دع الشعر ما كل امرئ يذكرونه   ببيتين او شيء من القول قوالُ
فلو تخلق الاشعار في الرأس لم يكن   برأسك الا القمل والشعر نوالُ
رأيتك وزّانا فلفظك كله   قناطير لكن المعاني مثاقيلُ
وهب للحصى شيئاً تغربله به   فهل الكلام كالحجارة غربالُ

﴿ وقال ﴾

وكتب بها الى نجل عمه الشاعر المجيد محمد افندي محمود نوفي مقسما بانه ان بعض من يسميهم العامة بالشعراء قد تنقصه

اليك فانبئهم باني كفيتهم   ملامي ويا لله كيف لومهمْ
اذا لم يكن فيهم سوى هذيانهم   فاني عليهم لسكن كريمْ
اضنُّ بلفظي ان يقال استحقه   على نزغات المحو منه نعيم
وما ضائري ان يستعيروا شهادةً   لبعضهم ان النفاق قديمْ
وكم تنعق الغربان لكن بومة   تقول اسمعوا ان الغراب حكيم
فقل للذي ما زال يجريه وهمه   متى [illegible] مقيمْ

(١) ابن عمار رجل اشتهر بسخافة ابيات نظمها لغير معنى على غير روي

وما دام شعر القوم أمسى كما ترى　　شعيراً فقل ان الزمان بهيم

﴿ وقال ﴾

في انسان يذكر عن الشاعر انه مقلد

يقول قرابته فسله　　اكان جبريل عين (دحيه)
ويدعى في الورى كأن قد　　القى عليه الاله وحيه
اذا هزا بالرجال طفل　　فقل له ما لهم بلحيه

﴿ وقال ﴾

يعزي ابن عمه الاديب الشيخ احمد افندي الرافعي عن وفاة والدته المبرورة

لمن الامر شيره سحانه　　آترى المرء داتناً ديانه
جرت الناس في الغرور بعيدا　　وقضا الله قد جرى جريانه
فكأن البسيط ميدان سبق　　راجحات افراسه فرسانه
ان دث فارس الى الموت قرنا　　سبق الموت نحوه اقرانه
فالك دئر الحوادث وانا　　س يظنون وقفة دورانه
باع في الارض انفسا بنفوس　　فاذا الموت ناصب ميزانه
رب ذي زينة يميل على الار　　ض ارتنا اثوابه اكفانه
واذا ما البستان نب　　ت زهرا جعل الريح قبره بستانه
انما الارض لابن آدم سجن　　وارى الموت عندها سجانه
فمن الجهل ان تشيع بالحز　　ن سجينا قد فرّجوا احزانه
فاتئد «احمد» فتلك سبيل　　كل حي لاق بها اخوانه
ما ترى النجمة المضيئة فجراً　　كيف اغرى بها الضحى طوفانه
ان نفساً ارلت سات عليها　　درة أديت وكانت امانه
صاغها الله كالنسيم فلا غر　　واذا ما النسيم حل جنانه
فكل الامر للذي صرّف الامـ　　ـر واحسن رضا تنل احسانه
ان سخط النفوس كفر بنعمي اللـ　　ـه فليحرس الفتى ايمانه

تقاريظ

قال أمير السيف والقلم، ورافع العلم والعلم، صاحب السعادة
الامير الخطير المرحوم محمود سامي باشا البارودي طيب الله ثراه

«لمصطفى صادق» في الشعر منزلة   أمسى يعاديه فيها من يصافيه
صاغ التقريض باتقان فإن تُليت   صدوره قامت منها قوافيه
مهذب الطبع مأمون الضمير اذا   لاقيته كان باديه كخافيه
حاز الكمال فلم يحتج لمنقبة   فليست تمدحه الا بما فيه

وقال

شاعر البدو والحضر، وسيد من نجمي بين أهل الكلام وأمير، حسنة هذا الزمان وكوكب فلك البيان، الاستاذ الفاضل الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر الآن وكان حفظه الله قد علم بشروعنا في الطبع ونحن من السقم مقيم، فبعث الينا بهذه الانفاس التي تحملها النسمات، والعيون التي أصبحت بكم خجلات، وقال:

أدري المفود «مصطفى»   صفرت وطاب بغيضه
ان الحوادث قعدتني عن   أداء فروضه
ليصفح اعذر أخي ضنا   قض الضمير جريضه
ولقد أرى وعاد مكسو   العرى نقوضه
در يفيض على اوراقه   لله در مفيضه
يجلو عرائس خاطر   كبرق عند وميضه
وبنات فكر ما بها   فكر عند وميضه
فكر اذا ما الامر أشكل   حل عقد غموضه
هو من غدت فكر فضل   بث عروضه
وذا الذي لادب العصر   شيد الذي تحوينه
قد حل عقدة كل صعب   قبل شد غروضه
من بعد ما سكن ...   به   نهوضه

يا من تنزى للعلى كالشبل بعد ربوضه
عرضت نفسك للتخيل قبل حين عروضه
واخترت أشرف مذهب فسلكت غير دحوضه
فملكت رسنة النهى وروضت صعب عروضه
وظللت تلعب بعدها بجموحه ومروضه
وكذا اذ نهض المجد يراح بعد نهوضه
وطدت ركناً قد أمنا الدهر من تقويضه
وحلفت لا تبقي على وهي الكلام حريضه
صل كيف شئت بسمره بين الملا وبيضه
.. الرمح في تطعانه والسيف في تفريضه
.ند فتكا من نظيمك في فؤاد رفيضه
فتبا لسانك لا شبا عضب الغرار نحيضه
ويراع فكرك لا السنا ن يهاب عند نغوضه
الشعر فوض امره ونجاك في تفويضه
وعليك سبغ برده تجر ذيل رحيضه
فقبضت من مبسوطه وبسطت من مقبوضه
وتركته من بعد ما بالغت في تأريضه
يختال بين وريقه متبختراً وغضيضه
فاذا اراه النور غض النور من اغريضه
مصوراً ما في لوجود بقضه وقضيضه
ان الذي عطاك اعطى القدح كف مفيضه
حاز في بقدمة لجا ج وطر بغير مهيضه
شرقت فوق سماءه وسواك دون حضيضه
ديوان شعرك حير الشعراء في تقريضه

ماذا يقول مقرضو ه وانت رب قريضه
ما الروض زوّده الربيـ ـع وزاد في ترويضه
وافتص غادي القطر عذ رة زهره بفضيضه
اضحت تغازله ذكا فافتر ثغر اريضه
وجلته ما شطلة الصبا فملا شذا إنقيضه
بألذ من مختومه نشراً ومن ممضوضه
واجل من مرفوعه وقفاً ومن مخفوضه
هذا البيان فقل لمن قد ظل دون نقيضه
قد فاتك القول الصحيح فمات نحو مريضه
صمتاً فذا اسدُ الكلا م فما طنين بعوضه

(وقال)

حضرة الشاعر الذي ابتدأ حيث انتهى كثير من الشعراء وبرع ففاق النظراء
نجل عمنا الفاضل الاديب محمد افندي محمود الرافعي

سمت بك نفس لاقت العز مغنما وقلبٌ اذا ما همّ بالامر صمما
فاصبحت لا تجري اشأو قصدته من المجد والإفضال لا متقدما
وجئتَ بآيات هي السحر دقة اذا تليت أُفحمنَ من ليس مفحما
كأنّ بها آي الكتاب نظيمة كأنّ بها روح البيان مجسما
كأنك والاشعار منك تدبعت سماء بيان تبطل النون محكما
لعمرك ما ادري أدرٌ نظمتَـه ملأت به سمعي ام قلدت انجما
طويت بما أوتيت يا خير صادق جزالة (بشار) وصوت (مسلم)
فلا زلت موفور الجنان مسدداً وتبعرك في نفس تزون معظما

الخطأ والصواب

وقعت في بعض ملازم هذا الجزء أغلاط مطبعية آثرنا بيان المهم منها وصوابه وتركنا الباقي لفطنة القارئ

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١١	زينه	زينته
١٤	٣	أبهم	أنهم
١٥	٥	تدوالها	تداولها
٢٠	٤	القراء	الفقراء
٢٠	١٦	الجد	المجدُ
٢٣	٢	تقطع	تتقطع
٢٧	٤	نعما	نعيما
٣٩	٤	فخر	فخرا
٤٨	٦	الحب	المحب
٥٢	٥	فرائداها	فرائدها
٥٦	٧	الوجدان	الوَجد
«	١٤	القيل	الثقيل
٥٧	١٤	بهذا . نباة	بهذي . بناه
٥٨	٧	يكتنفانها	يكنفانها
«	٧	فوق النيل	فوقوف الليل
٦٠	٣	صبري	حبري
«	٨	نبتته	نبتت
«	١	في الشرح بالتهزم	بالمنهزم
«	٨	« الفرق	الفرق تعرف
٦١	٩	العظيم	الفطيم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
،	١٥	لمن شاء	كما شاء
٦٢	٩	رأيت والخمر	رأيت الهوى والخمر
٦٣	١	نفسها	نفّسه
	٧	يا ربة	يا ريقة
	١٤	الظبى . . كالظبى	الظبا . . كالظبا
٦٤	١	التفيا	نفين
	٢	حرلا	جذلا
	١٥	بس	انس
	١٩	ركمه	كفّة
٦٥	١١	أعضانها	غصنها
٦٦	٤	جرى قد	قد جرى
	١١	وحانت	وخانت
٦٨	١١	ارتفت	رفعت
٦٩	٤	السطان	السلطان
	٨	تخالها . . خلتها	تخاله . . خلته
٧١	١	ملأت	منت
٧٢	٣	قرت . . كفنوه	قرنت تكفنوها
	٩	على صبر	على بصر
٧٣	٤	هذر	هذي
	٦	عزة	سرّة
	٦	يعري	تعري
٧٧	٤	وّه . . . . وّه	وبلاه . . . . وبلاه
٧٨	٧	كتاب	كلباب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٧٩	٧	انطلقت	نطقت
«	١٦	لولم	لو انني لم
٨٠	٨	شفار	شفاء
«	١٧	نشرت . . . تنشر	نثرت . . . تنثر
٩٧	١٥	كعسات	كسلت
٩٨	١٧	طلاع	طلوع
٩٩	٢	ارقوى	ارتوى
«	١١	حذور	خدور
١٠١	٧	قفل	ففل لي
١٠٢	١٣	حوافر	حوافل
١٠٣	٢	واين	وايُ
١٠٤	١	باري	بالي
«	٤		صوب البيت
		ومن الهم ان ترى دمع اا	موت من غير ادمع الميلاد
«	٢٠	انضجت	انضجته

